Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جرجي زيدان

تاريخ آداب اللغة العربية

الجزء الرابع

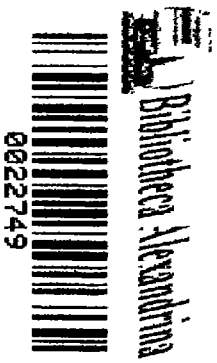

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاريخ آداب اللغة العربية

تأليف

جرجي زيدان

منشىء الهلال

الجزء الرابع

يحتوي على تاريخ آداب اللغة العربية من سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١) الى أوائل القرن العشرين

طبعة جديدة راجعها وعلق عليها

الدكتور شوقي ضيف

أستاذ الأدب العربي بكلية الآداب

بجامعة القاهرة

دار الهلال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمة

يتناول الجزء الرابع والاخير من كتابنا هذا ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ عهد النهضة الادبية الاخيرة . وغنى عن البيان أن هـذا العصر يختلف عما تقدمه فى عصور آداب اللغة ، مثل اختلاف أحواله السياسية والاجتماعية عن أحوالها. فلقد كانت الدولة العربية فى أول ظهور الاسلام والعصور التالية فى بدء تكونها وعنفوان نشاطها ، فتهيأ لها أن تتناول علوم الامم المعاصرة وآدابها وتكيفها مع أطوار آدابها الخاصة ، وتصبغها بصبغة مدنيتها العربية الاسلامية ، بل ان تلك العصور نفسها ، كان يختلف بعضها عن بعض اختلافا بينا . فكانت الدولة الاموية عربية بدوية ، ثم تلتها الدولة العباسية ، فاذا هى مصطبغة بصبغة فارسية ، الا من حيث آداب اللغة فانها ظلت عربية . ونضجت الآداب العربية فى أيامها على ما سبق لنا بيانه فى مستهل الجزء الثانى فى الكلام على العصر العباسى الاول . أما فى عهد النهضة الاخيرة ، فان الدولة العربية تأثرت بتيار المدنية الاوربية . وهى تختلف عن مدنيتها الاسلامية شكلا وأسلوبا ، فجارتها وان لم تخرج عن دائرتها الخاصة على ما سنبينه فى هذا الجزء . وبه تمام هذا الكتاب الذى أردنا أن نخدم به الناشئة العربية والمتأدبين الراغبين فى درس تاريخ آداب اللغة فى كل عصر ومصر ، وفى كل موضوع من الموضوعات الاجتماعية أو الاخلاقية أو اللغوية ، فكان لنا من اقبالهم على اقتناء الاجزاء الاولى ما كان خير منشط لنا على متابعة الجهد فى ايفاء هذه الخدمة الادبية حقها ، من صدق اللهجة ، والصراحة فى القول ، والخلو من الغرض ، والحرص على اثبات الحقائق بلا تكلف ، والمحافظة على سلامة المعنى قبل كل شىء ..

وهذا شأننا فى كل ما نكتبه ..

والله الموفق ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النهضة الأخيرة

من سنة ١٨٠١ الى أوائل القرن العشرين

مقدمات تمهيدية (*)

تبدأ هذه النهضة بخروج الفرنسيين من مصر سنة ١٨٠١ ولا تزال . لكنها تقلبت على اطوار تختلف باختلاف الاحوال السياسية والاجتماعية. وانتقل العالم العربى فيها انتقالا لم يعهد له مثيل . ولو اردنا الافاضة فى ذكر تلك التقلبات والتوسع فى تراجم العاملين فى هذه النهضة لاستغرق بحثنا عدة مجلدات . لكننا مراعاة للأسلوب الذى اتخذناه فى هذا الكتاب ، سنأتى على زبدة ذلك بما يقتضيه المقام ،

ولما كان البحث فى هذه النهضة الى اليوم يتناول جماعة كبيرة من الادباء والشعراء والعلماء المعاصرين وهم على قيد الحياة — ونحن على عادتنا لا نترجم للأحياء — فنقتصر من العاملين فى هذه النهضة على الذين توفوا قبل صدور هذا الكتاب . وانما نذكر للأحياء ما لابد من الاشارة اليه فى سياق الكلام استيفاء للموضوع الذى نكتب فيه . ونترك تراجم المعاصرين لمن يأتى بعدهم اذ تكون قد تمت اعمالهم وآن الحكم لهم أو عليهم

حالة تاريخية

كيف كان العالم العربى قبيل هذه النهضة ؟

انحصر العالم العربى فى القرن الثامن عشر فى مصر والشام وجزيرة العرب والعراق العربى والمغرب والسودان وفيها نشأ اكثر رجال هذه النهضة . لكن تلك الشعلة المباركة بدأت بمصر والشام وامتدت منهما الى سائر الاطراف فيحسن بنا أن نبين كيف كانت حالهما قبيل ذلك

مصر

كانت مصر (والشام أيضا) فى حوزة الدولة العثمانية . وقد استبد الامراء المماليك بمصر وتنازعوا على الاستئثار بأمورها ولم يتركوا لولاة الدولة نفوذا فيها . وأصبح همهم ابتزاز أموالها لا يبالون بما يقاسيه

(*) تشير هذه العلامة فى الهوامش الى تعليقات الدكتور شوقى ضيف تمييزا لها من تعليقات المؤلف على نحو سائر فى الاجزاء الثلاثة السابقة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشعب من العذاب أو الضنك أو الفقر ولا بما للدولة من حق السيادة عليها . فأخذوا يتنازعون على الاستقلال بها وانتشبت الحروب بينهم .

وكان أشدها بين على (بك) الكبير ومحمد (بك) أبى الدهب . ودخل فى ذلك الشيخ ظاهر العمر صاحب عكا واحمد (باشا) الجزار . وكانت روسيا فى حرب مع العثمانيين فجاءت اساطيلها الى البحر المتوسط تستحث أمراءه على الخروج من طاعة الدولة وتساعدهم عليها

وانتهت السيادة بمصر فى أواخر القرن الثامن عشر الى مراد (بك) وابراهيم (بك) وأصبحت مسرحا للحروب والقلاقل والفتن

فلا غرو اذا اشتد الضنك وخلت البلاد من الناس . فانقضى ذلك القرن وسكان مصر أقل من ثلاثة ملايين أكثرهم من العرب المسلمين . يليهم الاقباط ثم الاتراك وشرذمات من طوائف أخرى . والحاكم الرسمى (الباشا) يأتى من الآستانة فيقيم فى القلعة لتأييد سيادة الدولة العثمانية فيخطب للسلطان ويضرب النقود باسمه . لكن السيادة الفعلية للمماليك وهم أخلاط من الاتراك والشراكسة والكرج وجميع ثروة البلاد وادارتها فى أيديهم . ولم يكن لهم عصبية لأنهم لم يتوارثوا الملك الا نادرا وانما يغلب القوى .

والعرب هم المسلمون المتوطنون ومنهم جماعة العلماء والفقهاء وفى أيديهم ادارة المعابد والتكايا . ومنهم طائفة كبيرة من أصحاب الأنساب الشريفة وكثيرون من أرباب الثروة وذوى النفوذ أو المناصب . والاقباط يتولون الاعمال الحسابية او الكتابية وجباية الخراج . وطوائف من الأرمن والسوريين يتعاطون التجارة . والاجانب أكثرهم من الفرنسيين والايطاليين

***

اما الحالة الاجتماعية والادبية فانها تابعة للأحوال السياسية . وهل يرجى من أمة هذا حالها غير التأخر ؟ وقد زار مصر فى أواخر القرن الثامن عشر فولنى الفيلسوف الفرنسى فأدهشه ما رآه فيها من التأخر والفساد ، وهذا قوله عنها : « الجهل عام فى هذه البلاد مثل سائر تركيا وهو يتناول كل الطبقات ويتجلى فى كل العوامل الادبية والطبيعية وفى الفنون الجميلة . حتى الصناعات اليدوية فانها فى أبسط أحوالها . وينذر أن تجد فى القاهرة من يصلح الساعة ، واذا وجد فهو افرنجى . أما الصياغة فأصحابها فيها أكثر مما فى ازمير وحلب لكنهم جهلاء . وانما يتقنون المنسوجات الحريرية وان كانت أقل اتقانا من صنع أوربا وأغلى ثمنا .

أما العلم فوجود مدرسة الازهر فيها جعلها مرجع الطلاب فى الشرق الاسلامى » . وسنعود الى ذكر هذه المدرسة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سـوريا

وما قيل عن مصر يقال عن سوريا لاشتراكهما فى الاحوال السياسية . لكن نورا ضئيلا كان فى سوريا فى أواخر القرن السابع عشر على اثر قدوم البعثات الدينية وانشاء الرهبنات الكاثوليكية كالرهبنة المخلصية والرهبنة الحناوية البلدية والحلبية والرهبنات المارونية . ولكل من هذه الرهبنات أديار وكنائس ومدارس . وقد نبغ فى القرنين الاخيرين قبل هذه النهضة طبقة من العلماء أكثرهم من رجال الاكليروس واكثر مؤلفاتهم فى سبيل الدين مما لا يدخل فى بحثنا هنا . وانما نكتفى بالاشارة الى الذين اشتغلوا منهم بالادب أو اللغة أو التاريخ أو نحو ذلك من أبواب هذا الكتاب

مدينة حلب

فى القرنين السابع عشر والثامن عشر

ومن أكثر المدن السورية نورا فى أثناء تلك الظلمة مدينة حلب ، فانها ازدهرت بنبوغ طبقة من رجال العلم والادب رغم ما أقفل من مدارسها أو نالها من الخراب باستيلاء المغول أو التتر عليها . وقد ذكرنا فيما مر من هذا الكتاب طبقة من الحلبيين وغيرهم من السوريين الذين نبغوا فى العصر العثمانى واكثرهم من المسلمين . ونريد الآن الاشارة الى من نبغ هناك من المسيحيين فى القرنين الاخيرين قبل هذه النهضة . ونكتفى بالذين لهم آثار أدبية ، أو تاريخية ، أو لغوية يرجع اليها . واكثرهم من رجال الدين ، هاك أشهرهم حسب سنى الوفاة :

١ ــ البطريرك مكاريوس الحلبى الارثوذكسى

نبغ فى اواسط القرن السابع عشر

هو البطريرك الانطاكى لطائفة الروم الارثوذكس ، وقد اشتهر برحلة الى القسطنطينية وبلغاريا وروسيا سنة ١٦٥٢ ، كتبت بالعربية ثم ترجمت الى الانجليزية والروسية . ورافقه فى هذه الرحلة الارشيدياكون بولس الحلبى ، ابنه الطبيعى قبل الكهنوت . ودونها فى العربية . وهذه رحلة نادرة المثال فى ذلك العهد . يقول الارشيدياكون فى مقدمتها : « ان البطريرك لم يسافر للنزهة أو الزيارة ولكنه اضطر للسعى فى جمع ما يفى الدين الذى أثقل أبرشيته .. فشخص الى الاناضول والروملى ومقدونيا وموسكو وغيرها » ــ بدأ من حلب فانطاكية فقونية فبروسة فالاستانة . ووصف هذه العاصمة كما كانت فى أواسط القرن السابع عشر وصفا دقيقا . ورحل منها الى البحر الاسود وبلغاريا وملدافيا . ووصف هذه المقاطعة وصفا مطولا بما فيها من المدن سياسيا ودينيا ومنها الى موسكو ، وذكر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أصل القياصرة وأحوال سيبيريا وعلاقة التتر بالروس سياسيا وتاريخيا . ولذلك فالرحلة جزيلة الاهمية فريدة فى بابها

ولم يطبع هذا الكتاب فى أصله العربى لكنه طبع باللغة الانجليزية . وقد نقله اليها بلفور المستشرق الانجليزى وطبع فى لندن سنة ١٨٣٤ فى مجلدين كبيرين . وقد ذكر المترجم ما قاساه من سقم الاصل العربى . وترجمت هذه الرحلة الى الروسية أيضا ، ولا ندرى هل توجد من هذا الكتاب نسخة عربية فى احدى المكتبات .. واذا صح فانها جديرة بالنشر . وللبطريرك مكاريوس المذكور مؤلفات أخرى كنائسية لا يهمنا ذكرها — وانما نذكر له من المؤلفات التاريخية :

١ — أخبار المجامع السبعة الكبار وهو يشتمل على تاريخ تلك المجامع وأعمالها

٢ — أخبار بطاركة الدنيا على الكراسى الاربعة : القسطنطينى ، والاسكندرى ، والانطاكى ، والاورشليمى من زمن الرسل الى أيامه

٣ — التاريخ الرومى العجيب من عهد آدم الى أيام قسطنطين السعيد

٤ — كتاب النحلة . معرب عن اليونانية

وهذه الكتب وسائر مؤلفاته مشتتة فى الاديار

٢ — المطران جرمانوس فرحات الماروني

ولد سنة ١٦٧٠ « ١٠٨١ » هـ وتوفى سنة ١٧٣٢ « ١١٤٥ » هـ

ولد فى حلب وتلقى العلم على أدباء عصره المسيحيين والمسلمين . واتقن اللغات العربية والسريانية واللاتينية والايطالية . ودرس العلوم التى كانت رائجة فى أيامه هناك كالمنطق والفلسفة والخطابة والتاريخ واللاهوت الادبى وغيرها . وترهب سنة ١٦٩٣ ومعه خمسة عشر شاباً على يد البطريرك الدويهى . وأذن له بالاقامة فى دير القديسة مورا فى اهدن . وتقلبت عليه أحوال شتى ليس من شأننا الافاضة فيها

وسافر الى أوروبا فزار ايطاليا وأسبانيا وصقلية وغيرها ، وبحث عن بعض الكتب النادرة . ورحل الى بلاد أخرى وهو يزداد بالرحلة اختبارا ومعرفة وشهرة فانتخب سنة ١٧٢٥ اسقفا على حلب ، وخدم الآداب بجمع مكتبة نفيسة سيأتى ذكرها بين المكاتب. واشتغل بالتأليف حتى وافاه الاجل سنة ١٧٣٢ ، وقد أربت مؤلفاته وترجماته وتصحيحاته على مائة كتاب أكثرها دينية . بينها عدة كتب لغوية وادبية وتاريخية أهمها :

١ — أحكام باب الاعراب عن لغة الاعراب : هو معجم لغوى طبع فى مرسيليا سنة ١٨٤٩ بعناية الكونت رشيد الدحداح الآتى ذكره . وقد صدره الكونت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رشيد بمقدمة استدرك فيها أشياء فاتت المؤلف. وانتقد قاموس الفيروزابادى. واتى على نحو ٢٠٠ كلمة عربية تداولها أهل اللغة ، وفات صاحب القاموس ذكرها . وقد بذل الدحداح قصارى جهده فى اتقان طبع معجم فرحات ، وضبط أكثر ألفاظه بالشكل الكامل . وهو مرتب ترتيب قاموس الفيروزابادى حسب أواخر الكلم . وبلغت صفحاته ٧٥٠ صفحة كبيرة

٢ ــ ديوان شعر : طبع فى بيروت مرارا

٣ ــ بحث المطالب : فى الصرف والنحو طبع مرارا

٤ ــ بلوغ الارب : مطول فى الادب منه نسخة فى مكتبة الآباء اليسوعيين فى بيروت وفى المكتبة البلدية بالاسكندرية. وله كتب أخرى فى القوافى واللغة

٥ ــ تاريخ الرهبنة المارونية وسلسلة البابوات لم نقف عليها

٦ ــ ترجم الانجيل من السريانية الى العربية . وله تصحيحات وترجمات عدة (١) (*)

٣ ــ الشماس عبد الله زاخر الكاثوليكى

ولد فى آخر القرن ١٧ وتوفى سنة ١٧٤٨ « ١١٦٢ هـ »

ولد فى حلب فى أواخر القرن السابع عشر وانتقل الى لبنان سنة ١٧٢٢ وله فضل خاص على آداب اللغة العربية لأنه من مؤسسى المطابع العربية فى سوريا . وهو مؤسس مطبعة الشوير بلبنان وخلف عدة مؤلفات دينية جدلية لا فائدة من ذكرها (**)

٤ ــ الخورى نقولا الصائغ . توفى سنة ١٧٥٦ (١١٧٠ هـ) وهو من الرهبنة المخلصية . كان شاعرا وله ديوان طبع مرارا فى بيروت.

٥ ــ الخورى سابا الكاتب المتوفى سنة ١٨٢٧ اصله من حمص من طائفة الروم الارثوذكس وانحاز الى الكثلكة وتفقه فى علوم عصره العقلية والرياضية والطبيعية وله مؤلفات كثيرة دينية وبعضها رياضية

٦ ــ المطران غريغوريوس عطا ، صاحب مكتبة تعرف باسمه فى بيروت.

٧ ــ الخورى انطون الصباغ

٨ ــ الخورى روفائيل راهبة

٩ ــ الخورى عمانويل الشماع

---

(١) له ترجمة مطولة فى مجلة المشرق السنة السابقة

(*) وراجع كتاب رواد النهضة الحديثة لمارون عبود «طبع دار العلم للملايين ببيروت » ص٣٧ وما بعدها ، والقصة فى الادب العربى الحديث لمحمد يوسف نجم « طبع القاهرة ١٩٥٢ » ص ٥

(**) وانظر فى عبد الله زاخر بحثا ليوسف الصائغ فى مجلة المسرة ، السنة الرابعة ١٩١٣ ص ٢٠١ ــ ٢٠٩ ، ٢٩٢ ــ ٣٠٠ ومقالا لفؤاد البستانى فى مجلة الكتاب ، عدد أكتوبر سنة ١٩٤٨ ص ٣٨٦ ــ ٣٩٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٠ ــ الخورى يواكيم المطران

١١ ــ الاسقف جرمانوس آدم

وغيرهم من رجال الاكليروس واكثر ما ألفوه ديني

عود الى سوريا قبيل هـذه النهضـة

على أن هذا وغيره من نوعه لم يكن كافيا لاضاءة ذلك الجو المظلم ولذلك لما زار فولني سوريا فى أواخر القرن الثامن عشر قال فى وصفها « ان الجهل سائد فى سوريا كما فى مصر وسائر تركيا . وقد انتقد بعضهم هذه الحالة عبثا ولم يأت الكلام عن انشاء الكليات ونشر التعليم والتهذيب بثمر . لأن هذه الالفاظ لها عندهم معان غير ما نفهمه نحن منها . انقضى عصر الخلفاء وليس من العرب أو الترك الآن علماء فى الرياضيات أو الفلك أو الموسيقى أو الطب . ويندر فيهم من يحسن الفصادة واذا احتاجوا الى الـكلى استخدموا له النـار . واذا عثروا بمتطبب أفرنجى عدوه من آلهة الطب . وأما علم النجوم فقد صار عنـدهم للنجامة واسـتطلاع الطوالع . وفى دير مار يوحنا (بالشوير) طائفة من الرهبان لهم اتصال برومية ولا يقلون جهلا عن سواهم واذا قال قائل لهم ان الارض تدور عدوا قوله كفرا لأنه يخالف الـكتاب المقدس .. »

تلك كانت حال الشرق لمـا أقبل القرن التاسع عشر . وقبل دخوله بسنتين طرأ على الشرق طارىء تاريخى مهم اهتزت له أعصابه ــ نعنى دخول الفرنسيين مصر

الفرنسيون فى مصر

من سنة ١٧٩٨ « ١٢١٣ هـ » ــ ١٨٠١ « ١٢١٦ هـ »

نزل بونابرت مصر فى أواخر القرن الثامن عشر . فأقام جنده فيها ثلاث سنوات لم يهدأ فى أثنائها بالهم ولم تستقر أقدامهم والحرب قائمة بينهم وبين المصريين أو العثمانيين . لكنه أتى مع حملته بحملة علمية ، فيها طائفة من العلماء والصناع اغتنموا الفراغ من القلاقل أحيانا وأخذوا فى تأسيس المعاهد العلمية . فأنشأوا فى القاهرة مدرستين لتعليم ابناء الفرنسيين المولودين بمصر وجريدتين فرنسيتين هما : « دكاد اجبسيان » و « كوريه ديجيبت » ومسرحا للتمثيل ومجمعا علميا مصريا ــ وسنعود الى ذلك فى أماكن أخرى

غير ما أقاموه من المصانع والمعامل للورق والاقمشة. وبنوا اماكن للأرصاد الفلكية والرياضيات والنقش والرسم والتصوير فى حارة الناصرية حيث الدرب الجديد . ورمموا ما فيه من بيوت الامراء واستخدموها لتلك الغاية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجعلوا بيت حسن كاشف جركس فى تلك الخطة مكتبة للمطالعة يحضرها من يريد المطالعة منهم فى أوقات معينة من النهار. واذا دخلها أحد الوطنيين رحبوا به واطلعوه على ما أراد من الكتب ولا سيما التى تحمل بين دفتيها الرسوم البديعة وفى جملتها رسم للرسول صلى الله عليه وسلم ورسوم أخرى للخلفاء الراشدين وغيرهم من الائمة والاماكن المهمة . وكان فى مكتبتهم هذه كتب كثيرة عربية . وأفردوا للاشتغال بكل علم دارا ولا سيما الكيمياء فانهم خصصوا لها معملا كبيرا للتقطير والتصعيد واصطناع الخلاصات وسائر الاعمال العقارية . وكانوا يجرون أمام الاهالى بعض التجارب الكيماوية التى تدهش غير العارفين بتواميس الكيمياء

وكانت آداب اللغة فى اثناء ذلك قاصرة على العلوم الاسلامية التى تلقن فى الازهر . واشتهر من علمائها فى ذلك الحين جماعة اختار بونابرت منهم بضعة عشر عالما ألف منهم الديوان الخصوصى (١) : الشيخ خليل البكرى والشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ محمد المهدى والشيخ سليمان الفيومى وقد صوروهم وحملوا صورهم الى فرنسا

وكان الفرنسيون يدعون المصريين الى الفرجة على أسباب مدنيتهم فكانوا يدعونهم الى غرفة المطالعة ويطلعونهم على ما فيها من الكتب النادرة والصور المختلفة . وقد ذكر الجبرتى ما شاهده بنفسه من الصور الفلكية وغيرها . وفصل ما أدخله الفرنسيون من الادوات العلمية ولا سيما المواد الكيماوية وما أدهشه من ظواهرها

وأتى الفرنسيون معهم بمطبعة عربية كانوا يطبعون فيها منشوراتهم وأوامرهم وهى أول مطبعة عربية دخلت هذا القطر وتولى ادارتها المستشرق مارسل

وجاء فى ترجمة السيد اسماعيل الخشاب المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ أن الفرنسيين أنشأوا ديوانا للقضاء بين المسلمين . وانهم كانوا يدونون ما يقع فيه كل يوم ويطبعون من ملخصه نسخا يفرقونها فى الجيش بالقاهرة ، وخارجها وفيها الحوادث الرسمية . وقد عينوا السيد اسماعيل المذكور لتدوين تلك الحوادث (٢) فالنشرة المذكورة كالجريدة العسكرية لنشر الاوامر الرسمية سموها « التنبيه » (*) . وأما أول جريدة رسمية عربية عامة فهى « الوقائع المصرية » الآتى ذكرها

---

(١) تجد تفصيل ذلك فى تاريخ مصر الحديث « طبعة ثانية » ص ٦٧ ج ٢

(٢) الجبرتى ٢٨ ج ٢

(*) للتوسع فى تاريخ الحملة الفرنسية بمصر ومعرفة نتائج ظهور العامل القومى فى الاحداث السياسية راجع الجزءين الاول والثانى من سلسلة تاريخ الحركة القومية لعبد الرحمن الرافعى « طبع القاهرة ١٩٢٩ » وكتاب الحملة الفرنسية وظهور محمد على لمحمد فؤاد شكرى « طبع مطبعة المعارف بالقاهرة ١٩٤٥ »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولاية محمد على وأبنائه

من سنة ١٨٠٥ « ١٢١٦ هـ »

انتاب مصر بعد خروج الفرنسيين منها سنة ١٨٠١ طوارىء مختلفة انتهت بجلوس محمد على على عرش حكومتها سنة ١٨٠٥ وكان همه منصرفا فى أوائل ولايته الى المطامع السياسية بالحروب والفتوح . فأباد المماليك ثم دوخ بلاد العرب وتغلب على الوهابيين باسم الدولة العثمانية . وفتح السودان وحارب المورة . ثم فتح الشام وأوشكت خيول ابنه ابراهيم أن تطأ الآستانة . فتصدت الدول لايقاف ذلك التيار خوفا منه على أوربا فحصروه فى سوريا على أن تكون تابعة لمصر . وأصبحت ولاية محمد على تشتمل على مصر والشام والسودان وبعض بلاد العرب . وحدثت أسباب مختلفة أوجبت رجوع الجنود المصرية من سوريا سنة ١٨٤٠ ، وحصر ولاية محمد على بمصر والسودان على أن تكون الحكومة وراثية فى أبنائه

وقد أخذت مصر من أوائل ولايته فى اقتباس أسباب المدنية الحديثة لتنظيم الجند وتخريج الاطباء ورجال الادارة والصناعة والكتابة ونشر العلم والادب بانشاء المدارس المختلفة وارسال البعوث الى أوربا . وقد استعانت مصر فى ذلك برجال من الفرنسيين وبعض الاتراك . ولما صارت الولاية الى عباس الاول ثم ابنه سعيد توقفت أكثر تلك الاعمال. ثم جاء اسماعيل فعمل المصريون على اتمام ما شرع فيه أسلافهم من اسباب هذه المدنية . فكثرت المدارس والمطابع والجرائد وغيرها . وتكاثر تقاطر الاجانب فى عهد اسماعيل حتى قال عن مصر « انها قطعة من أوربا رغم كونها فى افريقيا » . وكان له مطمع فى الاستقلال فلم يوفق اليه ، وانما نال حقوق الخديوية بأن ينحصر الملك فى ابنائه . ولذلك تاريخ سنأتى عليه مفصلا فى اماكنه

سوريا

أما سوريا فقد تقلب عليها فى أثناء ذلك من حيث السياسة أحوال شتى . كانت فى أوائل القرن التاسع عشر فريسة للولاة المستبدين كالجزار وعبد الله (باشا) ، أو الامراء الطامعين فى لبنان وغيرها . حتى حمل عليها ابراهيم (باشا) سنة ١٨٣٢ وأعانه الامير بشير الشهابى على ذلك ففتحها وطلب ما بعدها ، فأوقفته الدول هناك ، وظلت سوريا تابعة لمصر تسع سنين . ثم رجعت الى سيادة الدولة العثمانية وانسحبت الجنود المصرية وتوالت القلاقل عليها لفساد الاحكام واضطراب الاحوال . فآل ذلك الى مذابح عدة ، آخرها مذبحة سنة ١٨٦٠ فى سوريا ولبنان. فهجر اللبنانيون أوطانهم ونزل جماعة منهم الى بيروت وغيرها ، وتوسطت الدول فوضعت نظام لبنان. ولم يكن ذلك كافيا لاستتباب الأمن ، فعمد أهله الى المهاجرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانوا قد اخذوا بها منذ زمن الفرنسيين ، لان مجيئهم الى الشرق نبه القوم الى ما هم فيه من الضيق ، فأخذوا فى النزوح الى أوربا ومصر والآستانة وغيرها . وزادت المهاجرة بتوالى الاحن ، وأصبحت وجهتها فى الثلث الاخير من القرن الماضى العالم الجديد فى أمريكا ثم مصر ، ولا سيما بعد الاحتلال الانجليزى ، وتمكن الفساد من الحكومة العثمانية . وكان أكثر المهاجرين من المسيحيين لسهولة اختلاطهم بالاجانب

ونزوح اللبنانيين وغيرهم من انحاء سوريا الى بيروت على اثر حوادث سنة ١٨٦٠ أحدث حركة اجتماعية فيها وزاد قدوم الاجانب اليها للتجارة والتبشير فى ظل الامتيازات الاجنبية فتكاثروا بعد ذلك وانشأوا المدارس على اختلاف اغراضها كما سيجىء

على ان نهضة أدبية اجتماعية قد بدأت فى سوريا فى النصف الاول من القرن التاسع عشر وأسبابها :

١ ــ افتتاح أبواب التجارة وتقاطر الاجانب الى بيروت

٢ ــ انتشار مطبوعات بولاق والآستانة ومطابع الآداب الشرقية

٣ ــ نبوغ طائفة من رجال الدولة العثمانية فى العلم والادب . واكثرهم تثقفوا فى أوربا وأحرزوا المناصب الرفيعة فكانوا يشدون ازر المشروعات الادبية. وسيأتى ذكر بعضهم بين أعضاء الجمعية السورية

٤ ــ انشاء المدارس على الطراز الحديث

أما سائر العالم العربى فالمغرب كانت الحروب فيه متواصلة بين الفرنسيين والعرب ولاسيما الامير عبد القادر الجزائرى وآلت الحروب الى دخول الجزائر وتونس فى حوزة الفرنسيين وضعف العنصر العربى هناك . ولم يكن حظ سائر العالم العربى أحسن من ذلك ، الا مصر والشام فانهما كانتا مبعث نور العرفان والمدنية الى سائر تلك البلاد . هذه لمحة من تاريخ القرن الماضى من الوجهة السياسية وعلاقاتها بالاحوال الادبية والعلمية تمهيدا لما يأتى

كلام اجمالى

مميزات هذه النهضة

يختلف هذا العصر عن سائر عصور آداب اللغة كما تختلف أحواله الاجتماعية والسياسية . واهمها تأثير مدنية اوربا فيه . لان الآداب العربية ما زالت منذ ظهور الاسلام ضمن دائرة المدنية الاسلامية ، وان تكيفت مع أطوار المدنية لكنها لم تخرج عن دائرتها وكانت تنمو نموا داخليا بما يدخل فيها من ثمار قرائح أبنائها ، مع ما يقتضيه ناموس

النشوء من التوسع والتفرغ . أما فى هذه النهضة فقد نقل اليها سائر أسباب المدنية الحديثة . وهى تختلف فى شكلها وأسلوبها عن مدنيتنا المسلمين . فانتقل اصحابها من طور الى طور كما انتقلوا فى صدر الدولة العباسية عند ترجمة علوم القدماء الى العربية . لكن الدولة العربية كانت يومئذ فى ابان تكونها ونشاطها فهضمت مادخل عليها من علوم الامم الاخرى وصبغته بصبغتها العربية الاسلامية . أما فى هـذه النهضة فقلب تيار المدنية الحديثة على ابنائها فاضطروا الى السير معه ، رغم ما ادهشهم منه لأول عهدهم به واستغربوه واستهجنوه لمخالفته ما تعودوه

وقد أفاض الجبرتى فى ذكر ما ادهشه من احوال الفرنسيين فوصف موائدهم وكيف يأكلون ويشربون ويلبسون ، وما شاهده من سائر أعمالهم العلمية والكيماوية وكتبهم المصورة وأدواتهم . وهو يمثل بدهشته هذه حال كل شرقى فى أيامه . ولذلك كان الاقدام على تقليد الافرنج فى مدنيتهم شاقا على الشرقيين لما تعلمه من خطر الانتقال الاجتماعى فجأة من حال الى حال — مثل خطر الانتقال من الحرارة الشديدة الى البرودة دفعة واحدة — لـكن الطبيعة تتدارك ذلك بما فطرت عليه الامم من التمسك بعاداتها وتقاليدها وآدابها المتوارثة ولا سيما ما كان متعلقا منهـا بالدين أو الشرع — حتى بناء المنازل وتوسيع الشوارع مما لا علاقة له بشىء من ذلك لا يسهل الانتقال فيه من طراز الى طراز . فكانوا اذا لم يروا بدا منه استعانوا عليه بفتوى شرعية

ذكر المرحوم على (باشا) مبارك فى خططه عند الكلام عن انشاء السكة الجديدة فى القاهرة : ان محمـد على لمـا اتسع نطـاق التجارة وكثر الافرنج فى الموسكى والازبكية ، وتكاثرت المركبات وتعسر السـير داخل الازقة القديمة ، أراد انشاء السكة الجديدة فأصدر أمره بابتياع الاملاك التى تعترض هذا الشارع فى مروره . لـكنه لم يشرع فى فتحه الا بعد أن استفتى العلماء فى ذلك فأفتوه بأن يجعله بحيث يمر فيه جملان حاملان من غير مشقة فقدر ذلك بثمانية أمتار (١) . فاعتبر كم تكون المشقة فى قبول سائر أسباب المدنية التى لها علاقة بالاعتقادات والعادات . فان منشىء الطباعة العربية فى الآستانة لم يقدم على ذلك الا بعد استصـدار الفتوى الشرعية . ولما أراد المصلحون بالامس ادخال العلوم الطبيعيـة على الازهر لم يستطيعوا ذلك الا بفتوى

فلهذه الاسباب كان الاختلاف بين هذه النهضة وما قبلها اكثر كثيرا

(١) الخطط التوفيقية ٨٢ ج ٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مما بين العصر الماضي وما قبله ـ وهو ما عبرنا عنه بمميزات هذه النهضة ، وهاك اهمها :

١ ـ انشاء المدارس الحديثة
٢ ـ الطباعة
٣ ـ الصحافة
٤ ـ روح الحرية الشخصية
٥ ـ الجمعيات الادبية والعلمية
٦ ـ المكتبات العامة
٧ ـ المتاحف
٨ ـ التمثيل
٩ ـ اشتغال الافرنج بآداب اللغة العربية

فنتكلم عن كل منها على حدة ثم نعود الى وصف آداب اللغة العربية والترجمة لأدبائها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المدارس الحديثة

تعنى المدارس التى انشئت على نظام مدارس أوربا لتعليم العلوم الحديثة . وكانت مصر والشام اسبق سائر العالم العربى لاقتباسها . فنقصر كلامنا على تاريخ المدارس فى هذين البلدين . ولكل منهما عامل ساعد على ذلك يختلف عن العامل الذى ساعد الآخر . ونقدم الكلام فى تاريخ المدارس المصرية لأنها أسبق الى الظهور وأسرع فى النمو

تمهيد فى التعليم بمصر قبل هذه النهضة

المدارس الحديثة فى مصر

وقبل التقدم الى هذه المدارس نقول كلمة فى حال المدارس قبلها . وقد جاء شيء من ذلك فى اماكن مختلفة من هذا الكتاب . وكتبنا فصولا عنها فى تاريخ التمدن الاسلامى (ج ٣) وفى الهلال سنة ١٥و١٩ وغيرها .

وانما يهمنا هنا حال التعليم فى مصر فى أول القرن التاسع عشر قبل دخول التعليم الحديث . وكان مركز التعليم الاسلامى يومئذ فى مدرسة الازهر . وكانت هذه المدرسة مبعث نور العرفان لمصر وغيرها من العالم الاسلامى

الازهر

هو اقدم المدارس المصرية ومن اقدم المدارس الكبرى فى العالم على الاجمال ، لأنه انشيء منذ نحو الف سنة وبندر فى مدارس العالم الكبرى اليوم مدرسة مر عليها عشرة قرون ولا تزال باقية . وقد توالت على الازهر احوال شتى بين عسر ويسر . وله فضل خاص على آداب اللغة العربية ، لانه احتفظ بها فى اثناء الاجيال المظلمة

ولما نهضت مصر فى عهد محمد على وعنيت بتخريج المعلمين أو الصناع الماهرين أو غيرهم ممن تستعين بهم فى نهضتها استعانت بطلبة الازهر فاختارت منهم طائفة أرسلتهم الى أوربا لتلقى العلم أو الطب أو تعلم الطباعة والفنون الاخرى . ولا يزال حتى الآن مجتمع الشبيبة الاسلامية المصرية وغير المصرية تأتيه من اقطار العالم الاسلامى على اختلاف الاجناس واللغات . وبين طلاب الازهر : العربى والتركى والسودانى والفارسى والهندى والجاوى والشركسى والافغانى والصينى وغيرهم وكلهم يتلقون العلم فيه باللغة العربية . فهو أكبر وسيلة لنشر هذا اللسان وتأييده

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاريخه القديم

بنى جامع الازهر القائد جوهر فاتح مصر للخلفاء الفاطميين فى اواسط القرن الرابع للهجرة . وكان الغرض من بنائه اقامة الشعائر الدينية وتأييد مذهب الشيعة العلوية لاختلاط السياسة بالدين فى ذلك العهد . وبذلوا جهدهم فى تقريب العلماء فاستقدموهم من سائر أقطار العالم الاسلامى وأجروا عليهم الارزاق وفرقوا فيهم الاموال . وكانت أكثر مجالسهم فى الازهر على عادة الفقهاء يومئذ فتزاحمت فيه الاقدام . وكانوا كلما ضاق بهم وسعوه بأبنية ينشئونها بجانبه ، ويوسعون دوره حتى أصبحت سعته الآن نحو ١٢٠٠٠ متر وكانت أقل من نصف ذلك

وكانت أعطية الفقهاء فى أول الامر على غير قياس أو ميقات . فلما افضت الخلافة الى العزيز بالله ثانى الخلفاء الفاطميين سنة ٣٦٥ هـ أمر وزيره يعقوب بن كلس أن يرتب للفقهاء أرزاقا معينة وأن يبنى لهم منازل يقيمون فيها بجانب الجامع . وكانوا يأتون المسجد فى بادىء الامر لصلاة الجمعة وقراءة الفقه على رأى الشيعة والوعظ والمباحثة . فتدرجوا من القراءة الى التعليم حتى أصبح الجامع مدرسة كبرى ، أكثر دخلها مما وقفه لها الخلفاء والامراء ، ويقدر دخله السنوى اليوم بعشرين الف جنيه

تاريخه الحديث

ظل الازهر مدرسة شيعية طول مدة الفاطميين (نحو مائتى سنة) حتى غلب عليهم صلاح الدين وأخذ البيعة للخليفة العباسى ، فصارت خطته سنية ولا تزال كذلك الى الآن . وكانت علوم الازهر فى أول أمره قاصرة على الفقه وعلوم الدين ، ثم دخلت فيه الرياضيات والنجوم وبعض العلوم الطبيعية . على انها لم تكن بالشىء المهم وانما كانت اهمية الازهر قائمة على العلوم الاسلامية واللغوية . وأغفل ما سواها بتوالى الاجيال ولا سيما فى القرون المظلمة على عهد المماليك . ولما انتبه المسلمون الى شئونهم العلمية فى أواخر القرن الماضى اهتم العقلاء باصلاح الازهر وأرادوا ادخال العلوم الطبيعية والرياضية فيه . لكنهم خافوا أن يفاجئوا الناس بهذا الاصلاح لانه يخالف ما رسخ فى اذهانهم من تقبيح العلوم الطبيعية وما يبنى عليها واتهام أصحابها بالكفر . فرأت الحكومة أن تمهد لذلك بفتوى من كبار الفقهاء . فاستفتت المرحومين الشيخ محمد الانبابى شيخ الجامع الازهر ، والشيخ محمد البنا مفتى الديار المصرية فى : « هل يجوز تعليم المسلمين العلوم الرياضية كالهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الاجزاء المعبر عنها بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف» فأجاب الشيخ الانبابى جوابا مؤرخا فى أول ذى الحجة سنة ١٣٠٥ هـ خلاصته جواز تعليم تلك العلوم مع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بيان النفع من تعلمها. وصادق الشيخ البنا على هذه الفتوى بتاريخ ٧ منه
تم تصدى المرحوم الشيخ محمد عبده لاصلاح الازهر ، وتطبيق علومه على حاجة الأمة فى هذا العصر فلقى مقاومة شديدة من المحافظين على القديم . وانتهت المساعى باضافة مبادىء الهندسة والجغرافية والعلوم العقلية والانشاء والأدب . لكن روح المرحوم محمد عبده انتشرت فى الازهر ، فنشأ من تلاميذه طائفة حسنة من مستقلى الفكر ومحبى الاطلاع على العلوم الحديثة وتفهم الامور والتمييز بين النافع والضار من العلوم

وطلبة الازهر الآن (١٩١٤) يزيد عددهم عن عشرة آلاف طالب على اختلاف الاجناس واللغات تسعة أعشارهم من المصريين. تقيم كل طائفة منهم فى رواق خاص بها ينسب اليها فللمصريين ١١ رواقا. لكل جهة من جهات القطر رواق خاص بها كرواق الصعايدة والبحيره والفيومية وغيرها. ولغير المصريين ١٦ رواقا : لأهل الحجاز ودارفور والشام والعراق والمغرب وجاوه وافغانستان والاتراك وسنار وأهل بورنو والحبشة واليمن والاكراد والهنود والنوبة والدكارنة . وتختلف هذه الأروقة سعة باختلاف عدد سكانها ، وللرواق قوانين وشروط ودرجات (١) . وفى الازهر مكتبة سيأتى ذكرها (*)

المدارس المصرية فى أيام محمد على

أنشئت المدارس فى عهد محمد على لأسباب طبيعية اقتضتها الاحوال السياسية ، وكان أول ما أنشىء منها المدرسة الحربية سدا للحاجة الى جند منظم ثم أنشئت سائر المدارس

المدارس الحربية

١ ـ المدرسة التجهيزية الحربية فى قصر العينى

تولى محمد على ولاية مصر سنة ١٨٠٥ هـ وصادق الباب العالى على ولايته . لكنه ظل خائفا من المماليك لئلا تسنح لهم فرصة يثبون بها عليه كما كانوا يفعلون مع سواه من الولاة . فسبقهم وفتك بهم بقلعة القاهرة سنة ١٨١١ وقبض على أموالهم وأملاكهم وأباح نساءهم وبيوتهم كما هو مشهور . وكان فى جملة ما قبض عليه من أموالهم عدد كبير من صغار المماليك الشراكسة . فانتقى أكبرهم سنا وجعلهم فى جملة الجند القائم على حراسته فى قصره ، واستبقى صغارهم فى القلعة يتربون فيها على

(١) تفصيل ذلك فى الهلال سنة ١٥ .

(*) انظر فى الازهر رسالة فى تاريخه لمصطفى بيرم « طبع مطبعة التقدم ١٣٢١ هـ » وكنز الجوهر فى تاريخ الازهر لسليمان رصد الحنفى «القاهرة ١٣٢٢ هـ» ولمحة فى تاريخ الازهر لعلى عبد الواحد وافى «القاهرة ١٩٣٦ م» وتاريخ الجامع الازهر لمحمد عبدالله عنان « القاهرة ١٩٤٢» وتاريخ الازهر فى ألف عام لمحمد عبد المنعم خفاجى « القاهرة ١٩٥٥ » ودائرة المعارف الاسلامية

جارى العادة فى تربية الشبان المماليك عند الامراء فى ذلك العهد استعدادا للخدمة العسكرية أو غيرها . فكانوا يحفظونهم القرآن ويعلمونهم الخط واللغة التركية والرياضة البدنية والحركات العسكرية وركوب الخيل

وكان محمد على كبير المطامع لا يقنع بالولاية فحدثته نفسه بتوسيع دائرة سلطانه وعلم ان ذلك لايتأتى له الا بجند منظم فعزم سنة ١٨١٦ أن يؤلف جندا على النظام المتبع فى اوربا . فلقى من جنده الالبانى مقاومة شديدة ، لأن ذلك النظام يذهب بأهميتهم ويضعف نفوذهم . فرأى أن ينفذ مشروعه بعيدا عنهم فانتخب أكبر أولئك المماليك ، وارسلهم الى الصعيد يتعلمون النظام العسكرى الحديث على أساتذه من الافرنج . وعلم ان هؤلاء التلاميذ لايلبثون أن يصيروا جندا فتفرغ أماكنهم فى تلك المدرسة . فانشأ فى قصرالعينى سنة ١٨٢٥ مدرسة اعداديه سماها المدرسة التجهيزية الحربية أدخل فيها نحو ٥٠٠ شاب بعضهم من صغار المماليك والبعض الآخر من أبناء الاتراك والاكراد والالبانيين والارمن واليونان وغيرهم ممن كانوا فى خدمته وليس فيهم وطنى واحد . فكانوا يعلمونهم القرآن والنحو وآداب اللغة التركية والفارسية والعربية . وأما لغة التعليم فهى التركية . ونظرا لأنهم ينوون ادخالهم المدرسة الحربية كانوا يعلمونهم مبادىء الحساب والهندسة والجبر والرسم واللغة الايطالية ، لأن أكثر أساتذة المدرسة الحربية كانوا يومئذ من الايطاليين

وكان محمد على راغبا فى سرعة تنظيم الجند فأوفد جماعة من أولئك المماليك الى ليفورن وميلان وفلورنسا ورومية سنة ١٨١٦ لدرس الحركات العسكرية وبناء السفن والطباعة والهندسة وغيرها من الفنون الحربية — أشار عليه بذلك الاساتذة الايطاليون — وكان قد بدأ بارسال الطلبة لهذه الاغراض منذ سنة ١٨١٣ . ثم أرسل شبانا آخرين سنة ١٨١٨ الى انجلترا لدرس الميكانيكيات وسلك الأبحر ونواميس السائلات (١)

وأما المدرسة التجهيزية المشار اليها فاستمرت فى التقدم وصاروا يعدون فيها الطلبة للطب أيضا بعد انشاء مدرسة الطب كما سيجىء . وكان فيها مكتبة عدد كتبها ١٥٠٠٠ مجلد فى اللغات الفرنسية والايطالية والعربية وبلغ عدد تلاميذها نحو ٨٠٠ طالب أكثرهم من أبناء المماليك

٢ — مدرسة أركان حرب فى أبى زعبل

ثم عمد محمد على الى انشاء المدرسة الحربية على أساس فرنسى . وقد أشار عليه بذلك الحاج عثمان نور الدين (بك) من أعوانه العقلاء . وكان قد

(١) Artine Pacha, L'Instruction Publique en Egypte 29. وغيره .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سافر الى باريس وأقام فيها سنتين (١٨١٩ ــ ١٨٢٠) فأوعز اليه أن يكون أساتذة هذه المدرسة من الفرنسيين. فأنشأها سنة ١٨٢٥ قرب أبى زعبل بجوار القاهرة على بعد ٤٠٠ متر من المعسكر العام . وسماها « مدرسة أركان حرب » وجعلها على نظام مدارس فرنسا الحربية لتخريج الضباط . وبلغ عدد تلاميذها فى السنة التالية ٨٨ تلميذا كانوا يتعلمون فيها الرياضيات والرسم والجغرافية الحربية والطبجية وهندسة الحصون وسائر العلوم الحربية . واللغات الفرنسية والتركية والفارسية ، واكثر أساتذتها من [illegible] Planat يقدم تلاميذها للامتحان بعد ثلاث سنوات وينال الفائز الشهادة الدالة على كفاءته العسكرية (*)

مشروعاته الاخرى والبعثة العلمية الاولى (**)

ثم رأى الحاجة ماسة الى اطباء لتطبيب الجند فأنشأ المدرسة الطبية فى أبى زعبل سنة ١٨٢٦ ، وكان هناك مستشفى كبير يسع ١٦٠٠ مريض ، عهد بادارتها الى الدكتور كلوت (بك) كما سيجىء . ثم اخذ فى سائر مشروعاته الاصلاحية فى الصناعة والتجارة والعلم ، وآماله فى الاصلاح متجهة نحو فرنسا ، وتعجيلا لثمار سعيه فى اعداد الجند المنظم وتطبيبه ، والعمل على استخراج المعادن ، واستثمار الارض وانشاء المعامل وغيرها ، رأى أن يرسل من يتعلم ذلك الى فرنسا فاختار بضعة وأربعين شابا من أمم مختلفة عهد بادارة شئونهم الى المستشرق الفرنسى جومار . وعين لكل جماعة منهم العلوم التى يتعلمونها وهى البعثة العلمية الاولى : وهذه أسماؤهم ، ومكان ولادتهم ، وما ذهبوا لطلبه من العلوم والفنون :

تلاميذ البعثة المصرية العلمية الاولى الى باريس سنة ١٨٢٦

اسم الطالب	مكان ولادته	سنه
لتعليم الادارة المدنية		
عبدى (افندى) المهردار الآستانة		٢٩
أرتين (افندى) أرمنى	«	٢٢
سليم (افندى)	جورجيا	١٩
محمد خسرو	جورجيا	٢١
للادارة العسكرية		
مصطفى (افندى) مختار	قوله	٢٤
راشد (افندى)	«	٢٤

(*) راجع فى تاريخ المدارس الحربية لهذا العهد كتاب التعليم فى مصر لامين سامى « طبع مطبعة المعارف ١٩١٧ » ولمحة عامة الى مصر لكلوت ترجمة محمد مسعود « طبع مطبعة ابى الهول بالقاهرة » وتاريخ التعليم فى عهد محمد على لعزت عبد الكريم « طبع القاهرة » ص ٣٨٦ ومابعدها وماذكره من مراجع

(**) قد يفهم من كلام المؤلف ان هذه البعثة اولى بعثات مصر الى اوربا فى زمن محمد على ومعروف انه سبقتها بعثتان : اولاهما الى ايطاليا سنة١٨١٣ ، والثانية الى فرنسا سنة١٨١٨ اما هذه البعثة فهى الثالثة ، وهى كبرى البعثات فى تلك الايام واهمها اثرا فى تاريخ مصر الثقافى وقد تلتها بعثات مختلفة الى فرنسا والنمسا وانجلترا . انظر تاريخ التعليم فى عهد محمد على لعزت عبد الكريم ص ٤٣٤ ــ ٤٥٣ . وراجع كلام المؤلف السابق عن المدارس الحربية

اسم الطالب	مكان ولادته	سنه
أحمد (افندى)	قوله	٢٥
سليمان (افندى)	شركسى	١٨
للادارة البحرية		
حسن الاسكندرانى		٣٧
محمود (افندى)	شركسى	٢١
محمد شنان (افندى)	شركسى	٢٠
للسياسة		
اسطفان(افندى)	أرمنى	سباسطية ٢٢٠
خسرو (افندى)	أرمنى	الآستانة ١٨
لتواميس السائلات		
مصطفى محرمجى		القاهرة ١٧
محمد بيومى		القاهرة ١٧
للطب والجراحة والتشريح الخ		
على هيبة		القاهرة ١٨
محمد الدشطوطى		» ٢٣
للزراعة		
يوسف (افندى)	أرمنى	٢٣
خليل محمود		القاهرة ٢٠
للتاريخ الطبيعى والمعادن		
على حسن		القاهرة ١٨
أحمد النجدلى		القاهرة ١٦
احمد (افندى)	يونانى	١٨
للميكانيكيات		
الشيخ احمد العطار		القاهرة ٢٧
للهندسة العسكرية		
مظهر (افندى)		القاهرة ١٧

اسم الطالب	مكان ولادته	سنا
سليمان(افندى)	البحيرى	القاهرة ١٨
على (افندى)	جورجيا	١٨
للطبجية		
عمر (افندى)	شركسى	٢٠
سليمان لاز (افندى)	طرابزون	٢٥
لاصطناع الاسلحة ومسابك الحديد		
أمين (افندى)		الآستانة ..
أحمد حسن حنفى		القاهرة ١٨
للطبع والحفر		
حسن الوردانى		القاهرة ١٧
محمد أسعد		» ١٥
للكيمياء		
عمر الكومى		القاهرة ١٨
احمد يوسف		» ٢٠
احمد شعبان		» ١٧
يوسف العياضى		» ١٨
للترجمة		
الشيخ رفاعه		طهطا ٢٤
تلامذة عادوا الى مصر		
لأغراض غير معينة .		
الشيخ محمد الرقيقة		
ابراهيم وهبه		
الشيخ العلوى		
امين (افندى)		
احمد (افندى)		
تلامذة سافروا الى طولون ومرسيليا		
حسين (افندى)		
قاسم الجندى (٦)		

يظهر من هذا الجدول ان البعثة العلمية الاولى الى فرنسا كان عددها ٤٤ طالبا ، عاد منهم ٣ والباقون ٤١ بينهم ثلاثة رؤساء هم : عبدى (افندى) المهردار فى الادارة المدنية ، ومصطفى (افندى) مختار الدويدار فى الادارة العسكرية ، والحاج حسن الاسكندرانى فى البحرية (٢) يبقى ٣٧ طالبا ، منهم ٤ أرمن مسيحيون ، و ٢٤ مسلمون بينهم ثلاثة مشايخ

وقد كان لهذه البعثة دوى فى عالم الادب بأوربا ولا سيما فى باريس .

(١) Journal Asiatique 1828. (٢) الذهب الابريز لرفاعة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فعنى بعض المصورين بتصوير أفراد تلك البعثة كما راوهم بأزيائهم الشرقية وعمائمهم العربية لتحفظ فى المتاحف . وطبع آخرون من تلك الصور نسخا قليلة يعز وجودها

وسنأتى على تراجم الذين نبغوا وخلفوا آثارا تستحق الذكر . كما نأتى على تراجم النابغين من البعوث الاخرى وغيرها

ديوان المدارس

هذه هى الخطوة الاولى التى خطتها مصر فى عهد محمد على نحو انشاء المدارس العلمية . ثم ارسلت بعوث أخرى فى أوقات مختلفة . فبلغ عدد الذين أرسلوا الى أوربا أفرادا وجماعات (بين سنة ١٨١٣ و ١٨٤٩) ٣١٩ شخصا ، أنفق عليهم ٢٢٣٢٣٣ جنيها . واتخذ محمد على من نوابغ أولئك الطلبة معلمين ومترجمين لمدارسه واطباء لجنده وموظفين لحكومته وعمالا فى ادارته . وتعددت المدارس وكانت تابعة فى أول أمرها للعسكرية ، فأنشأ لها ادارة خاصة سنة ١٨٣٦ سماها ديوان المدارس ، وهى التى سميت بعد ذلك نظارة المعارف . واليك أعضاء ديوان المدارس عند أول تكوينه:

كلوت (بك)

كيانى (بك)

ارتين (بك) (والد يعقوب باشا ارتين)

هكيكيان (بك)

وارين (بك)

رفاعه (بك)

محمد بيومى (افندى)

لامبر

هامون

دوزول (سكرتير)

وبين أعضاء هذا الديوان جماعة من تلاميذ البعوث الذين تخرجوا فى باريس . وعين رئيسا لهذا الديوان مصطفى مختار الدويدار المتقدم ذكره . وعرف بمختار (بك) . فهو أول ناظر للمعارف بمصر

وكان تلامذة المدارس الوطنيون الى ذلك العهد لا يزالون قليلين . ولم يكونوا ينضمون الى تلك المدارس الا كرها . فلما راوا ما ناله المتعلمون من المناصب والرواتب جعلوا يتكاثرون ، فأخذ محمد على فى انشاء مدارس ابتدائية وثانوية فى أنحاء القطر . واصبح التعليم كله باللغة العربية . واستعان بالمتقاعدين

من ضباط الجيش المتخرجين فى أوربا. وفى سنة ١٨٣٩ أصبحت المدارس الكبرى فى القاهرة ١٦ مدرسة ، هذه أسماؤها مع سنى تأسيسها :

مدرسة الموسيقى العسكرية	تأسست	سنة	١٨٢٤
المدرسة التجهيزية الحربية فى قصر العينى	»	»	١٨٢٥
مدرسة الطب والصيدله	»	»	١٨٢٦
» الكيمياء العملية	»	»	١٨٢٩
» المشاة	»	»	١٨٣١
» الفرسان	»	»	١٨٣١
» الطبجية	»	»	١٨٣١
» البحرية	»	»	١٨٣١
» طب الحيوان	»	»	١٨٣١
» التعدين	»	»	١٨٣٤
» الهندسة	»	»	١٨٣٤
» الزراعة	»	»	١٨٣٧
» الولادة	»	»	١٨٣٧
» الادارة المدنية والحسابات	»	»	١٨٣٧
» الألسن والترجمة	»	»	١٨٣٧
» الصنائع والفنون	»	»	١٨٣٩

وبلغ عدد التلاميذ فى المدارس كلها نحو ٩٠٠٠ تلميذ تنفق الحكومة على تعليمهم ولبسهم وطعامهم وسكنهم . والسبب فى الانفاق عليهم ان معظمهم فى الاصل من غلمان المماليك فهم ملك الحكومة وهى بالطبع مكلفة باعالتهم . فلما استكثرت من التلاميذ الوطنيين عاملتهم تلك المعاملة فجعلت تعليمهم مجانا . ولم يكن لها بد من ذلك اذ كانوا يدخلون تلك المدارس رغم ارادتهم وهم يكرهون التعليم فيها كما كانوا يكرهون الجندية . وظل ذلك شأن التعليم بمصر الى آخر أيام محمد على سنة ١٨٤٨ (*)

المدرسة المصرية فى باريس

ولما افضت ولاية مصر الى ابنه ابراهيم ، توقع الناس تغييرا فى التعليم ، لأنه كان قد أعد أصلاحا مهما على اثر رحلته فى أوربا ، ولكن الأجل عاجله قبل مباشرة العمل. وكان ديوان المدارس قد نظر منذ تأسيسه سنة ١٨٣٦

(*) فصل عزت عبد الكريم الحديث عن هذا الديوان فى كتابه : تاريخ التعليم فى عهد محمد على ص ٩٣ — ١٢٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى التعليم العالى وفرر عجز مصر عن القيام به لسببين : الاول خلوها من اساتذة قادرين على تدريس العلوم العالية ، والثانى خلو اللغه العربية من الكتب اللازمه لهذه العلوم — ولهذين السببين قررت الحكومة الاستمرار فى ارسال التلاميذ الى اوربا للتفقه فى العلوم العالية . لكنها اصبحت لا ترسل غير النجباء المتخرجين فى المدارس الكبرى . ولم يكن بد للتلاميذ المشار اليهم من معرفة لغه البلاد التى سيتمون علمهم فى مدرستها . فانشأوا لهذه الغاية مدرسة مصرية فى باريس يديرها اسطفان (بك) من تلاميذ البعثة الاولى . معه وكيل ارمنى اسمه خليل (افندى) جراكيان . واما الاساتذة فعينتهم نظارة الحربية الفرنسية من ضباط جندها

فأرسلت الحكومة المصرية الى هذه المدرسة نحو اربعين طالبا ، فيهم جماعة من أمراء العائلة الخديوية . وفى جملتهم حليم وحسين ابنا محمد على واحمد واسماعيل (الخديوى) ابنا ابراهيم . واتفق ان ابراهيم (باشا) مر بتلك المدرسة فى اثناء سياحته بأوربا ومعه سكرتيره نوبار (باشا) فاعجب بنجاحها من حيث التعليم . لكنه انتقد تقصيرها فى التربية لأن التلاميذ كانوا يرسلون اليها وهم فى حدود الشباب . فارتأى ان يأتوها وهم بين الثامنة والتاسعة من العمر ليتعلموا ويتربوا معا . وعزم انه حالما يرجع الى مصر، يأمر رجاله جميعا بارسال اولادهم الى هذه المدرسة وهم احداث . لكن المنية عاجلته والثورة الفرنسية آلت الى اقفال المدرسة سنة ١٨٤٨

المدارس المصرية فى عهد اسماعيل

توقفت هذه الحركة الفكرية المباركة فى زمن عباس الاول وسعيد (١٨٤٩ — ١٨٦٣) لانهما كانا راغبين فى الحربة عن سواها ، فأقفلت اكثر المدارس المصرية وغيرها من عوامل هذه النهضة . ومن اسباب اقفالها ان المتخرجين فى تلك المدارس زادوا عن حاجة الحكومة الى موظفين . لأن الغرض الاصلى من التعليم كان يومئذ تخريج عمال للحكومة أو ضباط للجند . فلما فرغت الدولة المصرية من حروبها ، والغيت احتكارات الحكومة واقفلت المعامل التى كان قد انشأها محمد على لتلبية مطالبه ، زاد عدد الشبان المتعلمين تعليما عاليا على المناصب الخالية . واصبح جماعة منهم عالة على الحكومة فلما تولى عباس (باشا) ألغى المدارس العالية الا المدرسة الحربية (*)

فلما افضى الحكم الى اسماعيل (باشا) سنة ١٨٦٣ ، اخذت مصر فى احياء هذه المدارس . ولم تكن فى مصر عند أول حكمه الا مدرسة واحدة

(*) انظر فى الحركة التعليمية لعهد عباس وسعيد وانتكاسها : كتاب التعليم فى مصر لامين بسامى وتاريخ التعليم فى مصر لعزت عبد الكريم « من نهاية حكم محمد على الى اوائل حكم توفيق » « طبع القاهرة ١٩٤٥ » الجزء الاول ومابه من مراجع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابتدائية ، ومدرسة حربية ، ومدرسة طبية وصيدلية . فأخذ فى انشاء المدارس للعلم والهندسة والطب والحربية نحو ما فعل جده قبله . وعاد الى ارسال البعوث . واصبح غرض التعليم غير محصور فى تخريج الموظفين بل يراد به ايضا ترقية نفوس الأمة واحياء آداب العرب . وحدثت فى أيامه نهضة ادبية بمن وفد على مصر من رجال الأدب من كل الطوائف . فكان من جملة سعيه فى سبيل هذه النهضة تنشيط التعليم وتنظيمه . فأنشأ نظارة المعارف وعهد اليها بتنظيم المدارس على نمط جديد . فألحقوا المدرسة الحربية بنظارة الحربية وسموا ما بقى من المدارس « المدارس الملكية » تحت نظارة المعارف العمومية . وقسموها الى ثلاث طبقات باعتبار درجة التعليم : ابتدائية وثانوية وعليا . وانشأوا مدارس لم تكن من قبل كمدرسة الادارة (ثم صارت مدرسة الحقوق) ، ومدرسة دار العلوم ، ومدرسة الصنائع والفنون فى بولاق ، ومدرسة المعلمين . وأعادوا مدرسة الألسن لتخريج شبان يتولون الترجمة والتحرير فى الدواوين .

ولم تمض عشر سنوات من حكم اسماعيل حتى كمل نظام هذه المدارس ، وعنيت الحكومة بانشاء الكتاتيب فى سائر انحاء القطر . فبلغ عددها بضعة آلاف ، وزاد عدد التلامذة على مائة الف وفى جملتها مدارس للبنات . غير ما انشاه الاجانب من المدارس الخصوصية ، وأكثرها لجماعة المرسلين من الطوائف النصرانية (*)

المدارس المصرية فى عهد الإحتلال

لما احتل الانجليز مصر سنة ١٨٨٢ ، كانت المدارس قسمين : أميرية وغير أميرية ، فضلا عن الازهر . والاميرية طبقتان : ابتدائية ، وعددها ٥٣٧٠ مدرسة ، تشتمل على ١٣٧٥٥٣ طالبا . وثانوية وعددها ٢٧ مدرسة فيها ٤٦٦٤ طالبا . غير المدرسة التجهيزية ومدارس الفنون والمهن العملية ، كالطب والهندسة والمساحة والعمليات والادارة والصناعة وغيرها . وكانت قاعدة التعليم فى هذه المدارس اللغة العربية . والعلوم تعلم بكتب عربية وفى جملتها الرياضيات والطبيعيات والكيمياء والتاريخ العام والجغرافيا . غير المهن العلمية التى ذكرناها . واما اللغات الاجنبية فكان التلميذ يخير بين الفرنسية والانجليزية والالمانية فيتعلم اللغة التى يريدها . ومن أراد اتقان هذه اللغات دخل مدرسة الألسن ومن هذه المدرسة يخرج المترجمون . ناهيك بالبعثات التى كانت ترسلها الحكومة الى أوربا لاتقان بعض العلوم . وكان التعليم فى المدارس الاميرية مجانا

(*) راجع فى المدارس المصرية لعهد اسماعيل : تاريخ التعليم فى مصر لعزت عبد الكريم فى الاجزاء الثلاثة ، وهو يفيض بالاحصاءات والمراجع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم اخذت الحكومة بعد الاحتلال فى تنظيم المدارس على نسق جديد . فتقلبت على أحوال شتى . وأهم ما حدث فيها اقفال مدرسة الألسن ، وافغال البعثات الى أوربا ، وابطال التعليم المجانى ، وجعل قاعدة التعليم باحدى اللغتين : الانجليزية ، والفرنسية . وقلت العناية باللغة العربية ـ رويدا رويدا ـ فبعد أن كانت معظم ساعات التدريس عائدة الى اتقانها ، اخذت تتحول الى اللغات الاخرى تدريجا ، حتى صارت ساعات التدريس للعربية اقل من ساعات التدريس لسواها

فضعف شأن اللغة العربية ، وقامت قيامة الصحف فى اوائل هـذا القرن تطلب الرجوع الى التعليم باللغة العربية ، فلم يسمع نداؤها الا منذ بضع سنوات . لـكن فكرة نشر التعليم راجت فى القطر المصرى . واضطرت الحكومة أن تهتم بانشاء الـكتاتيب ، فبلغ عدد ما انشـأته ٣٧٩٤ كتابا . ثم تألفت مجالس المديريات لانشاء المدارس ، كل مديرية تنشىء المدارس لنفسها وتتولى التعليم على حدة . وتنفق على ذلك من ضريبة اضافية اذنت الحكومة للمديريات بضربها على العقار سنة ١٩١١ قيمتها خمسة فى المائة . فبلغ عدد مدارس هذه المجالس الى الآن ٩٣ مدرسة ، غير ٣٩ مدرسة أخرى تنفق عليها

وزادت رغبة المصريين فى تعليم أولادهم بأوربا . واتفق بعضهم مع نظارة المعارف فى العام الماضى (١٩١٣) أن تتولى هى امر أولئك الطلبة وارشادهم وتعينت لذلك لجنة سموها « لجنة ارشاد الطلبة المصريين » وبلغ عدد الطلبة الذين يطلبون العلم على نفقتهم لهذا العام ٦١٤ طالبا ، منهم ٣٧٣ فى بلاد الانجليز ، و١٣٩ فى فرنسا ، و٦٤ فى سويسرا . وقد دخل من هـذا المجموع نحو النصف تحت رعاية اللجنة المشار اليها اكثرهم فى بلاد الانجليز

ويضيق المقام عن ايراد عدد ما فى مصر من المدارس الاميرية وغير الاميرية وتاريخ انشائها . لـكننا ننقل خلاصة ذلك للسنة الماضية ١٩١٣ عن الاحصاء السنوى الرسمى الذى تصدره الحكومة المصرية . وفيه عدد المدارس الوطنية وعدد الـكتاتيب وتلاميذها لسنة ١٩١٣

عدد المدارس بمصر		عدد التلاميذ فيها
٨٠٧	المدارس المصرية	١١٤٠٥٣
٣٧٩٤	الـكتاتيب «	٢٣١٣٧٦
عدد المدارس الاجنبية		**عدد تلاميذها**
٦	المـانية	١١٢٨
١٢	تمساوية	١٨٤٤

٣٢	امريكية		٥٣٠٣
٣٧	انجليزية		٢٦٣٦
٤٢	يونانية		٧١٤٢
٤٧	ايطاليـة		٦٨٨٨
١٤٥	فرنسية		٢٢١٧٥
٣٢٨ = ٧	جنسيات أخرى	١١٨٧ = ٤٨٣٠٣	
٤٩٢٩ (جملة المدارس)		٣٩٣٧٣٢ (جملة التلاميذ)	

واليك احصاء المدارس المصرية حسب تبعيتها أو ادارتها :

عدد التلاميذ	المدارس	الجهة التابعة لها
١٤٧٧٤	٦٨	مدارس أميرية
١٩٩٤٢	١٥	» تابعة لمجلس الازهر
٤٠٣٢	٢١	» تنفق عليها الاوقاف
٩٦٦٨	٩٣	» تابعة لمجالس المديريات
٥٩٥١	٣٩	» لها اعانة من مجالس المديريات
١٠٠٣٢	٥٠	» تابعة للجمعيات الخيرية الاسلامية
١٦٥١٩	١٦٣	» اسلامية أهلية
١٢٨٠٦	٩٧	» تابعة للجمعيات الخيرية القبطية
٧٨٦٩	١٥٠	» قبطية انجيلية
٩٠٧٠	٩١	» قبطية اهلية
١٧٩٦	١٢	» اسرائيلية
١٥٩٤	٨	» من جنسيات أخرى غير اسلامية
١١٤٠٥٣	٨٠٧	(الجمـلة)

فعدد المدارس المصرية وغير المصرية فى القطر المصرى نحو ٥٠٠٠ مدرسة عدد تلاميـذها كلها نحو ٤٠٠٠٠٠ تلميذ ، وهو قليل بالنظر الى البلاد الراقية لأن سكان هذا القطر نحو ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ فتكون نسبة التلاميذ الى مجموع السكان ثلاثة ونصف فى المائة ، ونسبة ذلك فى الممالك الراقية أكثر كثيرا . فهى فى الولايات المتحدة ٢٤ فى المائة وفى انجلترا نحو ١٧ وفى اليابان ١٦ وكذلك فى المانيا والنمسا و ١٥ فى فرنسا وايطاليا . واخيرا تأتى روسيا ونسبة عدد التلاميذ فيها الى عدد السكان نحو ٥ فى المائة . وقد رايت أنها فى مصر ثلاثة ونصف فقط

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وزد على ذلك ان العلوم التى تلقى فى المدارس المصرية اقل مما تقتضيه روح العصر . فالتعليم الثانوى الذى يمنح البكالوريا ، علومه اقل من علوم امثاله فى الممالك المتمدنة . وكذلك اكثر المدارس الفنية فى الطب والحقوق والهندسة وغيرها . والحكومة تعول فى استيفاء تعليم بعض التلاميذ بارسالهم الى مدارس أوربا

ولكل من المدارس المصرية العالية تاريخ ليس هنا محل الافاضة فيه ، وانما نكتفى بتلخيص تاريخ مدرسه الطب ، لعلاقتها بالعلوم الدخيلة التى سيأتى الكلام عنها

المدرسة الطبية المصرية

تاسست فى ابى زعبل سنة ١٨٢٦

لهذه المدرسة اهمية كبرى فى هذه النهضة ، لأن عليها المعول فى تخريج الاطباء . واكثر نقلة العلوم الدخيلة والطبيعية من تلاميذها . وهى اقدم المدارس العالية بمصر لأن الغرض الاصلى منها عسكرى كما تقدم . والفضل الاكبر فى انشائها للدكتور كلوت (بك) ، استقدمه محمد على سنة ١٨٢٥ طبيبا لجيشه ، وقد وثق به ، فاشار الدكتور بانشاء المستشفى العسكرى بابى زعبل ، ثم مدرسة الطب . وان لا ينحصر تعليم الطب فى الجند بل يكون عاما . فعوض اليه محمد على القيام بهذا العمل ، فانشأ المدرسة الطبية فى ابى زعبل سنة ١٨٢٦ واستقدم لها الاساتذة من فرنسا . غير من استفدمهم محمدعلى من الاطباء والصيادلة للخدمة فى الجيش المصرى ، وبلغ عددهم ١٥٤ طبيبا أكثرهم من الفرنسيين والايطاليين . ولما صدر الأمر لكلوت (بك) بانشاء مدرسة الطب تولى هو ادارتها وتعليم الجراحة فيها واخذ فى العمل . فلم تمض عشر سنوات حتى تخرج فيها ٤٢٠ طبيبا وصيدليا للجيش ، كانوا يتعلمون فى تلك المدرسة ويمارسون العمل فى مستشفاها

مستشفى ابى زعبل

وكان مستشفى ابى زعبل مربع الشكل ، فى وسطه حديقة أولها ٢٠٠ متر فيها المغارس اللازمة للدروس النباتية . غير المعدات التشريحية والكيماوية التى لابد منها للدروس الطبية . وكان ذلك المستشفى يقسم الى ستة اقسام حسب الامراض وانواعها . لكنه لم يكن فى اول امره حائزا على النظافة لقرب المدافن منه . وكان المرضى فيه يسمعون احيانا عويل الضباع ليلا لوحشة المكان فيستيقظون من رقادهم مذعورين . فعزم كلوت (بك) ان ينقل المدرسة الى الاسكندرية او الى جزيرة الروضة ، فلم يوفق الى ذلك الا سنة ١٨٣٧ فنقلها مع المستشفى الى قصر العينى . وكان العسكر قد فرغ من الجند لذهاب معظمهم الى سوريا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العقبات التى اعترضت كلوت (بك)

واعترضت كلوت (بك) عقبات كبيرة فى سبيل عمله هذا . وكان الناس يستبعدون تخريج الاطبـاء من الوطنيين ، وبعضهم يعد ذلك مستحيلا لـكنه اكتفى بأن يكون محمد على نصيره فى عمله فأفلح . وظلت مدرسة الطب المصرية وحيدة فى العالم العربى نحو اربعين سنة ، ريثما انشئت المدرسة الـكلية الامريكية فى بيروت

ومن اهم تلك العقبات تشريح الجثث ، فكانوا فى أول الامر يشرحون انـكلاب ، ثم أذن لهم بتشريح جثث النصارى والعبيـد . وأن ينقلوا الجماجم والعظام من المدافن المهجورة . واخيرا أذن لهم بتشريح سـائر الموتى ، ولا سيما الذين يتوفون فى مستشفى قصر العينى

غير ما لاقاه كلوت (بك) فى أثناء العمل من توالى الاوبئة على مصر ولاسيما الطاعون والكوليرا . فقد ذكروا أن الكوليرا التى انتابت مصر سنة ١٨٣١ بلغ عدد موتاها فى القاهرة وحدها ٣٦٠٠٠ نفس ، وبلغ عدد وفيات الطاعون سنة ١٨٣٤ نحو ٤٠٠٠٠٠ نفس فى القطر المصرى كله منهم ٣٠٠٠ فى القاهرة ، وتوالى الطاعون على مصر أيضا سنة ١٨٣٦ و١٨٤٠ فضج الناس ووقع الرعب فى قلوبهم ، ومحمد على يستحث الدكتور كلوت (بك) على استنباط الحيل لتقليل الوفيات . فكان من جملة مساعيه فى ذلك تلقيح الناس به على مبدأ التلقيح بالجدرى . فأمر أن يلقح الجند بالطاعون وهم فى حال الصحة فخافوا . فلم يقدر على اقناعهم حتى لقح نفسه أمام جمهور من الاطباء والاعيان فى مستشفى كان بالازبكية . فعل ذلك فى ١٥ من مارس سنة ١٨٣٥ بين يدى طائفة من الاطباء والصيادلة وكبار موظفى الحكومة. دعاهم الى قاعة المطعونين فى ذلك المستشفى ، وكشف عن ذراعه وتناول المادة الطاعونية من بثرة أحد المطعونين ، ولقح بها نفسه على مشهد من الناس

وناهيك بالمشقة العظمى التى لقيها فى لغة التدريس ، لأن الاساتذة لم يكونوا يعرفون اللغة العربيـة ، والتلامذة لا يعرفون اللغة الفرنسية ، ومحمد على يريد استثمار عمله سريعا . فلم يصبر حتى يتعلم التلاميذ اللغة الفرنسية ، أو يتعلم الاساتذة اللغة العربية ، ويضعوا فيها المؤلفات اللازمة للتدريس ، أو على الاقل ريثما ينقل التراجمة تلك الـكتب الى العربية ويطبعونها ليسهل تناولها — لـكنه أمر بالقاء الدروس قبل أن يتم شىء من ذلك ، وأقام المترجمين بين المعلمين والتلاميذ ولا يخفى ما فى ذلك من المشقة . لـكن الهمة العالية تذلل كل صعب

كيفية القاء الدروس الطبية فى أول امرها

كان المعلم يأتى الى الصف ومعه المترجم ، فيشرح المعلم درس ذلك اليوم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمترجم يتلو هذا الدرس بالعربية على التلاميذ وهم يكتبونه فى دفاترهم ، واذا اشكل عليهم فهم شيء استوضحوه ، فيوضحه لهم المعلم بواسطة المترجم ، وعلى كل فرقة عريف يراجع الدروس للتلاميذ ، وهؤلاء يقدمون كل شهر امتحانا عن دروسهم ، ويقام البارعون منهم عرفاء عليهم

ولتعجيل الاستفادة من فن الطب انشأ كلوت (بك) مدرسة للغة الفرنسية يتعلم فيها تلاميذ الطب هذه اللغة فى ساعات الفراغ ، ليستعينوا بها فى مطالعة العلم فى الكتب الفرنسية ، وفى آخر كل سنة يقام امتحان عام يحضره الوجهاء والاعيان والقناصل وغيرهم ، تلقى فيه الخطب ونحوها . وبعد خمس سنوات يتم الطالب دروسه ويعين فى الآليات أو المارستانات أو غيرها

البعثة الطبية الاولى

وارتأى كلوت (بك) أن يستعين فى تثقيف تلاميذه بارسالهم الى فرنسا ليتقنوا فن الطب . فانتخب سنة ١٨٣٢ اثنى عشر تلميذا من النبهاء أخذهم بنفسه الى باريس ، وامتحنوا بحضور الجمعية العلمية الطبية ، فشهدت لهم بالبراعة . وكانت الاسئلة تطرح عليهم بالفرنسية ويجيبون بها لانهم اتقنوها فى المدرسة التى تقدم ذكرها فنالوا الشهادات وهذه أسماؤهم :

أحمد الرشيدى	حسن الرشيدى	محمد منصور
ابراهيم النبراوى	حسين الهياوى	عيسوى النحراوى
مصطفى السبكى	محمد الشباسى	محمد السكرى
محمد الشافعى	أحمد بخيت	محمد على النقلى

وقد عنى المصورون بتصوير هذه البعثة الطبية كما صوروا البعثة العلمية الاولى

كل ذلك ومدرسة الطب لا تزال فى أبى زعبل . وفى سنة ١٨٣٧ نقلوها الى القاهرة ووضعوها فى قصر العينى كما تقدم ومعها المستشفى ، وعرفت من ذلك الحين بمدرسة قصر العينى ، ولا تزال تعرف به الى الآن . وفى تلك السنة أمر محمد على بانشاء فرع طبى فى الاسكندرية كالمستشفى ، وآخر فى حلب لأجل تمرين المتخرجين بمدرسة الطب المصرية ، وبلغ عدد من دخل مستشفى الاسكندرية للسنة التالية ٩٥٠٠ مريض ، ولم يطل بقاء مستشفى حلب لخروج سوريا من حوزة الدولة المصرية

مدرسة القوابل

وانشأ محمد على سنة ١٨٤٢ فرعا لدرس فن القبالة يتعلم فيه النساء لمعالجة النساء ، أو توليدهن مراعاة للعادات الشرقية . وانشأ لهن مستشفى خاصا . لكنه لقى فى ذلك مشقة ، لأن النساء الوطنيات نفرن من هذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدراسة لبعدها عن مألوفهن . فأدخل فيها بعض الجوارى الحبشيات وأمر أن تمنح الحكيمة التى تتم دروسها منهن رتبة بكباشى مع التصريح لها بدخول قصور الكبراء . ومن أشهر أولئك القوابل تمرهان الحبشية والدة جليلة تمرهان . وهذه أيضا تعلمت القبالة وعلمتها فى تلك المدرسة فى زمن اسماعيل . وقد الغيت هـذه المدرسة بعد ادخال النظام الجديد على مدرسة الطب وعوضوا عنها بمدرسة التمريض لاخراج الممرضات

طبع الـكتب الطبية

وكانت الهمة مبذولة من الجهة الاخرى فى طبع الكتب الطبية العربية فى مطبعة انشأها محمد على فى أبى زعبل ، ولم تمض بضع سنوات حتى ظهرت عدة كتب طبية تعليمية عليها نمر متسلسلة حسب ظهورها ، وفى آخر كل كتاب تاريخ طبعه ، وبلغ عدد الـكتب الطبية التى طبعت فى تلك المطبعة عشرة ، أولها كتاب القول الصريح فى علم التشريح تأليف الدكتور كلوت (بك) طبع سنة ١٨٣٢ ، وآخرها كتاب الأربطة الجراحية تأليف ابراهيم (بك) النبراوى طبع سنة ١٨٣٨ ، وطبعت فيها كتب أخرى غير هذه سيأتى ذكرها (*)

النظـام الجديد فى مدرسـة الطب

وما زال التعليم فى المدرسة الطبية باللغة العربية يتخرج فيها الاطباء والعلماء يعلمون بالعربية ويؤلفون فى العربية ، وهم نخبة رجال هذه النهضة وعليهم كان المعول فى نقل العلوم الحديثة بالترجمة أو التأليف أو التلخيص ــ ظلوا على ذلك نحو سبعين سنة ، ثم رأت الحكومة سنة ١٨٩٨ أن تغير مناهج هذه المدرسة ، فأدخلت فيها اصلاحات كثيرة ، من حيث اتقان المعدات والادوات ، وادخال العلوم الحديثة ، وانشاء المعامل الكيماوية والمكروسكوبية . لـكنها جعلت صبغتها انجليزية ــ وذلك انها كانت تعطى دبلوما عاليا ، فجعلوا شهادتها سنة ١٨٩٠ بسبطة وابطلت الدبلوم . ثم استقدمت الحكومة مديرا من كبار مديرى المدارس الطبية فى لندن ، وطلبت اليه أن يرفع تقريرا فى الاصلاح اللازم لهذه المدرسة . فأشار بضم المستشفى والمدرسة الى ادارة واحدة ، وذكر اصلاحات تتعلق بالدروس والاساتذة ولغة التدريس وغير ذلك . وكان التعلم مجانا ، والمدرسـة تساعد التلاميذ برواتب شهرية فأبطل هذا كله وصار الطالب يدفع راتبا سنويا . وفى سنة ١٨٩٨ جعلوا التعليم فيها باللغة الانجليزية وضمت المدرسة الى المستشفى. وجعل نظامها يشبه نظام مدرسة الطب فى جامعة

(*) انظر فى مطبعة ابى زعبل كتاب تاريخ مطبعة بولاق مع لمحة فى تاريخ الطباعة فى بلدان الشرق الاوسط لابى الفتوح رضوان « طبع المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٥٣ » ص ٢٥٤ ــ ٢٥٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لندن. وأصبح الطالب بعد أن يتم دروسه فى قصر العينى يسوغ له أن يمكث سنة فى تلك الجامعة ثم ينال شهادتها . وتأييدا لعلاقة هذه المدرسة بتلك الجامعة يأتى منها مندوب كل سنة لحضور الامتحان النهائى فى هذه المدرسة. وهذا جدول رؤساء هذه المدرسة أو نظارها من أول انشائها الى الآن :

رؤساء أو نظار مدرسة الطب

الدكتور كلوت (بك)	سنة ١٨٢٧	الدكتور محمد على (بك)	سنة ١٨٦٧
« دقنو (بك)	١٨٣٧	« محمد شافعى (بك)	١٨٧٠
« برون	١٨٣٩	« محمد على (بك)	١٨٧٣
« محمد شافعى (أفندى)	١٨٤٧	« جلياردو (بك)	١٨٨٣
« راير	١٨٥٦	« محمد (بك) القطاوى	
« حسن (أفندى) عارف	١٨٥٩	« عيسى (باشا) حمدى	١٨٨٣
« ارنو (بك)	١٨٦٢	« حسن (باشا) محمود	١٨٨٩
« بورجير (بك)	١٨٦٣	« ابراهيم (باشا) حسن	١٨٩١
« حافظ (افندى) محمد	١٨٦٣	« كيتنج	١٨٩٨

وسنأتى على تراجم الذين اشتهروا من متخرجى مدرسة الطب فى باب العلوم الدخيلة (*)

الجامعة المصرية

ويجدر بنا قبل ختام الكلام فى المدارس المصرية ، أن نقول كلمة فى « الجامعة المصرية » ، لأن لها مهمة تمتاز عما لسواها من المدارس الاميرية وغير الاميرية

لما صار التعليم فى المدارس الاميرية باللغات الاجنبية ، وانحطت طبقات التعليم فى تلك المدارس وغيرها ، شعر عقلاء الأمة بهذا النقص ، فأخذوا يتحدثون بالتعويض عن ذلك بانشاء المدارس الاهلية التى ينفق عليها الاهلون . ولم يكونوا قد تعودوا ذلك من قبل ، فأنشأوا عدة مدارس لم تغن فتيلا أو انها لم يطل بقاؤها لكثرة النفقات . فاتجهت الانظار الى انشاء كلية مصرية كبرى تجمع لها الاموال وتوقف لها الاوقاف ليضمن بقاؤها . وكنا قد اقترحنا انشاء هذه الكلية منذ بضع عشرة سنة بمقالات متوالية فى السنة الثامنة من «الهلال» فما بعدها . وبينا شدة الحاجة الى هذه المدرسة للتعليم والتربية . ولكن لسبب لا نعلمه لما قام رجال

(*) توسع عزت عبد الكريم فى الحديث عن مدرسة الطب بكتابه : تاريخ التعليم فى عهد محمد على ٢٥١ ـ ٣٢٤ وراجع التعليم فى مصر لامين سامى ولمحة عامة الى مصر للدكتور كلوت مؤسس هذه المدرسة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاصلاح لترقية التعليم الاهلى على قواعد ثابتة سنة ١٩٠٦ اقترحوا انشاء « جامعة مصرية » ترجمة University الانجليزية ، فتوجهت الانظار الى أن تكون المدرسة المذكورة على نسق جامعات أوربا ...

اقترح هذا المشروع رسميا مصطفى (بك) كامل الفمراوى ، من أعيان بنى سويف فى أكتوبر سنة ١٩٠٦ ، وافتتح الاكتتاب بخمسمائة جنيه تبرع بها ، واستحث الأمة على انشاء جامعة مصرية . فكان لهذا الاقتراح وقع حسن عند كرام الوطنيين ، فاجتمع جمهور منهم فى منزل سعد (باشا) زغلول وشكلوا لجنة تحضيرية رئيسها سعد (باشا) وسكرتيرها قاسم (بك) أمين ، وأمين صندوقها حسن (بك) سعيد . فاكتتب الحاضرون بمبلغ ٤٥٨٥ جنيها ، وقرروا ما رأوه من حيث غرض الجامعة وكيفية تأسيسها (١) . وأخذ مجلس ادارة الجامعة يجمع المال . فاعترض سعيهم الازمة المالية سنة ١٩٠٧ ، لكنهم ثابروا على العمل بهمة ونشاط . فلم تمض سنة حتى ظهرت تباشير النجاح ، فاكتتبت نظارة الاوقاف بأمر الخديوى بخمسة آلاف جنيه تدفعها كل سنة ، ووهب حسن (باشا) زايد خمسين فدانا من أطيانه وقفا على المشروع ، وتوالت الاكتتابات والوقفيات بعد ذلك . فاكتتبت نظارة المعارف بألفى جنيه كل سنة ، ووقف بعض أهل البر أطيانا وأبنية ، فتوطدت الآمال وتقرر افتتاح الجامعة ، فاحتفلوا بافتتاحها فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ احتفالا رسميا (٢)

وفتحت الجامعة أبوابها ، وأخذت فى العمل بارسال البعوث الى أوربا لتخريج أساتذة وطنيين يعلمون العلوم باللغة العربية ، واستقدموا أساتذة مؤقتين من الافرنج وغيرهم ، لالقاء المحاضرات فى العلوم الفلسفية ، والاجتماعية ، والتاريخية ، وآداب اللغة ، كما تفعل أرقى جامعات أوربا. لكن ذلك وراء ما نحتاج اليه من العلوم . ونحن نعتقد أننا فى حاجة الى العلوم الطبيعية والرياضية وغيرها من الفنون التعليمية التى تنقص المدارس الثانوية المصرية ، فضلا عن تربية الاخلاق الراقية وهى لازمة لزوم العلوم أو أكثر ، فكتبنا فى « الهلال » ٢٧٢ سنة ١٧ مقالة ضافية بينا فيها حاجة البلاد الى هذه العلوم ، واقترحنا تعديل طرق القاء الدروس فى الجامعة ، وفعل ذلك سوانا من محبى مصر ، فأخذت الجامعة فى تعديل خطتها ، وقررت سنة ١٩٠٩ ارسال شبان مصريين لتلقى العلوم الطبيعية وغيرها مما كنا التمسناه ، وأدخلت فى السنة التالية تحسينات أخرى ، وفتحت فرعا لتعليم المرأة ، وقررت فى السنة التالية انشاء

(١) تفصيل ذلك فى الهلال ٧٤ سنة ١٥
(٢) نصها فى الهلال ٢٤٢ سنة ١٧ .

قسمين عاليين لتدريس الفنون الادبية ، والعلوم الاقتصادية وغير ذلك ، ولا تزال عاملة على التحسين فى كل يوم حسب حاجة البلاد وما تسمح به ماليتها ، وما زال المصريون يأخذون بناصرها حتى شادوا بناءها سنة ١٩١٤ وقد أصبحت ماليتها الآن عبارة عن ٢٠٠٠٠ جنيه مودعة فى البنك الالمانى ، و ١٠٢٨ فدانا من أجود الاطيان ، غير الاعانات المفروضة وهى عشرة آلاف جنيه كل سنة ، منها ٥٠٠٠ جنيه من الاوقاف ، و ٢٠٠٠ جنيه من نظارة المعارف ، والباقى من ريع النقود والاطيان وغيرها (١)

(١) تفصيل ذلك فى الهلال ٥٦٥ سنة ٢٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المدارس الحديثة في سوريا

للمدارس الحديثة فيسوريا تاريخ يختلف عن تاريخ المدارس فى شقيقتها مصر ، فقد علمت ان الباعث على انشاء المدارس المصرية الرغبة فى النهوض بالأمة المصرية ، واحياء آداب اللغة العربية . أما سوريا فكان الباعث على انشاء المدارس فيها منافسة البعوث الدينية او البعثات التبشيرية

التعليم فى سوريا

قبل هذه النهضة

وقبل النظر فى انشاء المدارس فى القرن التاسع عشر ، ننظر فى حال التعليم على الاجمال قبل دخول ذلك القرن . كانت المدارس الاسلامية فى سوريا فى الجوامع ، والزوايا ، اكبرها مدرسة الجامع الأموى فى دمشق ، ولا يزال مدرسة اسلامية الى الآن

وكان فى دمشق وحلب وحمص وغيرها مدارس اخرى اسلامية فى غير المساجد على نحو ماكان بمصر ، لكن من أراد التبحر فى العلم لايستغنى عن مدرسة الازهر . ولايزال ذلك دابهم فى العلوم الاسلامية الى اليوم . وكان فى دمشق مدارس للشيعة انشأها مشايخ بيت على الصغير المتاولة

أما المدارس النصرانية قبل هذه النهضة ، فأقدمها فى لبنان للطائفة المارونية غير ما كان منها فى حلب للرهبنات المختلفة كما تقدم ، وللموارنة فضل السبق فى انشاء المدارس فى لبنان من عهد بعيد ، فى أهدن وصوفر وبقرقاشة فى شمالى لبنان ، ومنها مدرسة أسسها البابا غريغوريوس سنة ١٥٨٤ ، وكان أساتذة هذه المدارس بوجه الاجمال من الكهنة الا نادرا . ناهيك بالمدارس الصغرى التى كانوا ينشئونها فى الاديرة ويسمونها « انطوش » ، مثل انطوش جبيل انشىء سنة ١٧٦٢ ، وانطوش زحلة عام ١٧٦٩ ، وانطوش دير القمر عام ١٧٨٢ ، وغيرها

ومن المدارس القديمة مدرسة عجلتون ، انشئت عام ١٧٥١ ، ومدرسة وادى شحرور عام ١٧٥١

واشهر المدارس المارونية التى انشئت فى القرن الثامن عشر « مدرسة عين ورقة » ، وكانت ديرا على اسم مار انطونيوس ، فجعلها البطريرك يوسف اسطفان عام ١٧٨٩ مدرسة على مثال مدرسة رومية ، وكانت تعلم فيها اللغة السريانية والعربية والفصاحة والمنطق وعلم اللاهوت

ثم انشئت مدارس كثيرة ، كمدرسة مار عبدا هرهريا عام ١٨٣٠ ؛ ومدرسة ريفون عام ١٨٣٢ ، ومدرسة مار يوحنا ماروت ، وغيرها مما لا محل لذكره هنا . والساعي في انشاء هذه وأمثالها الرهبنات الدينية

وكان للروم الكاثوليك مدارس في عين القش وعين تراز ، وللروم الارثوذكس مدارس صغيرة في الكنائس والاديرة

الطور الاول قبل سنة ١٨٦٠

المدارس السورية في هذه النهضة

تقسم هذه المدارس الى طورين : الاول قبل سنة ١٨٦٠ ، والثاني بعده ، وأكثر البعوث الدينية سعيا في انشاء المدارس في الطور الاول الآباء العازاريون واليسوعيون والمبعوثون الامريكيون ، وأقدمهم العازاريون انشأوا مدرسة عينطورا بلبنان سنة ١٨٣٤ ، ولا تزال قائمة الى الآن . ثم انشأ القس وليم طمسن الامريكي مدرسة في بيروت عام ١٨٣٥ ، تعطلت عام ١٨٤٠ ، وفي تلك السنة قدم الدكتور فانديك الشهير الى سوريا فجال فيها واختبر احوالها ، فرأى البلاد تحتاج الى المدارس العليا ، فأنشأ مدرسة عبية (لبنان) عام ١٨٤٧ ، وهي مدرسة عالية ، وفي هذه السنة انشأ الآباء اليسوعيون مدرستهم في غزير (لبنان) والمنافسة بين الامريكيين واليسوعيين في انشاء المدارس في سوريا من الامور المألوفة (*)

على ان الاجانب لم ينشئوا المدارس الكبرى في بيروت الا في الطور الثاني على اثر حوادث سنة ١٨٦٠ المشئومة ، ومهاجرة اللبنانيين وغيرهم الى بيروت ، وبها تبدأ النهضة الحقيقية

الطور الثاني بعد سنة ١٨٦٠

مدارس البنات

اقدم مدارس هذا الطور في بيروت انشئت للبنات ، لأن المهاجرين المنكوبين كان اكثرهم من الأرامل والأيتام ممن فقدن أزواجهن وآباءهم في اثناء تلك الحادثة ، وأسبق تلك المدارس الى هذه الخدمة « المدرسة الانجليزية » انشأتها مسز بوين طمسن سنة ١٨٦٠ ، وتعرف الآن بمدرسة مسز موط ، ثم المدرسة الكلية الانجيلية الامريكية للبنات انشئت سنة ١٨٦١ ، ولا حاجة بنا الى بيان ما كان لهاتين المدرستين من العمل العظيم في نهضة السوريين بسبب ما لتعليم البنات من التأثير المشهور في ترقية الأمم ، وتفرع من هاتين المدرستين بعد ذلك مدارس كثيرة في بيروت ولبنان ، نبغ منها نخبة من ربات المنازل ، فعمرن البيوت ، وأصلحن

(*) انظر في المدارس السورية : كتاب الاداب العربية في القرن التاسع عشر لشيخو « طبع بيروت ١٩٢٤ » الجزء الاول ص ٤٨ وما بعدها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شئون الهيئة الاجتماعية . ثم انشئت مدارس أخرى للبنات منها مدرسة الراهبات العازريات، ومدرسة راهبات المحبة والناصرة، ومدرسة بروسيا، ومدرسة مس تيلر ، ومدرسة زهرة الاحسان للروم الارثوذكس وغيرها

وحدث بسبب ذلك نهضة تعليمية ، واقدم أهل البر على انشاء الكليات للذكور، ومنها الكليات الوطنية والكليات الاجنبية ، ونقتصر من ذلك على مدارس بيروت ، وهى من أرقى مدارس العالم من حيث التعليم لكثرة ماقيها من الكليات ، وبينها مدرستان طبيتان ، ومدرسة حقوق، ومدرستان تجاريتان . فنتكلم أولا عن الكليات الوطنية ، ثم الكليات الاجنبية

المدارس الكلية الوطنية فى بيروت

تنبه السوريون على أثر تلك النهضة الى حاجة البلاد ، فاخذوا فى انشاء المدارس من عند انفسهم ، وهى التى سميناها المدارس الوطنية ، اقدمها « المدرسة الوطنية » للمعلم بطرس البستانى وهو السابق الى هذه المنقبة مثل سبقه فى أشياء كثيرة من أسباب هذه النهضة ، ومثل سبق طائفته الاصلية (الموارنة) الى التعليم قبلا . أنشأ مدرسته هذه سنة ١٨٦٣ ، وكانت مزدهرة ونبغ منها طائفة من الادباء وأرباب الاقلام ، هم زهرة سوريا فى ذلك العهد ، وبينهم جماعة من أرباب المناصب العالية الآن. وكانت ممتازة بصبغتها الوطنية ، وحرية الدين والتعليم ، لكنها تعطلت سنة ١٨٧٦ ، وكانت الطوائف الاخرى قد أخذت تعمل مثل عمله

فانشئت المدارس الكلية الوطنية للطوائف الاخرى ، أهمها المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك ، انشئت سنة ١٨٦٥ ، وهذه ظهر من تلامذتها جماعة من الادباء ، ثم مدرسة الثلاثة الاقمار للروم الارثوذكس ، كانت فى سوق الغرب ، ونقلت الى بيروت سنة ١٨٦٦ ، وكان لها شأن بين المدارس الوطنية

ومدرسة الحكمة للمطران يوسف الدبس ، انشئت سنة ١٨٦٥ ، وهى للطائفة المارونية ، والمدرسة الوطنية الاسرائيلية للحاخام زاكى كوهين ، انشئت سنة ١٨٧٤ ، وهى اكبر مدرسة اسرائيلية ، وقد أقفلت منذ بضع وعشرين سنة وتوفى صاحبها فى مارس من هذا العام عند أبنائه بمصر عن نيف وثمانين سنة . وهو أول من انشأ الكليات العربية الاسرائيلية

والمدرسة الرشدية أقدم مدارس المسلمين الحديثة ، ومدرسة دار المعلمين ، وكلتاهما للحكومة ، والكلية العثمانية الاسلامية أحدث كليات بيروت الوطنية انشئت بعد الدستور وكانت قبلة صغيرة نهارية فانشأوا فيها سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠٠) قسما داخليا ، ولما أعلن الدستور جعلوها

كلية وسموها « الكلية العثمانية الاسلامية » تعلم علوم الكليات الكبرى ، ويديرها مجلس من نخبة أدباء بيروت ، ووجهائها المسلمين ، برئاسة الشيخ أحمد عباس الازهرى ، ويؤخذ من بيانها السنوى انها عازمة على انشاء فرع لتعليم الحقوق وآخر للتجارة ، وهى من أقوى عوامل النهضة الاسلامية فى بيروت . ومن المدارس الاسلامية فى بيروت المدرسة العثمانية فيها قسم داخلى ، وهى من أقدم مدارسهم الاهلية

وفى الدولة العثمانية الآن نهضة حديثة لانشاء المدارس العالية فى العالم العربى ، منها مدرسة كلية عالية فى المدينة ، ومدرسة للحقوق فى بيروت

المدارس الكلية الاجنبية فى بيروت

قد رأيت أن البيروتيين سبقوا الاجانب الى انشاء الكليات الكبرى فيها. ثم أقدم الامريكيون على انشاء كليتهم الشهيرة ، واقتدى بهم سواهم

الكلية الامريكية

انشأها المبعوثون الامريكيون فى بيروت سنة ١٨٦٦ وكانت مدرستهم فى عبيه تعلم علوم الكليات الكبرى من الرياضيات والطبيعيات وغيرها ، وقد تقدم انها انشئت سنة ١٨٤٧ ، فهى أقدم الكليات العربية فى سوريا على النمط الحديث . وقد تخرج فيها طائفة من العلماء كانوا من جملة أركان هذه النهضة فى سوريا ، ومن معلمى مدارسها الكبرى ، وكان البستانى منشىء المدرسة الوطنية من جملة أساتذتها . ولما عمرت بيروت بعد حوادث سنة ١٨٦٠ انشأ الامريكيون المدرسة الكلية التى نحن فى صددها ، والفضل الاكبر فى انشائها الى الدكتور دانيال بلس . كان مرسلا للتبشير فى سوريا سنة ١٨٥٦ ، فرأى البلاد فى حاجة الى كلية علمية تمهد للطلبة تلقى العلوم الفنية كالطب وغيره . فاقترح على زملائه انشاء هذه الكلية فأهملوا اقتراحه . لكنه ثبت وسافر الى أمريكا لجمع المال اللازم ، فنجح ، وتألفت لجنة للعمل تحت رئاسة عضويها الدكتورين فانديك وورتبات . وما زال هو رئيسا للمدرسة حتى أقعدته الشيخوخة ، فتولاها ابنه الدكتور هورد بلس منذ بضع عشرة سنة . فتحت الكلية أبوابها وعدد تلاميذها ٤٦ وهم الآن نحو ألف طالب . وكان أساتذتها ثلاثة فأصبحوا الآن بضعة وثمانين أستاذا ومعلما ، وكانت علومها محصورة فى الطب وبعض فروع العلم ، فتعددت فروعها ، وأقيمت لها الابنية حتى صارت كالجامعة الكبرى ومؤلفة من عدة كليات : (١) الاستعدادية (٢) الكلية العلمية (٣) الطبية (٤) الصيدلية (٥) طب الاسنان (٦) التجارية (٧) الآثار القديمة (٨) المرصد الفلكى . وفى عزمها انشاء فرع للحقوق ، وآخر للهندسة ، وآخر للزراعة ، ويسمونها عند ذلك «جامعة» . وقد تخرج فى الكلية الامريكية الكتاب والاطباء والعلماء والصيادلة والمعلمون ، وفى جملتهم طائفة من أرباب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصحف والمجلات ، وارباب المناصب العالية فى دوائر الحكومة بمصر ، وسوريا ، غير التجار والصناع . ويقدر المتخرجون من أبناء هذه المدرسة ببضعة آلاف منتشرين فى أنحاء العالم (١)

وتمتاز الكلية الامريكية بالتدريب على استقلال الفكر وباحياء الآداب العربية ، لأنها كانت منذ نشأتها تعلم العلوم باللغة العربية . فهان على تلاميذها التأليف فى هذا اللسان ، فكثر المؤلفون ونبغ الخطباء فيها .

وأساتذتها الاولون هم الذين قاموا بنقل العلوم الطبية والطبيعية والرياضية الى اللغة العربية ، كما سترى . لكنها عدلت عن التدريس باللغة العربية منذ ثلاثين سنة وجعلته باللغة الانجليزية

الكلية اليسوعية

هى للآباء اليسوعيين أنشأوها أولا فى غزير ، ثم نقلوها الى بيروت سنة ١٨٧٤ ، وهى تعلم اللغات والآداب ، والطبيعيات والرياضيات ، والتجارة والفلسفة والفلك ، والتاريخ الطبيعى وسائر العلوم الطبيعية . وقد تخرج فيها مئات من الطلبة بينهم طائفة من الكتاب والمؤلفين والشعراء وغيرهم . وكانت تعلم باللغة العربية فعدلت عنها الى الفرنسية ، ولها فرع طبى أنشىء سنة ١٨٨٣ للتعليم باللغة الفرنسية . وتنفق عليها الحكومة الفرنسية . وقد تخرج فيها طبقة من خيرة الاطباء المشاهير . وانشأوا فيها فرعا للحقوق ، وسينشئون فروعا أخرى بحيث يصدق عليها اسم الجامعة

المدارس السورية خارج بيروت

اكتفينا ببيروت مثالا لحركة التعليم فى سوريا . لكننا نقول كلمة فى كيفية انتشار التعليم الحديث فى سائر مدن سوريا فى دمشق وحلب وحمص وحماة وطرابلس وفى لبنان وغيرها . والغالب انها فعلت ذلك اقتداء ببيروت ، ولكل منها تاريخ خاص بها من حيث التعليم والمدارس . ويقال بالاجمال ان المحرك الرئيسى لانشاء المدارس فيها انما هو المنافسة الطائفية بعد انتشار مدارس التبشير الاجنبى . فنهضت الطوائف النصرانية الوطنية لانشاء المدارس . ثم أخذت الحكومة فى انشاء المدارس الاميرية غير ما كان للمسلمين من المدارس القديمة ، ونكتفى بذكر مدارس حمص مثالا لسائر المدن السورية

مدارس حمص

تنقسم المدارس فى حمص حسب الطوائف الى خمس طبقات : (١) المدارس الاسلامية (٢) الارثوذكسية (٣) الانجيلية (٤) اليسوعية (٥) السريان

---

(١) تجد تفصيل ذلك فى الهلال ص ٤٤٣ سنة ٢٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالمدارس الاسلامية بضع عشرة مدرسة ، اكبرها « الكلية العلمية » ، تأسست سنة ١٣٢٢ (١٩٠٦) ، وهى مدرسة عالية . مدة التدريس فيها عشر سنوات ، ٣ ابتدائية ، و ٣ استعدادية ، و ٤ علمية ، عدد طلبتها ٣٢٠ طالبا وتدرس اللغات العربية والتركية والفرنسية والانجليزية . تليها مدرسة الاتحاد الوطنى ، وهى اعدادية ، عدد طلبتها ٢٠٠ طالب ، تليها مدارس تديرها الحكومة العثمانية . غير المدارس الاهلية القديمة . وعدد التلاميذ المسلمين فى كل المدارس الاسلامية ٢٥٣٠ تلميذا و ٩٤ معلما . والارثوذكسيون بدأت نهضة التعليم عندهم فى النصف الثانى من القرن الماضى ، ولاسيما بعد تولية مطرانهم الحالى السيد اثناسيوس عطا الله . فأصبح عندهم خمس دوائر تعليمية منها : « المدرسة العلمية » تقابل المدرسة الاستعدادية فى الكلية الامريكية ، لها لجنة تدير شئونها . وهناك عدة مدارس ابتدائية تنفق عليها جمعية فلسطين الروسية. والانجيليون الامريكيون لهم أربع مدارس ، بعضها أقدم مدارس حمص الحديثة ، منها واحدة داخلية ، ويقال نحو ذلك فى اليسوعيين والسريان وغيرهم

احصاء المدارس فى المملكة العثمانية

ويحسن بنا أن نختم الكلام فى المدارس السورية ، بخلاصة احصاء نظارة المعارف العثمانية الرسمية لهذا العام عن مدارسها فى المملكة العثمانية . ويؤخذ منه ان فى المملكة العثمانية نحو ٤٠٠٠ مدرسة ، مابين ابتدائية ورشدية أكثرها للذكور ، وعدد المعلمين نحو ٦٠٠٠ معلم ، والتلاميذ ٢٠٣٫٠٠٠ من الذكور ، و ٤٠٫٤٥٥ من الاناث ، وفى كل ولاية دار معلمين ابتدائية ، وفى العاصمة دار معلمين عالية ، ودار معلمات للاناث وأكثرها داخلية

اما المدارس الاعدادية وغيرها فهى ٩٤ مدرسة ، منها ٢٣ داخلية ، وعدد المدارس العالية ١٧ مدرسة ، فيها كليات الطب والحقوق والصنائع والتجارة ، غير المدارس العسكرية الابتدائية والعالية (١)

لغة التعليم فى المدارس بمصر والشام

مر على المدارس الكبرى فى سوريا ومصر عشرات من السنين ، والتعليم فيها باللغة العربية ، فزهت هذه اللغة وازدهرت وهو عصرها الذهبى فى هذه النهضة ، ولذلك فنحن نشكو من الكلية الامريكية والكلية اليسوعية فى بيروت ، ومن المدارس الاميرية المصرية ، لأنها جعلت التعليم فيها باللغات الاجنبية ، وحجة أصحاب هذا التغيير قلة الكتب التعليمية

(١) من شاء التوسع فى تاريخ المدارس الحديثة فى الشرق ، فليطالع الهلال سنة ٩ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٩ و ٢١ ، والمقتطف سنة ٧ ، وتاريخ مصر الحديث ج ٢ ، وآداب اللغة العربية للاب شيخو ، وتراجم مشاهير الشرق ج ٢

فى اللغة العربية وكثرتها واتقانها فى اللغات الافرنجية ، وهو اعتراض وجيه بالنظر الى التعليم بحد ذاته ، لـكن التعليم يراد به أيضا شىء آخر لا يقل أهمية عن ذلك ـ نعنى ترقية شئون الأمة وجمع كلمتهـا واحياء آمالها ، وهذا لا يكون الا بترقية لسانها واحياء آدابه بتأليف الـكتب العلمية والادبية ، وانشاء الصحف والمجلات فيه ، ولا يتيسر ذلك الا اذا كان هو قاعدة التدريس فى المدارس العالية ، فلو ظلت هذه المدارس كلها كما كانت عليه فى أول نهضتها لـكانت اللغة العربيـة كما يتمناها كل محب للعرب ، ولم يبق ما يحتج به بعض الراغبين فى اللغات الاجنبية من قصور التعبير عن المصطلحات العلمية

على أن ذلك ميسور الآن بالرجوع الى ما فعله أصحاب هـذه النهضة فى أوائلها ، كما تراه مفصلا فى تاريخ مدرسة الطب ، وما سيأتى فى باب العلوم الدخيلة ، ولما كانت مصر هى قلب العالم العربى ولا حيـاة له الا بها فعليها القيام بهذه المهمة ، وقد أخذت بذلك نظـارة المعارف المصرية فى وزارة حشمت (باشا) « من سنة ١٩١٠ ـ ١٩١٣ » فرجع أكثر التعليم الى اللغة العربية واخذ فى احياء آدابها بنشر الـكتب العربيـة المهمة ونصرة أهل الادب ، ووضع جرثومة الاكاديمية العربيـة بلجنة سماها لجنة الاصطلاحات العربية لوضع المصطلحات العلمية ، وانشـأ لجنة لترجمة العلوم وغير ذلك ، وكان سعد (باشا) زغلول وزير المعارف قبله قد هم بشىء من هذا القبيل

لـكن هذه المشروعات مرتبطة بارادة الحكومة

على أن الآمال معقودة فى هذا السبيل بالجامعة المصرية لأنها انشئت من أموال المحسنين من الأهلين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطباعة العربية

الطباعة على الاجمال قديمة جدا ، والمشهور أن الصينيين أقدم من طبع على الحجر أو الخشب المحفور وهى أقدم طرق الطباعة ، وعثروا فى آثار بابل على قوالب بارزة الحروف كان الكلدانيون يطبعونها على الآجر وهو لين، ويغلب أن يفعلوا ذلك فيما يريدون نشره من أوامر الحكومة ، فيطبعون منه نسخا عدة . فالشرقيون أسبق الأمم الى هذا الفن . وأما الطباعة بالحروف المتفرقة التى تجمع منها الكلمات على نحو ما هو شائع اليوم ، فلم تكن معروفة قبل القرن الخامس عشر للميلاد . والمشهور أن صاحب هذا الاختراع غوتنبرج الالمانى. وأول كتاب طبع فيه التوراة عام ١٤٥٠ للميلاد ثم شاع اختراعه هذا فى أوربا وحسنوا فيه حتى بلغ ما هو عليه الآن

الطباعة العربية فى أوربا

أما الطباعة العربية بالحروف فظهرت فى أوائل القرن السادس عشر بايطاليا ، وأول مطبعة عربية وأحرفها عربية ظهرت فى فانو بايطاليا بأمر البابا يوليوس الثانى ، ودشنها البابا ليون العاشر عام ١٥١٤ ، وأول كتاب عربى طبع فيها فى هذا العام كتاب دينى ، ثم سفر الزبور عام ١٥١٦ ، وبعد قليل طبع القرآن الكريم فى البندقية ، ثم أعدمت طبعته خوفا من تأثيره على معتقدات النصارى . لكنهم طبعوا الترجمة الايطالية الاولى للقرآن الكريم عام ١٥٤٧ (١) وفى مكتبتنا نسخة من قانون ابن سينا مطبوعة فى رومية عام ١٥٩٣ فى مجلد ضخم . وتعددت المطابع العربية فى أوربا ، وطبعت فيها مئات من الكتب العربية وغيرها ، أكثرها فى لندن وباريس وليبسك وليدن وغوتنجن ورومية وفينا وبرلين وبطرسبرج وغيرها. وقد جاء ذكرها مرارا فيما مر من هذا الكتاب (*) واليك تاريخ الطباعة العربية فى الشرق

الطباعة فى الآستانة

أما فى الشرق ، فأسبق الأمم الى الطباعة العربية السوريون ، لانهم أقدم من طبع الكتب العربية بالاحرف العربية فى أوائل القرن الثامن عشر كما

(١) Materiaux pour l'histoire des études orientales.

(*) انظر فى ظهور الطباعة العربية بأوربا : كتاب تاريخ مطبعة بولاق ولمحة فى تاريخ الطباعة فى بلدان الشرق الاوسط لابى الفتوح رضوان « طبع المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٥٣ » ص ٥ — ٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سيجيء . أما الطباعة من حيث الفن ، فأسبق مدن الشرق الى احرازها الآستانة ، لأن الطباعة وجدت فيها فى أوائل القرن السادس عشر . وقد طبعت فيها التوراة العربية ترجمة سعيد الفيومى عام ١٥٥١ بالاحرف العبرانية)*(أما الطباعة بالاحرف العربية فلم تدخل الآستانة الا فى الثلث الاول من القرن الثامن‌عشر. وأول من فكر فى ذلك محمد جلبى وابنه سعيد

وكان محمد جلبى هذا سفيرا للدولة العثمانية فى باريس ومعه ابنه سعيد (صار بعد ذلك صدرا أعظم) فشاهد فوائد الطباعة . ولما عاد الى الآستانة أراد أن ينقل هذا الفن اليها فخابر ابراهيم آغا المجرى أحد علماء الرياضيات . وكانت له منزلة عند أولى الحل والعقد فوافقه عليه . لكنه اشترط وجود المال والحصول على‌الفتوى بجواز الطبع . وكان قد فكر فى ذلك بعض الادباء قبله ولم يجرأوا عليه. فرفع سعيد أمره الى‌ابراهيم (باشا) صهر السلطان والتمس‌الرخصة بطبع‌كتب الحكمة واللغة والتاريخ والطب والفلك ، وسائر الفنون ، ماعدا كتب الدين‌الاسلامى . فتردد وكلاء الدولة فى اجابة طلبه . فأصر على الالتماس وساعده الصدر الاعظم ابراهيم (باشا) وفى‌عام ١١٢٩ هـ (١٧١٦) أفتى شيخ الاسلام عبد الله (افندى) بجواز ذلك. فصدر الفرمان موقعا بالخط الشريف موجها الى سعيد (افندى) وابراهيم (افندى) بالاذن لهما فى طبع الكتب غير الدينية . فأخذ الرجلان فى سبك الحروف ، وتعيين المصححين ، وشرعوا فى الطبع عام ١١٤١ هـ (١٧٢٨) فطبعوا كتبا مهمة فى اللغة والادب والتاريخ بالعربية والتركية والفارسية . ثم استصدروا فتوى بطبع كتب الدين استنادا على ان « الامور بمقاصدها» وبناء على هذه القضية أيضا أذنوا بتجليد القرآن الكريم (١)

ثم انشئت مطابع أخرى فى‌الآستانة طبعت كتبا عربية. ومن‌أشهر مطابع الآستانة مطبعة الجوائب لأحمد فارس الشدياق تأسست فى أواسط القرن الماضى. ونشرت عشرات من‌الكتب العربية المهمة فضلا‌عن‌جريدة الجوائب(**)

الطبـاعة فى سوريا

قد تقدم ان السوريين أسبق المشارقة الى الطبع بالاحرف العربية . وأسبق مدن سوريا الى هذا الفضل حلب . فقد ظهرت الطباعة فيها فى أوائل القرن الثامن عشر وطبع أول كتاب فى العقد الاول من القرن المذكور. وقد كتب الينا جورج (بك) خياط المحامى فى حلب : ان عنده نسخة من

(*) راجع فى مطبعة الاستانة العبرية : تاريخ مطبعة بولاق ص ٩ ومجلة المشرق ، السنة الثالثة ، عدد ٤ ص ١٧٥

(١) تاريخ جودت ٨٢ ج ١

(**) انظر فى الطباعة العربية بالاستانة : تاريخ مطبعة بولاق ص ١٢ — ١٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتاب طقسى كنسى مطبوع فى حلب باليونانية والعربية عام ١٧٠٢ ، ثم طبع الانجيل فيها عام ١٧٠٦ قال : « وقد صنع أمهات هذه الطبعة العربية واليونانية الشماس عبد الله زاخر الحلبى وكان صانعا ماهرا يحب الادب والعلم » وجاء فى المشرق (ص ٦٩١ عام ٧) « ان الفضل الاول فى انشاء هذه المطبعة للبطريرك اثناسيوس الرابع ، فانه استجلب أدواتها من بلاد الفلاخ التى دخلها عام ١٦٩٨ ، فلما عاد الى حلب سعى فى سبك حروف جديدة » فلعله استخدم عبد الله زاخر لهذه الغاية (*)

ثم ظهرت المطابع فى لبنان ومن أقدم مطابعه مطبعة قزحيا . وكانت أحرفها سريانية ، ثم صارت عربية وأكثر مطبوعاتها دينية (**) . ومطبعة الشوير أسسها عبد الله زاخر المتقدم ذكره طبع فيها المزامير عام ١٧٣٣ ، وأكثر مطبوعاتها من كتب الدين (***)

ثم ظهرت الطباعة فى بيروت بأواسط القرن الثامن عشر ، وأقدم مطابعها مطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس ، أنشئت عام ١٧٥٣ بسعى الشيخ نقولا يونس الجبيلى المعروف بأبى عسكر . وقد طبعت كثيرا من كتب الادب والتاريخ وقد أبطلت الآن (****)

تليها المطبعة الامريكية للمبعوثين الامريكيين أنشئت فى مالطة عام ١٨٢٢، ثم نقلت الى بيروت عام ١٨٣٤ ولا تزال قائمة . وفيها طبعت الكتب العلمية والطبية والرياضية وغيرها مما ألفه أو ترجمه أساتذة المدرسة الكلية لتعليم طلبتها . وطبعت بعض كتب الادب والشعر والتاريخ — فضلا عن التوراة وكتب الدين . ولها قاعدة للحروف العربية خاصة بها تعرف بالقاعدة الامريكية اصطنعها المبعوثون الامريكيون

ثم المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين. تأسست عام ١٨٤٨ وكانت تطبع على الحجر، ثم صارت تطبع على الحروف عام ١٨٥٤ ولا تزال قائمة ، ولها فضل كبير فى نشر الادب والتاريخ واللغة العربية فضلا عن الكتب المدرسية والدينية . ولاسيما التوراة ترجمة الآباء اليسوعيين . وهى أكبر المطابع العربية فى سوريا وأتقنها ، وفيها حروف عربية وأفرنجية ويونانية وسريانية وعبرانية وأرمنية . وقد صنعت قواعد للحروف العربية خاصة بها

(*) راجع فى مطبعة حلب العربية : تاريخ مطبعة بولاق ص ١١ ، ومجلة المشرق ، السنة الثالثة ، العدد الثالث ص ٣٥٦

(**) انظر فى هذه المطبعة كتاب تاريخ مطبعة بولاق ص ١٠ ، ومجلة المشرق ، السنة الثالثة العدد السادس ، ص ٢٥٤ .

(***) انظر فى هذه المطبعة : تاريخ مطبعة بولاق ص ١٦ ومجلة المشرق السنة الثالثة ، العدد الثامن ص ٣٦٠ .

(****) راجع فى مطبعة القديس جاورجيوس كتاب تاريخ مطبعة بولاق ١٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعدها المطبعة السورية للمرحوم خليل الخورى صاحب « حديقة الاخبار » انشئت عام ١٨٥٧ ، وقد نشرت كتبا قانونية وادبية وتاريخية . تليها مطبعة المعارف للبستانى عام ١٨٦٧ ، نشرت محيط المحيط ، ودائرة المعارف والجنان والجنة . ومطبعة ثمرات الفنون وقد اقفلتا الآن . والمطبعة الادبية لخليل سركيس انشئت عام ١٨٧٤ ، نعنى مطبعة لسان الحال ولا تزال قائمة تطبع الصحف والكتب . وفيها مسبك حروف تعرف حروفه باسم سركيس ، صنع قاعدتها الشيخ ابراهيم اليازجى . وهى القاعدة الشائعة اليوم فى سوريا ومصر ، تطبع بها أكثر الصحف والكتب

ويضيق المقام عن تعدد المطابع التى ظهرت فى بيروت وغيرها من المدن السورية فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن على اثر اعلان الدستور. فانها تعد بالعشرات وبينها مطابع كبرى قائمة وانما غرضنا بيان كيفية نشوء الطباعة العربية فى سوريا

الطباعة فى مصر

مطبعة بونابرت

أقدم مطبعة ظهرت بمصر مطبعة الحملة الفرنسية . جاء بها بونابرت معه عام ١٧٩٨ لطبع المنشورات والاوامر باللغة العربية ، وقد بدأوا بذلك وهم على سفنهم فى عرض البحر ، وحالما وطئت اقدامهم الاسكندرية وزعوا تلك المنشورات على المصريين ، وقد سموها « المطبعة الاهلية » ومديرها مارسل المستشرق الفرنسى ، ومعه بودوان ، وثلاثة مصححين ، و ٢٨ عاملا ، فى جملتهم عدة مترجمين منهم اثنان أتى بهما من رومية هما الياس فتح الله ويوسف مسابكى. وكان فيها ثلاثة مكابس وأحرف عربية وأفرنجية ويونانية . فحملت تلك المطبعة حالا الى القاهرة وما زالت عاملة الى يونيو عام ١٨٠١ حين انسحاب الفرنسيين من مصر . وأكثر ما طبعوه فى هذه المطبعة منشورات كانت توزع على الاهلين ، نشرنا أمثلة منها فى تاريخ مصر الحديث بعبارتها الركيكة . وطبعوا أيضا كتاب هجاء عربى وتركى وفارسى، وجريدتين فرنسيتين « كوريه ديجيبت » و « دكاد اجبسيان » والاوراق المتعلقة بقضية سليمان الحلبى ونشرة «التنبيه» التى تقدم ذكرها وغير ذلك(*)

المطابع الاميرية

مطبعة بولاق

ظلت مصر بعد خروج الفرنسيين عشرين عاما بلا مطبعة . حتى استقر

(*) انظر فى المطبعة الاهلية لبونابرت ومطابع الحملة الفرنسية بمصر : كتاب تاريخ مطبعة بولاق ص ١٨ — ٢٦ وتاريخ الطباعة والصحافة فى مصر خلال الحملة الفرنسية لابراهيم عبده « طبع مكتبة الاداب ١٩٤٩ »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الامر لمحمد على ، فأقيمت « المطبعة الاهلية » عام ١٨٢١ وتعرف بمطبعة بولاق ، لأنها وضعت أخيرا فى بولاق . نشأت على أنقاض مطبعة بونابرت وعهد بادارتها الى نقولا مسابكى السورى ، وكان قد أتقن الطباعة فى رومية لأنه سافر اليها عام ١٨١٥ — قال الموسيو بيانكى البحاثة فى هذا الموضوع :

« أقام (مسابكى) فى ميلانو أربع سنوات ليس للوقوف على فروع فن الطباعة ولكن لصنع أمهات الحروف وسبكها . ولما رجع الى مصر اشتغل أولا فى جمع طاقم من الحروف العربية والتركية وفى تدريب العمال . وكان محمد على قد أمر بتعليم بعض شبان المسلمين بالازهر اتقان قراءة اللغتين : العربية ، والتركية بسرعة وضبط . فقضوا فى ذلك ست سنوات وكانوا من المتفقهين فعينوا بعدئذ من المحررين بالمطبعة

« وجاءوا من ميلانو بثلاثة مكابس ، مثل مكابس المطبعة الملوكية ، وكانوا يستحضرون الورق والحبر من ايطاليا عن طريق ليفورن ، ثم أخذوا يصنعون الحبر فى القاهرة . وكان بالمطبعة حروف ايطالية ويونانية مصنوعة فى ميلانو فضلا عن العربية والتركية . وكانت أشكال الحروف العربية ثلاثة ، والايطالية اثنين . وعدد الصافين الاتراك ١٢ وبينهم واحد للشكل الايطالى وآخر لليونانى . ورئيس العمال ألمانى . أما مدير المطبعة فهو نقولا مسابكى . وكانوا يطبعون الاشغال الخاصة بمصالح الحكومة . وطبعوا أيضا رسالة التعليم الحربى للجنود المقيمين بالوجه القبلى المراد تدريبهم على النظام الحديث باللغة التركية ، لأن الضباط كانوا من العثمانيين

ثم طبعوا أجرومية باللغة العربية الفصحى لأحد العلماء بالقاهرة ، ورسالة الفنون الحربية مترجمة عن الفرنسية الى التركية بقلم شانى زاده . وكتابا فى الصباغة ترجم من الايطالية . ومعجما ايطاليا عربيا . وهو أول ما طبع ببولاق عام ١٨٢٢ ، وسيرة الاسكندر الاكبر مترجمة من اليونانية الى التركية » اهـ

واطلعنا فى مكتبة محمد (بك) آصف بمصر على كتاب فى صباغة الحرير تأليف ماكيرو طبع بالفرنسية فى باريس عام ١٨٠٨ ، وقد عربه القس روفائيل راهب ، وطبع فى بولاق عام ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢) وفى آخره تاريخ الطبع بحساب الجمل فى شطر ، هذا نصه «بمطبعة يكتب للوزير» (١٢٣٨) هـ

وظل مسابكى هذا مديرا للمطبعة الاهلية حتى توفى عام ١٨٣٠ ، وقد أعانه فى العمل أربعة من خريجى الازهر رؤساء للعمال . وهم المشايخ : عبد الباقى رئيس المسبك ، ومحمد أبو عبد الله رئيس الطباعين ، ويوسف الصنفى ومحمد شحاتة رئيسا للصافين . وبعد وفاة المسابكى تولى ادارة المطبعة غيره وغيره (١)

---

(١) تجد تفصيل تاريخ هذه المطبعة لتوفيق اسكاروس نشر فى الهلال سنة ٢٢ وفيه قائمة بأسماء نظار هذه المطبعة ☜

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أقدمهم سقا زادة عثمان نور الدين (بك) أول مفتشيها. وآخرهم المسيو تريلونى ناظرها الحالى. أما أشهرهم وأكثرهم عملا فحسين حسنى (باشا) وكان من نوابغ الرجال له اطلاع على الرياضيات والميكانيكيات. وكان مصححا وكاتبا بالتركية فى الوقائع المصرية عام ١٨٥١ (١٢٦٨هـ) ثم نقل الى مطبعة بولاق وترقى فيها حتى صار ناظرا لها عام ١٨٨٠ وله فضل فى استجلاب معمل الورق لمصر. وهو آخر من تولى ادارة المطبعة من الوطنيين. ثم انتقلت الادارة الى المسيو باتجه عام ١٨٨٥ وهو أول من تولاها من الافرنج

قضت هذه المطبعة نيفا وتسعين سنة وهى عاملة على الطبع والنشر، لم تتعطل الا بضع سنين فى الفترة بين محمدعلى واسماعيل. وقد طبعت مئات من أهم الكتب العربية فى الطب والرياضيات والطبيعيات والحربية والتاريخ والادب والشعر والتفسير والحديث وسائر العلوم. بينها كتب تركية وفارسية وافرنجية. ولا تزال قائمة وفيها تطبع الحكومة أوامرها ومنشوراتها وسائر مطبوعاتها. وهى أكبر مطبعة عربية فى العالم ، لأنها عبارة عن ادارة كبيرة تقسم الى عدة ورش أومعامل للطبع والسبك والحفر والتجليد وغير ذلك

ففى المطبعة الآن ٣٩ آلة للطباعة ، تختلف حجما وقوة بين ما يدور ٧٠٠ دورة فى الساعة الى ٤٠٠٠ دورة ، ومنها آلة لطبع الظروف تدور ٦٠٠٠ دورة ، وفى المسبك ٣٢ آلة بين مكابس وقوالب وأفران لسبك الحروف ونقش الصور أو الرسوم وصنع الأمهات ، غير ورشة خاصة لصب الملازم (الفرم) أى جعل الصحائف قطعة واحدة لما يراد أن يطبع منه مقادير كبيرة. وفى معمل التجليد ٦٨ آلة بين مكابس وعدد للقص والتخريم والاعداد والحبك والحزم والخياطة والتذهيب والتصميغ والدهان والكبس وغيرها. ومعمل جمع الحروف قسمان : أحدهما للحروف العربيـة ، والآخر للأفرنجية ، وفيه أتقن العدد على آخر طراز منها ما يشتغل باليد ومنها بالآلات . وجميع العدد تدور بالكهرباء بواسطة أربعة وابورات قوتها جميعا ١٤٠ حصانا . ولادارة هذه الوابورات معمـل قائم بنفسه يتبعه أماكن للبرادة والحدادة والنجارة . وهذه كلها فى القسم الفنى من المطبعة

أما قسم الادارة فانه مؤلف من عدة مكاتب ، للادارة والنشر والحسابات وغيرها . وفى مطبعة بولاق ٦٠٠ عامل منهم مائة موظف داخل الهيئة ، و ٥٠٠ عامل بالاجر اليومى . وتقسم مطبوعاتها الى أميرية وغير أميرية وقد صدر منها مالا يحصى من الـكتب المهمة (*)

(*) انظر فى هذه المطبعة : كتاب تاريخ مطبعة بولاق لابى الفتوح رضوان ، وهو يعرض فيه بالتفصيل الواسع لتأسيسها وتاريخها وما طبعته من مؤلفات ، ومترجمات عربية وتركية ، مع بيان أثرها فى النهضة الحديثة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان فى طرة بجوار القاهرة مطبعة اسمها مطبعة الطوبجية ، رأينا كتابا مطبوعا فيها عام ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤) وهى مطبعة أميرية أيضا . غير مطبعة أبى زعبل المتقدم ذكرها ، وما أنشىء من مطابع الحجر وغيرها تلبية للحاجة فى الجيش وغيره (*)

المطابع غير الاميرية

ظلت مصر وليس فيها غير مطبعة بولاق وغيرها من المطابع الاميرية نحو أربعين عاما ، لم يقدم فى اثنائها أحد على انشاء مطبعة غير أميرية . وأول من تصدى لذلك الانبا كيرلس الرابع بطريرك الاقباط ، ورافع لواء الاصلاح القبطى المتوفى عام ١٨٦١ ، فقد كان من الراغبين فى المدنية الحديثة. وكان من جملة مساعيه فى هذا السبيل انشاء مطبعة ، فكلف روفائيل عبيد السورى (صاحب المدرسة العبيدية) أن يستحضرها له من أوربا. واختار أربعة من شبان الاقباط استأذن سعيد (باشا) والى مصر يومئذ أن يسمح بقبولهم فى مطبعة بولاق ليتعلموا فن الطباعة . فوصلت المطبعة عام ١٨٦٠، واحتفل هذا البطريرك باستقبالها عند وصولها استقبالا مشى فيه الشمامسة بالشموع وتحدث الناس به مدة . وسماها المطبعة الاهلية القبطية. وتولى ادارتها بعده رزق(بك)جرجس وطبع فيهاكتبا دينية وأدبية ثم انتقلت الى أخيه ابراهيم جرجس، وعرفت بمطبعة الوطن ولا تزال باقية

ثم أنشئت مطابع أهلية لم نقف على تاريخها ، أقدمها مطبعة وادى النيل عام ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦) ، كانت تطبع فيها صحيفة وادى النيل لصاحبها أبى السعود (افندى) . وطبعت فيها أيضا نشرة أركان حرب الجيش المصرى ومجلة روضة المدارس . وتكاثرت المطابع فى زمن اسماعيل ، ومن أقدمها مطبعة جمعية المعارف الآتى ذكرها بين الجمعيات (**)

وتعددت المطابع على الخصوص فى عهد الخديوى عباس الثانى . ولاسيما فى أوائل هذا القرن . وأكثرها أنشئت لطبع الصحف السياسية أو العلمية ، وقليل بينها لطبع الكتب على نفقتها . على ان جانبا منها أنشىء للاتجار بطبع الكتب القديمة فى العلوم الرائجة وأكثر طبعاتها رخيصة وانتشرت الطباعة فى سائر أنحاء القطر بانتشار الصحافة ، فمنها مطابع

(*) راجع فى مطبعة الطوبجية وغيرها من مطابع الحجر التى أشار اليها المؤلف فى الفصل الخامس عشر من كتاب تاريخ مطبعة بولاق ، وهو خاص بالمطابع الاميرية الصغرى . انظر ص ٣٥٤ ـ ٣٧٨ .

(**) راجع فى المطابع غير الاميرية الفصل السادس عشر من كتاب تاريخ مطبعة بولاق ص ٣٧٩ ـ ٣٩٤ .

الآن فى الاسكندرية وبور سعيد وطنطا وأسيوط والمنصورة وغيرها ، يضيق المقام عن ذكرها ، لأننا انما أردنا أن نبين كيف نشأت الطباعة بمصر

الطباعة العربية فى سائر العالم الاسلامى

وانشئت مطابع عربية كثيرة لخدمة آداب اللغة العربية فى الهند طبعت كثيرا من الكتب العربية المهمة . أشهرها مطابع كلكتا وبومباى ودهلى ولاهور وكمبور ولكناو وحيدر آباد الدكن وغيرها . ترجع فى تاريخ انشائها الى أواخر القرن الثامن عشر . ثم المطابع فى بلاد الفرس وسائر العالم الاسلامى (١) (*)

(١) من اراد التوسع فى تاريخ الطباعة العربية فليراجع الهلال سنة ٩ و ٢٢ ، والشرق سنة ٣ و ٤ ، والمقتطف سنة ٧ ، وتاريخ جودت ج ١

(*) وراجع تاريخ الاداب العربية فى القرن التاسع عشر لشيخو ج ١ ص ٧٦ وما بعدها و ج ٢ ص ٦ وتاريخ مطبعة بولاق ففيه لمحة واسعة عن تاريخ الطباعة العربية فى بلدان الشرق الاوسط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصحافة العربية

اسبق الأمم الى الصحافة الصينيون . ذكروا انهم نشروا جريدة عام ٩١١ قبل الميلاد لعلها من قبيل منشورات الحكومة . وكان للرومان صحيفة يومية تصدر على عهد يوليوس قيصر فى القرن الاول قبل الميلاد سموها « الاعمال اليومية »

كانوا ينشرون فيها أعمال الحكومة والاخبار الهامة ويقال انها انشئت عام ٦٩١ قبل الميلاد . ولعل بعض الدول الاخرى كانت تفعل مثل ذلك . أما الصحافة الحديثة فنشأت فى المانيا بأواسط القرن الخامس عشر على اثر اختراع الطباعة . ولم تتكيف بشكلها المعروف الا فى البندقية ، فصدرت أول صحيفة فيها عام ١٥٣٦ دعوها غازتة Gazetta باسم النقد الذى كانت تباع به . ثم صدرت الصحف الانجليزية عام ١٦٢٢ ، والفرنسية عام ١٦٣١ ، وهكذا فى سائر مدن أوربا

الصحافة فى مصر

أما الشرق العربى فالصحافة لم تظهر فيه الا بعد دخول القرن التاسع عشر ، ومصر سبقت سواها فيها . ولسهولة فهم الموضوع نقسم الصحافة العربية الى أربعة أطوار : (١) تأسيسها فى زمن محمد على (٢) تاريخها بين محمد على واسماعيل (٣) تاريخها فى زمن اسماعيل الى الاحتلال الانجليزى (٤) تاريخها فى عهد الاحتلال

١ ـ تاسيس الصحافة العربية فى زمن محمد على

الوقائع المصرية

انشئت سنة ١٨٢٨

الصحافة من جملة جرائم المدنية الحديثة التى القاها الفرنسيون بمصر فى آخر القرن الثامن عشر . فأنشأوا فى أثناء اقامتهم بمصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) جريدتين فرنسيتين هما : Decade Egyptienne (دكاد أجبسيان) و Courier d'Egypte « كوريه ديجيبت » ذهبتا بذهاب تلك الحملة . وفى دار الكتب المصرية أمثلة منهما

وقد قلنا فى كلامنا عن مجىء الفرنسيين الى مصر انهم انشأوا فيها ديوانا للقضايا ، كان يصدر صحيفة اسمها « التنبيه » ينشرون فيها ما يجرى

فيه ، ويوزعونها على العمال . وكان يحررها السيد اسماعيل الخشاب. فهي كالصحيفة العسكرية أو القضائية . لكن المقرر أن «الوقائع المصرية» أول صحيفة عربية عامة صدرت فى هذه النهضة .. انشأها محمد على عام ١٨٢٨ ، وكانت تصدر أولا بالتركية ثم بالعربية والتركية ، وأخيرا صارت تصدر بالعربية فقط ولا تزال. وكان صدورها غير منتظم فنظمت فى عهد اسماعيل (باشا) وقد تولى تحريرها جماعة من نخبة الادباء والكتاب الذين نبغوا فى أثناء هـذه النهضة ، منهم الشيخ حسن العطار صديق السيد اسماعيل الخشاب محرر « التنبيه » ولعله كان يساعده فى تحريره فتمرن على هذه الصناعة ، ومنهم الشيخ أحمد فارس الشدياق ، والسيد شهاب الدين صاحب « السفينة » ، والشيخ احمد عبد الرحيم ، والشيخ محمد عبده ، والشيخ عبد الكريم سلمان وغيرهم . وهى تصدر الآن ثلاث مرات فى الاسبوع وتكاد تكون قاصرة على الاخبار الرسمية (*)

المبشر

ويلى « الوقائع المصرية » فى القدم جريدة « المبشر » التى أصدرتها الحكومة الفرنسية فى الجزائر عام ١٨٤٧ فى العربية والفرنسية. وهى أيضا رسمية كانت تصدر مرتين فى الشهر بحجم صغير وعبارة ركيكة . ثم تحسنت وتولى تحريرها نخبة من كتاب البلاد ولاتزال تصدر الى الآن (**)

٢ ـ الصحافة العربية بين محمد على واسماعيل من سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٦٣

يظهر أن مصر بعد أن وضعت أساس الصحافة العربية استراحت فترة من الزمن لم تحرك فيها ساكنا ، لانتقال أزمة الامور بعد محمد على الى واليين : (عباس ، وسعيد) لم يكن لهما رغبة فى الادب فلم تصدر فى أثناء حكمهما (١٨٤٩ ـ ١٨٦٣) جريدة ولا مجلة فى وادى النيل . على ان روح الصحافة لم تكن تمكنت من نفوس الأمة العربية . والجريدة التى صدرت فى عهد محمد على انما اهتمت بها الحكومة للامور الرسمية

الصحافة العربيـة فى سـوريا

وتحولت مهمة الصحافة فى اثناء تلك الفترة الى سوريا ، فأخذت على عاتقها أتمام هذا العمل عن شقيقتها مصر . وقد رأيت أن نهضة سوريا العلمية كان العامل الاكبر فيها جماعة المبشرين الاجانب . ولذلك كانت أقدم الصحف عندهم دينية . كما كانت أقدم الصحف المصرية رسميـة أميرية ، لأن الحكومة هى التى قامت بنهضة هذا القطر

(*) انظر فى الوقائع وتاريخها كتاب تاريخ الصحافة العربية للفيكونت فيليب دى طرازى ج ١ ص ٤٦ وتاريخ الوقائع المصرية لابراهيم عبده « طبع القاهرة ١٩٤٢ »

(**) راجع فى جريدة المبشر تاريخ الصحافة العربية ج ١ ص ٥١ وما بعدها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن الصحف السورية المشار اليها كانت تصدر أولا فى مواقيت غير معينة أو فى فترات متباعدة . وأسبق الجماعات الدينية الى ذلك المبعوثون الامريكيون مثل سبقهم فى تأسيس الجمعيات وانشاء الكليات . فأصدروا عام ١٨٥١ نشرة أو مجلة دينية بقلم القسن عالى سميث ، هى أشبه بالتقاويم أو المناشير منها بالصحف . تشتمل على أبحاث دينية وعلمية وجغرافية . كانت تصدر مرة فى العام ثم مرة كل أربعة أشهر . واحتجبت عام ١٨٥٥ (*) وفعل المبعوثون الآخرون مثل ذلك . ثم أصدر المبعوثون الامريكيون بعد عشرة أعوام نشرة سموها النشرة الشهرية عام ١٨٦٦ ، ثم حولوها الى أسبوعية عام ١٨٧١ ولا تزال تصدر حتى الآن (**)

تأسيس الصحافة العربية السياسية

مرآة الاحوال سنة ١٨٥٥

أما الصحف السياسية العمومية غير الرسمية ، فالسوريون سبقوا اليها لاضطراب جو السياسة فى بلادهم يومئذ . يكفيك من ذلك حرب القرم عام ١٨٥٤ وما جرت وراءها من الذيول . غير حوادث الشام عام ١٨٦٠ وما تقدمها من الفتن اللبنانية بعد خروج الجنود المصريين من سوريا . والسوريون عقولهم متحركة وفيهم نشاط وهمة وميل فطرى الى الادب . فالفتن والحروب حركت الضغائن المؤسسة على المسألة الشرقية. وتداخلت الدول الافرنجية فى شئون الدولة العثمانية فتحركت أقلامهم ، فصدرت أول جريدة عربية سياسية غير رسمية فى أثنـاء حرب القرم بالآستانة عام ١٨٥٥ ، أصدرها رزق الله حسون الحلبى وسماها « مرآة الاحوال» لم يزد عمرها على عام الا قليلا. وكانت خطتها ضد الاتراك ولهجتها فى الطعن شديدة ، فقررت الحكومة القبض على صاحبها ففر الى روسيا. فالحلبيون أسبق الشرقيين الى انشاء الصحف السياسية العربية (***)

حديقة الاخبـار سـنة ١٨٥٨

ثم صدرت حديقة الاخبار فى بيروت عام ١٨٥٨ ، لصاحبها خليل الخورى، وهى أول جريدة عربية صدرت فى المملكة العثمانية خارج الآستانة. وكان فى عزمه أن يجعلها عمومية وسماها « الفجر المنير» ثم عدل عن هذا الاسم الى «حديقة الاخبار». وبعد عامين من صدورها جرت حوادث سوريا عام ١٨٦٠ وجاء فؤاد (باشا) مندوبا لتسوية مسائلها ، فاقترح على خليل الخورى أن

(*) انظر فى هذه النشرة تاريخ الصحافة العربية ج ١ ص ٥٢
(**) راجع فى النشرة الشهرية الكتاب السالف ج ١ ص ٦٦
(***) راجع الكتاب نفسه ج ١ ص ٥٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بجعل جريدته شبه رسمية وعينت له الحكومة راتبا شهريا ريثما ظهرت جريدة «سوريا» الرسمية. وجعل فرنكو (باشا) حاكم لبنان يومئذ جريدة «حديقة الاخبار» رسمية للبنان مدة . ولم يطل دفع الرواتب له لكنه ما زال يصدرها الى وفاته عام ١٩٠٧ وصدرت بعده الى عام ١٩٠٩ (*)

عطارد وبرجيس سنة ١٨٥٨

والظاهر أن صدور «حديقة الاخبار» أثار الغيرة فى رجال الادب السوريين للاقتداء به ، فظهرت فى عام ١٨٥٨ نفسه جريدتان عربيتان خارج المملكة العثمانية . احداهما اسمها «عطارد» ظهرت فى مرسيليا لم يطل بقاؤها . والثانية «برجيس باريس» أصدرها الكونت رشيد الدحداح اللبنانى فى باريس وعنى باتقان طبعها ونشرها . وبعد أربعة أعوام عهد بأمرها الى سليمان الجزائرى التونسى وتوقفت فى عامها الخامس (**)

الجوائب ونفير سوريا سنة ١٨٦٠

وخطت الصحافة العربية خطوة مهمة عام ١٨٦٠ بظهور « الجوائب » فى الآستانة لصاحبها احمد فارس الشدياق ، أحد اركان النهضة العربية الاخيرة ، وكان « للجوائب » شأن عظيم عند ادباء العرب ، ونفوذ لدى ولاة الامور بالآستانة وغيرها . وكانت ميدانا لأقدم ادباء ذلك العصر للمناظرة والمناضلة وما زالت تصدر الى عام ١٨٨٤ ، وفى عام ١٨٦٠ صدر « نفير سوريا » للبستانى على أثر حروب هذا العام ولم يطل ظهوره (***)

جرائد أخرى

وبعد صدور «الجوائب» بعام صدر «الرائد التونسى» وهو جريدة رسمية لتونس صدرت عام ١٩٦١ ، ولاتزال (****) . وتوالى ظهور الجرائد بعد ذلك فى سوريا والمغرب ، وأكثرها رسمى مثل «سوريا» صدرت عام ١٨٦٥ فى دمشق ، و « الفرات » فى حلب عام ١٨٦٧ باشارة جودت (باشا) . وجريدة «لبنان» أصدرها داود (باشا) حاكم لبنان عام ١٨٦٧ و«الزوراء» أصدرها مدحت (باشا) فى بغداد عام ١٨٦٨ ، وفى تلك الاثناء وضعت كلمة الجريدة للدلالة على الصحف المنشورة ، وكانت تطلق على الجرائد والمجلات وكانوا يسمونها قبل ذلك الصحيفة أو النشرة أو الورقة الخبرية أو الوقائع أو غير ذلك . ثم وضع لفظ المجلة للصحف العلمية والادبية

(*) انظر تاريخ الصحافة العربية ج ١ ص ٥٥ — ٦٠
(**) انظر فى عطارد وبرجيس الكتاب المذكور ج ١ ص ٦٠
(***) راجع فى الجوائب والنفير الكتاب نفسه ج ١ ص ٦١ — ٦٤
(****) انظر الكتاب نفسه ج ١ ص ٦٤ — ٦٦ .

قد ذكرنا ما كان من رغبة اسماعيل فى المدنية الافرنجية ومطامعه فى الاستقلال . وفى أيامه نهضت آداب اللغة العربية وفكرة الجامعة العربية ونشطت الصحافة . فتقاطر السوريون الى مصر ، وأخذوا فى انشاء الصحف فى سوريا وخارجها

ورغب المصريون أنفسهم فى الصحافة فى زمن اسماعيل بعد أن أغفلوها فى الفترة بينه وبين محمدعلى. وأقدم صحيفة مصرية صدرت بعد «الوقائع المصرية» ، « اليعسوب » وهى مجلة شهرية صدرت عام ١٨٦٥ لمنشئيها محمدعلى (باشا) الحكيم وابراهيم الدسوقى. وهىأول مجلة طبية صدرت باللغة العربية ، ولم تعش طويلا ، ومنها أمثلة فى دار الكتب المصرية

أما الصحف السياسية غير الرسمية فأولها بمصر « وادى النيل » أنشأها أبوالسعود (أفندى) عام ١٨٦٦ ، كانت تصدر بالقاهرة مرتين فى الاسبوع فى حجم « الهلال » تقريبا ، وهى سياسية أدبية علمية. وتعطلت بعد وفاة صاحبها عام ١٨٧٨ ، تليها جريدة «نزهة الافكار» وهى أسبوعية ظهرت فى القاهرة عام ١٨٦٩ لابراهيم المويلحى ومحمد عثمان جلال . لم يصدر منها الا عددان فألغاها اسماعيل خوفا من لهجتها

وفى العام التالى (١٨٧٠) صدرت مجلة « روضة المدارس » كانت تطبع فى مطبعة وادى النيل ، فقرظتها وادى النيل تقريظا طويلا ، ولم يكن يصدر فى مصر سواهما و« الوقائع المصرية » . وكانت « روضة المدارس» مجلة علمية أدبية يحررها نخبة من العلماء والادباء اشتهروا بعد ذلك فى عالم الادب . منهم عبد الله (باشا) فكرى ، واسماعيل (باشا) الفلكى ، وبدر (بك) الحكيم ، وعلى (باشا) مبارك ، ورفاعه (بك) ، وقدرى (بك) . كان كل منهم ينشر فيها مقالات مسلسلة فى موضوع كالكتاب المستقل ، وظلت « روضة المدارس » تصدر بضع سنوات

الصحافة القبطية

كل ماتقدم ذكره من الصحف المصرية اصحابها من المسلمين كما رأيت. ثم تصدى الاقباط لمجاراتهم فى الصحافة فصدرت جريدة «الوطن» أصدرها بمصر ميخائيل (أفندى) عبدالسيد عام ١٨٧٧ ، وهى أقدم الجرائد القبطية ، توقفت حينا بعد الاحتلال ، ثم عادت الى الظهور عام ١٩٠٠ ، وصاحبها الآن جندى (بك) أبراهيم . وقد توفى مؤسسها ميخائيل عبد السيد عام ١٩١٤ ، ثم صدرت صحف قبطية لم يبق منها حيا فى الصحافة اليومية الا «الوطن» و «مصر» ، وقد صدرت هذه عام ١٨٩٥ لتادرس (بك) شنودة المنقبادى(*)

(١) راجع فى الصحف المصرية السابقة فيليب دى طرازى فى مواضع متفرقة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصحافة السورية فى زمن اسماعيل

اولا ـ فى سوريا

وكان عام ١٨٧٠ غنيا بالصحف السياسية والعلمية فى سوريا ، فصدرت فيه « الزهرة » ليوسف الشلفون وقد تعطلت ، وجريدة « البشير » للآباء اليسوعيين ولا تزال ، و « الجنة » لبطرس البستانى ، و « الجنان » له ، وهى مجلة علمية سياسية عاشت طويلا ، وكان لها تأثير فى هذه النهضة ـ مثل أكثر آثار البستانى ـ وفى هذا العام صدرت مجلة « النحلة » للقس لويس الصابونجى ، وكانت شديدة اللهجة فى الجدل.

وكل هذه الجرائد تعطلت الآن

وفى العام التالى (١٨٧١) صدرت جريدة «كوكب الصبح المنير » للامريكيين و « الجنينة » للبستانى و« النجاح » للصابونجى والشلفون ، وفى عام ١٨٧٤ صدرت جريدة « التقدم » بعد الغاء «النجاح» ليوسف الشلفون. وكان لها تاريخ طويل تقلبت فيه على أطوار شتى ثم توقفت (١)

« ثمرات الفنون » أول جريدة أهلية اسلامية فى سوريا

كل ما تقدم ذكره من الجرائد والمجلات السورية لكتاب من المسيحيين ، ولم تصدر جريدة اسلامية فى سوريا قبل عام ١٨٨٥ نعنى «ثمرات الفنون» ، انشأتها جمعية الفنون برئاسة الحاج سعد الدين حمادة ، وفوضت ادارتها الى صاحب امتيازها السيد عبد القادر القبانى ، وهى أول جريدة اسلامية غير رسمية صدرت فى سوريا ، وذكر صاحب تاريخ الصحافة العربية انها كانت فى أول عهدها شركة مساهمة . فهى لذلك أول جريدة عربية قامت بها شركة . على ان تلك الشركة لم يطل بقاؤها فظلت الجريدة تصدر بادارة صاحب امتيازها الى عام ١٩٠٨ فتوقفت (*) . ثم توالى ظهور الجرائد الاسلامية بعدها ولا سيما فى أوائل هذا القرن

وصدرت جرائد عدة فى سوريا فى أواخر زمن اسماعيل ، أشهرها وابقاها « نسان الحال » صدر عام ١٨٧٧ لصاحبه خليل سركيس ولا يزال يصدر . وفى عام ١٨٨٠ صدر « المصباح » لنقولا نقاش ، ومر على « المصباح » أحوال مختلفة حتى تعطل عام ١٩٠٨

ثانيا ـ الصحافة السورية بمصر فى زمن اسماعيل

كان السوريون قد عانوا الصحافة السياسية وسمعوا برغبة اسماعيل

(١) راجع تفصيل ذلك فى كتاب تاريخ الصحافة العربية
(*) انظر فيليب دى طرازى ج ٢ ص ٢٥ ـ ٢٧

فى الصحافة والشهرة . وهم يعرفون مصر وخصبها وتوفر أسباب الرزق فيها ، فجاء اليها طائفة من الادباء والشعراء والكتاب أشهرهم آل تقلا وأديب اسحق وسليم نقاش وغيرهم . وكان أكثر مقامهم فى الاسكندرية. وما برحت تعد عاصمة ثانية للقطر المصرى الى ذلك العهد ، فاشتغل بعضهم بالصحافة هناك

وأقدم الصحف السورية المصرية جريدة «الكوكب الشرقى» للمرحوم سليم (باشا) حموى ، صدرت فى الاسكندرية عام ١٨٧٣ ولم يطل بقاؤها

ثم صدرت « الاهرام » لسليم وبشارة تقلا عام ١٨٧٥ ، ونالت حظا وافرا من الرواج والنفوذ . ثم نقلت الى القاهرة ، وهى تصدر الآن بادارة جبرائيل (بك) ابن بشارة تقلا (باشا) . وقد أدركت العام التاسع والثلاثين من عمرها (*)

ثم صدرت جريدة «المحروسة» لصاحبيها أديب اسحق وسليم نقاش عام ١٨٧٩ بالاسكندرية ، وتقلبت عليها أحوال شتى ، وانتقلت من يد الى يد وهى الآن لصاحبها الياس زيادة وتصدر يومية فى القاهرة . وصدر من الجرائد السورية فى ذلك العهد عدة جرائد لم يبق منها غير المحروسة والاهرام

ويقال على الاجمال ان أكثر ارباب الصحف العربية فى مصر والاسكندرية فى ذلك العصر كانوا من السوريين ، ومنهم كثيرون قطنوا مصر واتخذوها وطنا لهم. وكانت الحكومة تساعد الصحف من كل وجه ، ولولا مساعدتها المالية أو تنشيطها الادبى لما قامت لها قائمة . وكان « للاهرام » شأن كبير فى هذا الدور. وقد ساعد هذه النهضة الوزير رياض (باشا) أدبيا وماليا

الانشاء الصحفى والحرية الصحفية

وحدث فى لغة هذا الدور من تاريخ الصحافة تحسين كثير . فانتقل الانشاء الصحفى من العبارة الضعيفة الركيكة الى الرشاقة والطلاوة العصرية . ومقدام هذه النهضة المرحوم أديب اسحق ، فانه كان نابغة فى الانشاء مع المتانة وصحة العبارة . فقلده الكتاب فى عبارته وفى أسلوبه

وكانت الصحافة فى ذلك العصر مطلقة الحرية ولا سيما فى أواخر أيام اسماعيل . والسوريون قد تشربوا يومئذ روح الحرية من نهضة الاحرار العثمانيين فى الآستانة بخلع عبد العزيز وتنصيب عبد الحميد عام ١٨٧٦ ، ثم جاء مدحت الى سوريا ونشط هذا الشعور ، فانتشرت الحرية الصحفية انتشارا عظيما فى سوريا

(*) انظر فى صحيفة الاهرام ونشأتها وتاريخها وتطورها كتاب تاريخ جريدة الاهرام لابراهيم عبده .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اما فى مصر فان اسماعيل لم يكن يقاوم حرية الصحافة ، لكنه لم يكن يصبر على من ينتقده . فكان الكتاب يراعون جانبه. ومن تجاسر على انتقاده أصبح فى خطر، على نحو ما أصاب مدير الاهرام لما أشار الى مال صرف من الخزينة ولم يعلم مصيره ، ولو لم تنصره فرنسا لذهب ضحية تلك الملاحظة

٤ ـ الصحافة العربية فى عهد الاحتلال من سنة ١٨٨٢ الى ١٩١٤

صدر فى أيام توفيق قانون المطبوعات عام ١٨٨١ (*) لأن الصحافة تطرفت فى أوائل الحركة العرابية على أثر ذهاب اسماعيل ، ثم حدثت الثورة العرابية واحتل الانجليز مصر عام ١٨٨٢

وتحولت الصحافة اليومية فى ذلك العصر الى القاهرة ، وتكاثرت الصحف فيها ، وأول جريدة يومية صدرت فيها جريدة «الزمان» لصاحبها علكسان صرافيان الارمنى ، تولى التحرير فيها صاحب « الهلال » عام ١٨٨٣ ـ ١٨٨٤ ثم اقفلتها الحكومة فسار صاحبها الى قبرص وأنشأ هناك جريدة سماها «ديك الشرق» عام ١٨٨٩ ولم يطل ظهورها . وما زالت القاهرة خالية من جريدة يومية حتى ظهر « المقطم » عام ١٨٨٩ ، ثم « المؤيد » وغيرهما . أما الجرائد الاسبوعية فكانت فى القاهرة ، « كالبرهان » ، و « البيان » ، و « مرآة الشرق » وغيرها

ولم يكن للجرائد العربية قبل الاحتلال الانجليزى الا خطة واحدة ، غايتها النظر فى مصلحة مصر . ولم تكن تهمها الدول الاخرى فى شىء ، الا جريدة « الاهرام » فانها اخذت جانب فرنسا

فلما احتل الانجليز مصر ولم تكن فرنسا معهم تولدت مسألة الاحتلال والجلاء ومسألة المصرى والعثمانى. فانقسمت الصحف الى أقسام تحزب بعضها للدولة العثمانية على الانجليز ، والبعض لفرنسا على الانجليز ، والبعض الآخر أخذ جانب الانجليز. وأول الصحف التى أخذت جانبهم بمصر جريدة «الزمان» المتقدم ذكرها. ثم «المقطم» لأصحاب « المقتطف » فامتعض الوطنيون منها ، فأنشأوا جريدة «المؤيد» فى العام التالى لمحررها الشيخ على يوسف ومديرها الشيخ أحمد ماضى ، ثم استقل بها الشيخ على يوسف . وظهور «المؤيد» خطوة كبيرة فى الصحافة الوطنية (**) لأنها أول الجرائد الوطنية الكبرى فى هذا الدور من أدوار الصحافة. وهى التى مهدت السبيل لغيرها من الجرائد الوطنية الاسلامية . وقد أخذ كبار الوطنيين بناصرها فى أول نشأتها. أما بقاؤها الى الآن وما نالته من الشهرة

(*) انظر هذا القانون فى كتاب تاريخ مطبعة بولاق لابى الفتوح رضوان ص ٣٦١

(**) راجع فى المؤيد كتاب ادب المقالة الصحفية فى مصر لعبد اللطيف حمزة ، الجزء الرابع الخاص بعلى يوسف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونفوذ الكلمة فانه راجع الى اقتدار صاحبها وثباته . أما «المقطم» فلقى فى سبيل البقاء على خطته مشقات جسيمة قل من يصبر عليها

وتساهلت الحكومة أحيانا فى أمر قانون المطبوعات ، لأن اللورد كرومر لم يكن يرى دائما تقييد الصحافة ، فتسابق الادباء الى تحريرها

وبلغت الصحافة العربية أرقى ادوارها من عام ١٨٩٢ وسبقت مصر بها سائر الامصار . وانحطت الصحافة فى سوريا لما تولاها من ضغط الحكومة وتقييد الافكار قبل اعلان الدستور . فأصبحت مصر محط رجال ارباب الاقلام وعشاق الحرية وطلاب الرزق من سائر الاقطار . أما بالنظر الى الصحافة فيقسم هذا العصر الى ثلاثة ادوار : الدور الاول من تولى عباس عام ١٨٩٢ الى ظهور « اللواء » عام ١٩٠٠ ، والثانى من ظهور « اللواء » الى عام ١٩١٠ ، والثالث من عام ١٩١٠ الى الآن (١٩١٤)

الدور الاول من عام ١٨٩٢ ــ ١٩٠٠

فالدور الاول نضج فيه « المقطم » و « المؤيد » واشتد ساعداهما وحمى وطيس الجدال بينهما . وتكاثر ظهور الجرائد الاسبوعية ، ولا بد لكل منها أن تقلد احداهما . فصارت أكثر الصحف اما «مقطمية» أو « مؤيدية » ــ أما مع الاحتلال أو عليه ــ الا « الاهرام » فانها ثبتت فى خطتها . أما الجرائد القبطية فهى على الاجمال احتلالية

وبلغ عدد الصحف التى صدرت فى هذا الدور ، أى من عام ١٨٩٢ ــ ١٩٠٠ نحو مائة وخمسين صحيفة . أى صدر منها فى ثمانى سنين نحو ما صدر قبلا فى ٦٣ سنة . ومن أسباب كثرتها اطلاق سراح المطبوعات .

وكان الصحفيون قبلا لا يقدرون على اصدار الجريدة الا بعد دفع التأمين أو تقديم الضمانة والقبول بكل القيود والشروط . ولكن أكثر الصحف التى صدرت فى هذا الدور علمية أو ادبية لانها أقل نفقة وتعبا

الدور الثانى من عام ١٩٠٠ ــ ١٩١٠

ويمتاز هذا العصر باشتداد الحركة الوطنية ضد الاحتلال وكثرة تحدث الناس فى العرش العثمانى والخلافة الاسلامية . وكان قد بدا ذلك بعد انتصار الدولة العلية على اليونان عام ١٨٩٧ ويمتاز ايضا بنمو الشعور الوطنى على يد مصطفى كامل صاحب « اللواء » ، وكانت الصحف قبله تذكر المحتلين بوعودهم وتستطيل بقاءهم

أما مصطفى كامل فانه صرح بانتقاد الحكومة ، ودعا المصريين الى المطالبة بجلاء الانجليز عن بلادهم تنفيذا لوعدهم . وسافر الى أوربا للسعى فى هذا السبيل بالخطابة والكتابة والتحريض مما تراه مفصلا فى ترجمة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حياته بمجلة « الهلال ـ ٦ عام ١٦ » ، وأخيرا انشأ الألوية الثلاثة بالعربية والفرنسية والانجليزية ، وألف شركة مالية لانشائها وهى اول شركة صحفية بمصر . وجعل خطة « اللواء » التشديد فى طلب الجلاء والاحتجاج على انجلترا . وابدى فى جهاده من الجرأة والحزم ما لم يسمع بمثله فى مصر ، وأصبح للصحافة فى ذلك الدور مميزات أهمها :

١ ـ انشاء الجرائد بشركات مالية تجمع بالاسهم من المتمولين الوطنيين . واول من فعل ذلك بمصر مصطفى كامل صاحب « اللواء » . فاقتدى به سواه فظهرت « الجريدة » بشركة مؤلفة من اعيان المصريين . وتحول « المؤيد » الى شركة مالية

٢ ـ كبر حجم الجرائد الوطنية وصارت ثمانى صفحات

٣ ـ صار للصحافة تأثير فى نفوس الوطنيين ، وكثر قراؤها ، واهتمت الناشئة بها ، وظهرت فيها روح الحماسة

٤ ـ تشكلت الاحزاب لنصرة الصحف واعلاها صوتا « الحزب الوطنى » ورئيسه مصطفى كامل

٥ ـ تكاثرت الصحف الوطنية ، وكانت الصحافة العربية المصرية قبل ذلك اكثرها فى أيدى السوريين ، فأصبح اكثرها فى أيدى المصريين

٦ ـ تنوعت موضوعات الصحف واتسعت دائرة مكاتباتها ، وتفننت فى عناوينها ..

٧ ـ صار لها نفوذ لدى الحكومة

٨ ـ كانت محصورة فى مصر والاسكندرية تقريبا ، فظهرت فى كثير من مدن الارياف

٩ ـ تألفت لها نقابة اشترك فيها ارباب الصحف على اختلاف لغاتها

الدور الثالث من عام ١٩١٠ ـ ١٩١٤

على ان الحرية المحدودة التى نالتها الصحافة المصرية فى عهد كرومر لم تدم ، ولاسيما بعد ابداله بغورست . وكان غورست متساهلا فاشتدت الاقلام ، ورافق ذلك مقتل بطرس (باشا) غالى رئيس الوزراء عام ١٩٠٩ فنسب بعضهم قتله الى الروح الوطنية المشار اليها. واتجهت أفكار الاستعمار الى وضع حد لذلك وتوفى غورست وخلفه اللورد كتشنر وهو يعرف مصر ويفهم لسان اهلها. فاقتضت سياسته التضييق على الصحافة ، لاعتقاده ان اطلاقها يضر بمصالح الانجليز ، ويؤجج الحماسة فى الشباب. وفى ايامه اقفل «اللواء» و«العلم» و«مصر الفتاة» وغيرها من الجرائد الوطنية وتناول الاقفال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غيرها أيضا . وأصبحت الحكومة تسعب فى الترخيص لانشاء الصحف الجديدة ، ولم يبق من الجرائد الكبرى بمصر الا عدد قليل يعد على الاصابع

الصحافة فى سوريا على عهد الاحتلال

كانت سوريا فى عهد الاحتلال الاول تئن تحت الحكم الحميدى الذى تقيدت فيه الافكار والاقلام ، وانتشرت الجاسوسية وصودرت الحرية . فأخذ أرباب الاقلام الحرة فى الهجرة الى مصر ينشئون الجرائد أو المقالات أو الكتب ، وأخذت صحافة سوريا فى التقهقر وأهلها صابرون حتى أعلن الدستور عام ١٩٠٨ ، فقابلته الصحف بالدهشة وهى بين مصدقة ومكذبة فما لبثت أن تحققت هبوط تلك النعمة عليها حتى انتعشت وتكاثرت .

وكانت الى ذلك التاريخ محصورة من المملكة العثمانية فى بيروت ، ولبنان ، والآستانة ، ودمشق ، وطرابلس الشام ، وحلب ، والقدس ، فظهرت بعد الدستور فى حيفا ، وحمص ، واللاذقية ، وصيدا ، وجديدة مرجعيون ، ومكة ، وجدة ، وبغداد ، والموصل ، والبصرة ، وفى كثير من قرى لبنان وغيرها

ولما انقسمت الأمة العثمانية الى حزبى الاتحاد والائتلاف فى العام الماضى (١٩١٣) ، انقسمت الصحف العثمانية معها الى قسمين ، وجعلت صحف كل حزب تروج آراءه ولا يزال ذلك شأنها الى الآن (١٩١٤)

المجلات العربيـــة

جاء ذكر اقدم المجلات فى أثناء كلامنا عن الجرائد . وكان لفظ الجريدة يطلق على كليهما ثم اختصت المجلات بهذا اللفظ كما تقدم . واول من استخدمه لذلك الشيخ ابراهيم اليازجى . وقد رأيت أن أقدم المجلات العربية التى صدرت بمصر نعنى « اليعسوب » عام ١٨٦٥ ، كما صدرت فيها أول الجرائد الرسمية « الوقائع المصرية » و « اليعسوب » مجلة طبية

ثم ظهر « الجنان » فى بيروت عام ١٨٧٠ للبستانى وهى مجلة عامة جمعت بين العلم والادب والسياسة تصدر مرتين فى الشهر ، ظلت تظهر بضع عشرة عاما ، وكانت ميدانا لأقلام كتاب العربية فى ذلك العصر فى السياسة والادب والتـــاريخ والشـــعر والعلم والطب والحقـــوق والزراعة والرياضـــيات والطبيعيات والفكاهة وغيرها . وكان ينشىء مقالاتها السياسية سليم بن بطرس البستانى ، ومجموعة « الجنان » تشتمل على تاريخ الحركة العلمية والادبية والسياسية فى العالم العربى يومئـــذ ، واخذت المجلات بعـــده تتخصص موضوعاتها بالتدريج عملا بسنة النشوء والارتقاء (*)

(*) راجع فى هذه المجلة كتاب تاريخ الصحافة العربية لفيليب دى طرازى ج ٢ ص ٤٥ — ٤٧ ويليها فيه تاريخ مجلة النحلة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فصدرت مجلة « النحلة » للصابونجى فى بيروت عام ١٨٧٠ وهى أدبية علمية انتقادية . ثم صدرت « الجعبة » للشيخ نوفل الخازن فى دوعون لبنان وهى فكاهية هزلية لم تظهر الا قليلا ، وصدرت « روضة المدارس» بمصر عام ١٨٧٠ وهى علمية تاريخية طبية ، ثم صدر «المقتطف» عام ١٨٧٦ فى بيروت لمنشئيه الدكتورين صروف ونمر ومديره شاهين مكاريوس ، وهو علمى صناعى رياضى زراعى انتقل عام ١٨٨٦ الى مصر ، ولا يزال يصدر فيها ، وهو الآن شيخ المجلات العربية ، ومجلداته خزانة علم وصناعة وزراعة وأدب وشعر ، وفيها نخبة ما حدث فى هذه النهضة من الآراء والاختراعات والاكتشافات (*)

ثم صدر « الطبيب » فى بيروت عام ١٨٧٧ للدكتور بوسط ، وهو مجلة طبية جراحية صارت الآن الى الدكتور اسكندر (بك) البارودى ولاتزال تصدر فى بيروت .

وصدر « الشفاء » بمصر عام ١٨٨٦ للدكتور شبلى شميل وهو مجلة طبية جراحية علمية صدرت خمسة أعوام وتوقفت

وصدرت « الحقوق » لشقيقه أمين الشميل بمصر فى هذا العام ، وهى حقوقية ، وانتقلت بعد وفاة صاحبها عام ١٨٩٧ الى ابراهيم الجمال المحامى ، ولا تزال تصدر بمصر

ثم صدر «الهلال» فى القاهرة عام ١٨٩٢ لمنشئه مؤلف هذا الكتاب ولا يزال يصدر فيها ، وهو يبحث فى الادب والتاريخ والاجتماع والعلم ، وما يحدث من الاكتشافات والاختراعات. لكنه يتبسط على الخصوص فى التاريخ وفلسفته ، وفى الابحاث الاجتماعية ، وله ملحقات فى موضوعات مختلفة أهمها « تاريخ التمدن الاسلامى » فى خمسة أجزاء ، و« تاريخ العرب قبل الاسلام» ، و«علم الفراسة الحديث» ، و«طبقات الأمم» ، و«تاريخ آداب اللغة العربية» هذا جزؤه الرابع . ومن ملحقاته أيضا سلسلة روايات تاريخ الاسلام فى قالب روائى ، تبدأ بظهور الاسلام . وتصدر الحلقة السابعة عشرة منها فى هذا العام وموضوعها ظهور دولة المماليك وسقوط بغداد

وفى السنة التى صدر فيها «الهلال» صدرت مجلة « الاستاذ » للمرحوم عبد الله نديم ، وهى أدبية انتقادية لم يتم العام على ظهورها ، لأن الحكومة الغتها . وفى هذا العام صدرت مجلة «الفتى» لاسكندر شلهوب ، و«الفتاة» للسيدة هند نوفل (مدام دبانة) وهى أول الجرائد النسائية . ونكاثر

(*) انظر فى المقتطف طرازى ج ٢ ص ٥٢ – ٥٧ وراجع فى تاريخه وبيان قيمته ثبت الراجع الملحق بترجمة يعقوب صروف فى كتاب مصادر الدراسة الادبية ليوسف اسعد داغر « طبع لبنان سنة ١٩٥٦ » ج ٢ ص ٥٤٥ – ٥٤٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صدور المجلات من ذلك الحين ، وصارت أكثر ميلا الى التخصص . فقد رأيت صدور المجلات الحقوقية والطبية والتاريخية . وهذه « الفتاة » نسائية وتوالى صدور المجلات للنساء بعدها حتى زاد عددها على عشرين مجلة ، أكثرها فى القطر المصرى . وصدرت جريدة « المهندس » رياضية ، و « المنظوم » شعرية ، و « الشرائع » و « القضاء » ، و « الاحكام المصرية » كلها قضائية ، و « الابتسام » فكاهية ، و « الروضة » زراعية ، و « اليانصيب» مالية ، و « مجلة الغرفة التجارية» تجارية و « الاجيال » تصويرية ، و « المنار » اسلامية عمرانية ، و « مجلة العلوم الاجتماعية » تبحث فى الحقوق والاقتصاد والاجتماع ، و « مجلة التعاون » اقتصادية

واختلفت المجلات ايضا حسب المذاهب والعناصر ، فكل طائفة من النصارى لها مجلة أو غير مجلة تهتم على الخصوص بشئونها ، وكذلك سائر الجماعات . وصدرت مجلة « العرفان » فى صيدا شيعية ، وقس على ذلك عشرات من المجلات التى صدرت بمصر وسوريا لا يتسع المقام لذكرها . ومع ذلك فهى لا تزال بعيدة فى التخصص عن المجلات الافرنجية. فان بين هذه مجلات خاصة بكل فن من الفنون ، وحرفة من الحرف ، وعلم من العلوم ، مما لا نزال بعيدين عن مثله

وليس غرضنا تدوين تاريخ ما ظهر من الجرائد والمجلات العربية ، وانما أردنا أن نبين كيف نشأت الصحافة العربية . وقد أحصينا الجرائد والمجلات التى صدرت باللغة العربية من أول عهد الصحافة الى الآن ، فبلغت نحو ٦٥٠ صحيفة بين جرائد ومجلات على اختلاف الموضوعات ، لم يبق منها قائما الا خمسها فى أنحاء العالم المختلفة

الصحافة العربية فى أمريكا

لا يحسن بنا اقفال باب الكلام فى الصحافة قبل أن نختص الصحافة العربية فى أمريكا بكلمة . نعنى السوريين الذين هاجروا من سوريا ولبنان فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن . فان منهم فى العالم الجديد نحو ٣٠٠ الف نفس يشتغلون بالتجارة والصناعة والادب ، وقد حافظوا على لسانهم العربى وآدابهم العربية . وظهر منهم الكتاب والادباء والشعراء والاطباء والمؤلفون والخطباء . وأنشأوا لأنفسهم صحافة عربية خاصة بهم . وأول جريدة ظهرت لهم فى المهجر « كوكب أمريكا » صدرت فى نيويورك عام ١٨٩١ لنجيب عربيلى ، وتعطلت بعد وفاة منشئها . وانتشرت الصحافة العربية من ذلك الحين فى أمريكا الشمالية والجنوبية ، فظهرت الجرائد والمجلات العربية فى نيويورك وغيرها من الولايات المتحدة ، وفى المكسيك ، والبرازيل ، وكولمبيا ، والارجنتين ، وغيرها . وقد تعطل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعضها ولا يزال البعض الآخر يظهر الى الآن ، وربما زاد عدد ما لايزال يظهر منها فى المهجر على خمسين جريدة ، بينها جرائد يوميـــة كبرى ، تصدر فى ثماني صفحات كبيرة . وقد اكتسبت مميزات الصحافة الامريكية من حيث طرق الاعلان ، وأساليب التركيب والتعبير ، وترتيب الابواب والعناوين ، وقلدتها فى ذلك بعض صحف مصر وسوريا لهذا العهد . كذكرهم خلاصة المقالة فى صدرها بصيغة المضارع ، فيقولون فى عنوان مقالة عن واقعة حربية بين العثمانيين والبلغاريين مثلا : « الجند العثمانى ــ يهجم . يصـــده البلغاريون بعنف . يقتـــل الجنرال فلان . يفشل الجند الخ »

أما موضوعات تلك الصحف ، فأكثرها شرقي عربى ، وتبحث على الخصوص فى أحوال سوريا ولبنان ومصر ، وتتناقش وتتناظر ، وتدافع عن اللغة العربية والعنصر العربى

وظهرت فيها مجلات اختصت بالطب والاجتماع والتاريخ ، كما فى مصر وسوريا ، وبينها مجلات مخصصة بموضوعات لم تتخصص فيهـــا مجلة غربية ، نعنى مجلة « الفنون » التى تصدر فى نيويورك ، فانها خاصة بالفنون الجميلة ويمكن مقابلتها بأرقى المجلات الافرنجيـــة من نوعها ، وصدر معها فى وقت واحد مجلة بهذا الاسم بمصر لم يطل ظهورها (١) (*)

---

(١) ومن شاء زيادة التفصيل فى تاريخ الصحافة ، واحصاء الصحف ، فليطالع الهلال سنة ١ و ٤ و ١٢ و ١٣ و ١٨ ، وكتاب تاريخ الصحافة العربية للكونت فيليب دى طرازى

(*) وانظر دائرة المعارف الاسلامية فى مادة جريدة ، وهى بحث دقيق فى تطور الصحافة العربية والاسلامية ، كتبه هارتمان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحرية الشخصية

الحرية الشخصية من مميزات هذه المدنية . وقد كان لها تاثير كبير على آداب اللغة ، لانها صورة من صور النفس ــ وقد كان العرب من أكثر الأمم حرية واستقلالا فى أفكارهم وأقوالهم وأفعالهم ، يشهد بذلك تاريخهم فى صدر دولتهم ــ ثم ذهبت تلك الانفة وماتت الحرية بتوالى الظلم والعسف فى الاجيال الاسلامية الوسطى. فأقبل القرن التاسع عشر والعامة يساقون كالانعام لا ارادة لهم ولا حرية ولا رأى ، فلما أخذنا بأطراف هذه المدنية ، وأساسها رفع شأن العامة ، ومساواة الناس فى الحقوق والواجبات على اختلاف طبقاتهم ، كانت الحرية الشخصية فى جملة ما اقتبسناه

وقد ساعد على انتشار هذه الروح فى مصر البعوث العلمية التى كانت الحكومة المصرية ترسلها الى أوربا لتلقى العلم ، وأكثرها الى فرنسا . والتلاميذ الذين أرسلهم محمد على الى أوربا هم أول من قال بانشاء دولة عربية ، وبثوا هذه الروح فى العنصر العربى

وزاد انتشار هذه الروح فى سوريا بعد حوادث عام ١٨٦٠ ، لزيادة الاختلاط بالاجانب ، ومطالعة كتبهم ، وخصوصا ما يتعلق باستقلالهم وثوراتهم ، وأحوال الدولة العثمانية فى أثناء ذلك تزداد اضطرابا وفسادا. فأبى الاحرار الصبر على الضيم فعمدوا الى الهجرة ، وأكثر المهاجرين من المسيحيين لأنهم أكثر احتكاكا بالاجانب ، وأوسع اطلاعا على آدابهم . ومكن هذه الروح فى نفوس العرب انتشار العلوم الطبيعية بعد نقل العلم ، لانها مبنية على الحقائق المحسوسة

على ان هذه الروح الحرة اتخذت سبيلا آخر فى بعض الاحوال ، فحلت قيود العقل ، وصارت الى الرغبة فى التخلص من التقاليد والعادات الضارة ، وظهر غير واحد من طلاب الاصلاح السياسى ، أو الدينى ، أو الاجتماعى فى العالم العربى العثمانى . فآل الاصلاح السياسى الى قلب الحكومة العثمانية من الاستبداد الى الدستور . ونصراء هذا الاصلاح منا كثيرون أشهرهم مصطفى فاضل (باشا) المصرى ، وجمال الدين الافغانى ، وعبد الرحمن الكواكبى ، وخليل غانم ، وأمثالهم . وأشهر نصراء الاصلاح الاجتماعى الشيخ محمدعبده المصرى ، وقاسم أمين . وسنعود اليهم فى مكان آخر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واتخذت هذه الروح نهجا آخر من حيث العلم ، ولا سيما بعد شيوع مذهب النشوء والارتقاء فى النصف الثانى من القرن الماضى ، فتنبهت الاذهان الى حرية البحث وتعليل الحوادث ، كما تنجلى للعقل . فأخذت آثار ذلك تظهر على أقلام الكتاب فى أى موضوع كتبوا فيه ، الا المحافظين على القديم المتشبثين بآراء السابقين

ومن أكبر العوامل فى نشر روح الحرية والاستقلال انتشار التعليم ، فانه بعث هذه الروح فى الناشئة السورية ، وعلمهم الاعتماد على انفسهم ، والمطالبة بحقوقهم ، والتفكير بلا قيد . وظهرت ثمار هذه التربية عام ١٨٨١ ، اذ نهض بعض التلاميذ فى بيروت للمطالبة بحقوق مدرسية ، فلم تجب مطالبهم . وكان لهذه الحادثة دوى فى سوريا وغيرها . فأدى ذلك الى هجرة بعض أولئك المطالبين الى مصر ، وغير مصر

ويتبع الحرية الشخصية رفع شأن المرأة ، فانها لم تنل من الحرية والاستقلال والحقوق الاجتماعية ما نالته فى هذا العصر ، فتحررت وصار لها شأن ورأى نحو ما كانت عليه فى الجاهلية وصدر الاسلام . وكانت قد انحط شأنها فى القرون المظلمة حتى صارت كالمتاع لا صوت لها ولا رأى . وأحاطت بها الشكوك واصبح داب الرجل سوء الظن بها حتى وضعوا الكتب ونظموا القصائد فى تحقيرها وتقبيح آرائها ، وأمروا بحبسها والتضييق عليها . فأطلق سراحها فى هذا العصر ، وأخذت فى طلب العلم ، ونبغت غير واحدة منهن فى العلم والادب ، فأنشأت المجلات العلمية والجرائد السياسية والجمعيات الادبية ، والفن الكتب ووقفن للخطابة ، ونبغت منهن الطبيبات ، وأخذن فى طلب علم الحقوق. والمسيحيات أسبق الى ذلك ، لانهن أكثر اختلاطا بأسباب هذه المدنية . على أن هذه الروح دبت فى المسلمين أيضا ، ونبغ من نسائهم خطيبات وعالمات وكاتبات ، وانشأن الجمعيات

وترتب على هذه الروح أيضا تحول طريقة الارتزاق بالادب عما كانت عليه من قبل . كان الاديب أو الشاعر أو المؤلف قبل النهضة ينظم أو يؤلف ليرضى نفسه وميله ، او ليهدى مؤلفه الى امير أو صديق ، فأصبح الادب الآن صناعة أو تجارة ، يرتزق أصحابها باقبال الجمهور ، مثل سائر الصناعات المعاشية بسبب انتشار الطباعة ، وتعدد النسخ وبيعها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجمعيات العلمية والأدبية

نريد بها الجمعيات التي تشد ازر العلم والادب وتأخذ بناصر اهلهما. وهى من ثمار التمدن الحديث فى اوربا ، على أثر انتشار الحرية الشخصية ، وتأييد حقوق الافراد. وقد اقتبسناها من الافرنج فى جملة أسباب هذه المدنية. ولم يكن منها فى العصور الاسلامية الماضية غير ماتقدم ذكره من الاسواق فى الجاهلية وصدر الاسلام كعكاظ والمربد ونحوهما. وماكانوا يعقدونه من مجالس الادب فى منازل الكبراء للمساجلة أو المناشدة . وقد يكون ذلك فى مجلس امراة عاقلة أديبة . كما كانت تفعل سكينة بنت الحسين ، وعائشة بنت طلحة. وكان فى صدر الدولة العباسية جارية شاعرة مغنية اسمها دنانير، كان اهل الادب وذوو المروءة يقصدونها للمساجلة أوالمذاكرة فى الشعر. ويدخل فى ذلك ماكان يقع فى مجالس الخلفاء أو الامراء من المناظرة . فهذه كلها ترفع شأن الادب ، ولكنها ليست من قبيل الجمعيات التى نحن فى صددها

على أن المسلمين كانوا يؤلفون الجمعيات السرية للأبحاث العلمية الممنوعة فى نظر اهل الدولة . مثل جمعية اخوان الصفا فى الدولة العباسية ، وما نسج على منوالها فى المملكة الاسلامية . ومنها جمعيات سياسية تشبه الاشتراكية أو الفوضوية ، كالخوارج ، وطائفة الحشاشين ، أو الاسماعيلية ونحوها ، ممن كانوا ينقمون على أهل السيادة ويسعون فى خلعهم أو قتلهم بالمكائد والدسائس أو الفتك . وكان عندهم جمعيات انسانية أو اخوية ، مثل الجمعية الماسونية . ولا يبعد انه كان لها فروع فى الشرق الاسلامى ، وذكر ابن بطوطة فى رحلته جمعية سماها الاخية الفتيان ، لها فروع فى جميع البلاد التركمانية والرومية فى كل بلد ومدينة . ناهيك بالجمعيات التى هى من قبيل الطرق الصوفية ونحوها

وهذا كله يختلف عن الجمعيات التى نشأت فى هذا العصر ، واقتبسناها من الافرنج ، كما اقتبسنا منهم الشركات الاقتصادية وغيرها من الاعمال التى يتعاون فيها الجماعات للمصلحة المشتركة . وقد أصبحت هذه الجماعات تعامل معاملة الشخص الواحد وتخاطب كما يخاطب الفرد . وحدث نحو ذلك فى تجريد سائر الادارات او المعاهد التى تسمى اليوم باسم خاص . كالجريدة والبنك ونظارات الحكومة ونحوها ، فانهم يخاطبونها كما يخاطب الفرد ، ويقولون مثلا : قالت الجمعية الفلانية ، وفعلت النظارة الفلانية ، بحيث ان شخصية الافراد ضاعت فى المصلحة المشتركة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجمعيـات العلمية والادبية فى سوريا

والجمعيات العلمية المشـار اليها نشأت أولا فى سوريا ، لان الافرنج تقاطروا اليها للتبشير أو التعليم ، قبل تقاطرهم لذلك الى مصر . فنبدأ بذكر تاريخ الجمعيات فى سوريا وهى أربعة أقسام :

١ ـ جمعيات علميـة خطابيـة

٢ ـ جمعيات خيرية تعليميـة

٣ ـ جمعيات علمية فنية

٤ ـ أندية أدبيـة

فلنتكلم عن كل من هـذه الاقسام على حدة :

اولا ـ الجمعيات العلمية الخطابية فى سوريا

١ ـ الجمعيـة السـورية

تاسست فى بيروت سنة ١٨٤٧

أول الجمعيات العلمية فى سوريا « الجمعية السورية » انشئت فى بيروت عام ١٨٤٧ بمساعى المبعوثين الامريكيين قبل انشاء المدارس الـكبرى ، وقبل ظهور الصحف أو المجلات ، وقبل اقتباس التمثيل وغيره من وسائل المدنية الحديثة . والغرض منها نشر العلوم وترقية الفنون بين الناطقين بالعربية . ولم تمض عليها بضعة أعوام حتى انتظم فى سلكها نخبة الادباء والفضلاء والوجهاء فى ذلك العصر . وزاد عدد أعضائها على خمسين عضواً منهم نيف وأربعون فى بيروت ، ونحو عشرة أعضاء مراسلين فى دمشق وطرابلس وصيدا وغيرها . ومن اعضائها الذين يعرف القراءة اسماءهم : الدكتور فانديك ، بطرس البستاني ، نوفل نوفل ، عالى سميث ، نصيف اليازجى ، هنرى دى فرست ، نعمة تابت ، سليم نوفل ، الدكتور ورتبات ، تشرشل (بك) ، مخائيل شحاتة ، الدكتور مخائيل مشاقة ، سمعان كلهون ، مخائيل عرمان ، ابراهيم طراد ، جبـور الخورى ، جرجس هوايتن ، وغيرهم .. وكلهم توفوا الآن ، وكان أكثرهم يومئذ فى مقتبل العمر

ظلت هذه الجمعية عاملة الى عام ١٨٥٢ ، تجتمع مرة فى الشهر على الاقل . فبلغ عدد جلساتها ٥٣ جلسة كانت تدور فيها الخطب والمباحثات . ويسعى أعضاؤها فى جمع الكتب والصحف ، واستنهاض الهمم لاكتساب العلم مع الابتعاد عن المسائل الدينية . وفيها مكتبة للمطالعة لكل عضو الحق فى استعارة الكتب لمطالعتها . ولها رئيس وثلاثة نواب ، وكاتب وأمين صندوق ، يعاد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انتخابهم بالاقتراع كل عام . وقد تولى رئاستها الدكتور طمسن وغيره، وكان رئيسها في العام الاخير عالي سميث . وكاتب الوقائع بطرس البستاني . وأمين المكتبة انطونيوس الاميوني . وأمين الصندوق مخائيل شحاتة

وبين يدينا أعمال هذه الجمعية الى آخر عام ١٨٥١ ، طبعت في بيروت عام ١٨٥٢ ، وفيها مجموع الخطب والمقالات التي تليت في الجمعية اثناء المدة الماضية . منها خطاب في لذة العلم وفوائده للدكتور فانديك ، وفضل المتقدمين على المتأخرين له ، ومقدار زيادة العلم في سوريا في هذا الجيل للدكتور ورتبات ، والشرائع الطبيعية لسليم نوفل ، وتعليم النساء لبطرس البستاني ، ومدنية بيروت له ، وعلوم العرب لليازجي ، والسعد والنحس للدكتور مشاقة ، والنبات لنوفل نوفل وغير ذلك (*)

٢ ـ الجمعية العلمية السورية

أنشئت هذه الجمعية بعد تلك ، وقلدتها في قانونها وشروطها حتى اسمها . ودخل في عضويتها طائفة من اعضاء الجمعية السابقة ، وظلت عاملة الى عام ١٨٦٨ اذ دخلت في طور جديد ، واعترفت بها الدولة العثمانية رسميا في ٢٠ رمضان عام ١٢٨٤ هـ (١٨٦٨) . ثم عقدت اجتماعا بعد أسبوع حضره كامل (باشا) (الصدر الاعظم) متصرف بيروت يومئذ . وأذن لها بنشر أعمالها . وبلغ عدد أعضائها لهذا العام نحو ١٥٠ عضوا ، أكثرهم من بيروت، وبعضهم من دمشق وحمص، وغيرهما من مدن سوريا ومن الآستانة . وبينهم نخبة من الادباء والعلماء والوجهاء ، وهذه أسماء مشرفيها لهذا العام :

١ ـ (الامير) محمد الامين ارسلان	رئيس
٢ ـ حسين بيهم وحنين خوري وسليم بستاني	مميزون
٣ ـ عبد الرحيم بدران وسليم شحاتة	كاتبان
٤ ـ سليم رمضان وموسى فريج	مصححان
٥ ـ حبيب الجلخ	مدير أشغال
٦ ـ رزق الله خضرا	أمين صندوق

ومن الادباء أو الوجهاء أو رجال الادارة بين أعضائها ممن يعرف القراء أسماءهم : كامل (باشا) . اسبر شقير . الشيخ ابراهيم اليازجي . بشارة زينيه . جرجس توينى . جرجس فياض . حبيب بسترس . حبيب اليازجي . خليل الخوري . رسلان دمشقية . سليم قشوع . عبد البديع اليافي . محيي الدين بيهم . سليم شحادة . محمد بيهم . مخائيل صبري .

(*) انظر في أعمال هذه الجمعية كتاب تاريخ الصحافة العربية ج ١ ص ٥٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نقولا مدور . يوسف الشلفون . حنا ابكاريوس . عبد القادر الدنا . يوسف سرسق ، وكلهم فى بيروت ، وجبران اسبر . روفائيل شامية . عبد اللطيف ماردينى . يوسف وردة . عبده القدسى . ميخائيل مشاقة . فى دمشق ، وقد نبغ من هؤلاء طائفة من العلماء سنترجم لهم فيما يلى

وكان بينهم جماعة من كبار رجال السياسة بالآستانة ، منهم فؤاد (باشا) الشهير ، ورشدى (باشا) ، ومصطفى فاضل (باشا) ، وصفوت (باشا) ، ورءوف (باشا) وغيرهم . وفى مصر سليمان اباظة ، واحمد اباظة ، وغيرهما . وبين يدينا مجموعة اعمال هذه الجمعية للعامين الاخيرين، وعليها كان معولنا فى اكثر ما ذكرناه عنها

٣ ـ جمعية شمس البر

انشئت هذه الجمعية فى بيروت عام ١٨٦٩ فرعا لجمعية اتحاد الشبان المسيحيين فى انجلترا . وهى ادبية خطابية ، وان اشترط فيها بعض الشروط الدينية . وقد انتظم فى سلكها طائفة كبيرة من أدباء بيروت وسوريا ، واكثرهم من المتخرجين فى المدرسة الكلية ، وغيرها من مدارس الامريكيين . وفيهم طبقة من الكتاب ، وارباب الصحف ، والاساتذة ، والاطباء ، والوجهاء وغيرهم . ومنهم أصحاب المقتطف ، وصاحب الطبيب ، وصاحب الهلال ، واكثر الاطباء المتخرجين فى كلية الامريكيين الطبية ، واكثر الاساتذة المتخرجين من كليتهم العلمية. ولاتزال عاملة للآن

وقد انتشرت روح هذه الجمعية بانتشار اعضائها فى انحاء سوريا ومصر . فنبتت لها فروع فى كثير من المدن ، لكل منها اسم خاص . منها جمعية رباط المحبة فى دمشق انشئت عام ١٨٧٤

٤ ـ جمعية زهرة الآداب

تأسست فى بيروت عام ١٨٧٣ برخصة من الحكومة العثمانية على يد اسعد (باشا) متصرف بيروت فى ذلك العهد . انخرط فى عضويتها طبقة اخرى من الادباء ، فيهم جماعة من متخرجى المدرسة الوطنية للبستانى ، وغيرها من المدارس الكبرى . عرفنا منهم سليمان البستانى (ناظم الالياذة العربية ووزير التجارة) ، وروفائيل خورى مدير بنك مورتكج بالاسكندرية ، وأديب اسحق ، واسكندر العازار ، ونعمان الخورى (قنصل فرنسا) ، واسكندر شكرى، وصاحبى المقتطف ، والشيخ ابراهيم اليازجى، وحسن بيهم، وميشال تويني،وداود نحول، وكلهم من بيروت. وكان لها اعضاء مراسلون، منهم جورج يني صاحب المباحث فى طرابلس،وبعض آل مراش فى حلب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والغرض منها التمرن على الخطابة وقوة الحجة والدرس والبحث. وكان كل عضو مكلفا بدرس يلقيه على سائر الاعضاء مرة فى الاسبوع . وكانت تؤلف الروايات وأعضاؤها يمثلونها وينفق دخلها فى سبيل الخير. وقد توقفت هذه الجمعية لما أحدقت الظنون بالمشروعات العلمية فى أيام عبد الحميد

٥ ـ الجمعية العلمية فى المدرسة الكلية

انشأها تلاميذ المدرسة الكلية الامريكية فى أوائل مدة هذه المدرسة . وقد أخذ الاساتذة بناصرها وتراسها غير واحد منهم . وكان رئيسها لما كنا فى الكلية عام ١٨٨١ الدكتور بوسط .. غرضها تمرين الشبان على الاجتماع والقاء الخطب والمباحث فى الموضوعات الاجتماعية والتاريخية المفيدة . ولا تزال عاملة الى الآن

ومن قوانينها أن تعقد اجتماعا عاما كل عام ، تدعو اليه أعيان بيروت وكبار رجال الحكومة وغيرهم ، تلقى فيه الخطب والمباحث . وكان لهذه الجمعية تأثير كبير فى ترقية مواهب الشبان وتعويدهم على البحث والدرس . وأما أعضاؤها فهم تلاميذ الكلية فى الصفوف العلمية العالية ، والصفوف الطبية من أبناء العرب . فيكون كل حاملى الشهادة العلمية الامريكية او الطبية أو الصيدلية من أعضائها . وروح هذه الجمعية انتشرت فى سوريا وغيرها بانتشار تلامذ الكلية . فكانوا حيثما حلوا تاقت انفسهم الى مثل اجتماعاتهم الادبية فى مدرستهم ، فيشكلون الجمعيات على مثالها من الادباء الذين يقيمون بينهم

وفى المدارس الكبرى الوطنية فى بيروت جمعيات من هذا القبيل ، منها جمعية مدرسة الحكمة ، انشئت لهذه الغاية عام ١٨٨١

٦ ـ جمعية باكورة سوريا

وحدثت فى بيروت نهضة نسائية فى اثناء ذلك، فافتقدت الفتيات المتعلمات بالفتيان المتعلمين. فانشأن جمعيات علمية خطابية لمثل غرض جمعيات الشبان المتقدم ذكرها. اقدمها «جمعية باكورة سوريا» ، صدرت أعمالها ودستورها فى كتاب طبع عام ١٨٨١ ، وفيه عدة خطب فى موضوعات اجتماعية

ثانيا ـ الجمعيات الخيرية التعليمية

فى سوريا كثير من الجمعيات التعليمية أكثرها دينية ، واهمها جمعيات المبعوثين الاجانب من الامريكيين واليسوعيين وغيرهم . وقد جاء ذكرهم فى باب المدارس . ونكتفى هنا بذكر الجمعيات الوطنية التى أنشئت لغرض التعليم أو التربة أو نحوهما . هاك اهمها :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ ـ جمعية المقاصد الخيرية

هي من خيرة الجمعيات العلمية في بيروت . أنشأها نخبة من أدباء المسلمين عام ١٨٨٠ غرضها ترقية الناشئة المسلمة . فأنشأت مدرستين للبنات ومدرستين للذكور ، وسعت في ارسال بضعة شبان الى المدرسة الطبية المصرية لتعلم فن الطب . لكن الحكومة العثمانية ظنت السوء بها ، واتهمت أعضاءها ، وصادرت بعضهم : ثم أبدلتها بمجلس المعارف . عرفنا من أعضائها المرحوم الشيخ فضل القصار الاديب الشاعر . وفي بيروت الآن جمعية بهذا الاسم لخدمة المدارس لها عدة مدارس تنفق عليها من صندوقها

٢ ـ جمعية زهرة الاحسان

جمعية زهرة الاحسان لطائفة الروم الارثوذكس ، انشأتها جماعة من عقائل وجهاء هذه الطائفة في بيروت وفتياتهم عام ١٨٨٠ ، الغرض منها تعليم الفتيات وترقية نفوسهن . فأنشأت لذلك مدرسة بهذا الاسم ، وقد سعت في انشائها وتدبيرها السيدة لبيبة جهشان . ولا تزال تديرها الى الآن ، وتعرف بالحاجة مريم جهشان

٣ ـ جمعيـة تهذيب الشبيبة السـورية

لهذه الجمعية منهج آخر في خدمة الناشئة السورية . تعنى مساعدة المراغبين في التعليم بينما لا تساعدهم ماليتهم على الدفع . وهي من ثمار روح المدرسة الكلية الامريكية . وأعضاؤها أكثرهم من أساتذة هذه المدرسة ومعلميها . أنشئت عام ١٩٠٢ ، وهي تجمع الاموال بالاشتراكات من أعضائها ، وتساعد طلاب العلم بدفع راتب المدرسة عنهم . على أن يكون ذلك دينا عليهم اذا استطاعوا وفاءه فعلوا . ولها فرع نسائي يعرف بجمعية النساء لتهذيب الشبيبة السورية تعمل نفس عملها للبنات . أعضاؤها من خيرة العقائل والآنسات السوريات في سوريا ولبنان ومصر وأمريكا وغيرها

وقد انشئت جمعية نسائية في برمانا (لبنان) اسمها « جمعية الابرة الذهبية » لمساعدة جمعية بيروت . غير مايأتيها من مساعدات أهل البر . وبلغ عدد الذين أعانتهم جمعية تهذيب الشبيبة للتعليم الى آخر العام الماضي ٧٧ شابا و ١٤ فتاة بلا تمييز بين المذاهب . انفقت عليهم جميعا ٨٦٩٠٠ قرش ، ولا يزال في صندوقها ٧٠٣٠٨ قروش تحت الاستثمار

٤ ـ جمعية المعارف الدرزية

وانتشرت روح جمعية التهذيب في سوريا ، فتألفت الجمعيات لمثل غرضها في الطوائف الاخرى . عرفنا منها «جمعية المعارف الدرزية» تشكلت في لبنان عام ١٩١١ ، وغايتها تعميم الاصلاح في الطائفة الدرزية بنشر المعارف بين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابنائها استكمالا لرقيهم ، وتمكينا للجامعة العثمانية . تجمع أموالها بالاشتراك وتنفق على الذين لا يستطيعون الانفاق

٥ ـ جمعية يقظة الفتاة العربية

انشأتها نخبة من عقائل المسلمين وفتياتهم من أوجه عائلات بيروت فى هذا العام (١٩١٤) ، للتعاون على تعليم المسلمات العربيات اللواتى لا يستطعن الى ذلك سبيلا

ثالثا ـ الجمعيات العلمية الفنية

نريد بها الجمعيات الخاصة لخدمة علم أو فن أو صناعة . وهذه قليلة فى سوريا ، لانها تستلزم الانفاق والدرس والتجارب العلمية وغيرها ، مما لايتيسر لنا. ومع ذلك لم تعدم سوريا بعض الجمعيات الفنية. هاك أشهرها :

١ ـ المجمع العلمى الشرقى

انشىء فى بيروت عام ١٨٨٢ للبحث فى العلم والصناعة لما يعود على البلاد بالخير. أول من فكر فيه الدكاترة صروف ونمر وموصلى (باشا) ، ووليم فانديك . فشكلوه ووضعوا قوانينه . وانضم اليهم طائفة من علماء سوريا وخدمة العلم فى ذلك العهد . منهم الدكتور ورتبات ، والدكتور فانديك ، والدكتور اسكندر بارودى ، ومرادى البارودى ، وسليم بطرس البستانى، والدكتور ميخائيل مشاقة ، والشيخ ابراهيم اليازجى ، والمعلم أبراهيم الحورانى ، واسبر شقير ، ومؤلف هذا الكتاب . وتولى رئاسته الدكتور فانديك الكبير ، والدكتور ورتبات . ومن أعضائه المراسلين شفيق (بك) منصور ، وادريس (بك) راغب . ولم يطل بقاء هذا المجمع بعد انتقال اصحاب المقتطف الى مصر . وقد جمعت أعمال عامه الاول فى مجلد على حدة ، وهى تشتمل على مقالات علمية القاها بعض الاعضاء فيه .

٢ ـ جمعية الصناعة

انشئت فى بيروت نحو عام ١٨٨٢ لتنشيط الصناعة . ومن أكثر الناس سعيا فيها شاهين (بك) مكاريوس، وقد توقفت بعد انتقال المقتطف الى مصر .

٣ ـ جمعية احياء التمثيل العربى

تألفت هذه الجمعية فى بيروت بعد اعلان الدستور ، وهى تضم نخبة من هواة التمثيل ، وبتولى ادارتها باترو باولى صاحب جريدة المراقب ، واسمها يدل على غرضها

رابعا ـ الاندية

كثر ظهور الاندية فى بيروت وغيرها من مدن سوريا على أثر اعلان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدستور ، لـكن أكثرها سياسي تابع لحزب الاتحاد والترقي ، أو حزب الائتلاف ، أوسواهما من الاحزاب السياسية ، مما ليس من شأننا الخوض فيه

على أن اطلاق حرية الاقلام والاجتماعات ، ساعد على انشاء الاندية الادبية التي يجتمع فيها الاعضاء للمطالعة أوالمذاكرة. وكان البيروتيون قد أنشأوا غرفا للمطالعة قبل الدستور، لها فروع في جهات سوريا كما سيجيء في باب المكتبات. فعمدوا الى انشاء الاندية الادبية ، وآخر ناد من هذا القبيل انشيء في بيروت هذا العام ، أعضاؤه نخبة من أدباء بيروت المسلمين، وسموه «النادي الاهلي » ويقال بالاجمال ان الاندية الادبية في سوريا لا تزال في أول نشأتها

ومن الاندية العربية المهمة « المنتدى الادبي » ، تأسس في الآستانة بعد الدستور ، وله مجلة علمية تصدر باسمه ، غرضها تأييد العنصر العربي واحياء آداب العرب

الجمعيات السورية خارج بيروت

كل ما تقدم ذكره من الجمعيات نشأ في بيروت أم مدن سوريا ، من حيث العلم والادب وسائر أسباب المدنية . وقد اقتدت بها سائر المدن السورية في هذا السبيل ، فانشأت الجمعيات الادبية والعلمية والخطابية والتعليمية وغيرها . وناهيك بالجمعيات الخيرية ، فانها كثيرة جدا في بيروت وغيرها ، ولم نتعرض لذكرها لانها خارجة عن موضوع بحثنا ، حتى الجمعيات الادبية والعلمية فان ما ذكرناه من جمعيات بيروت ليس كل ما نشأ فيها من هذه الجمعيات . فقد ظهر فيها بعد الدستور جمعيات عدة . وانما اردنا هنا بيان كيفية نشوء الجمعيات العلمية والادبية في سوريا . كما بينا كيفية نشوء المدارس والطباعة والصحافة وغيرها . على اننا لا نرى باسا من الاتيان بامثلة من الجمعيات التي نشأت في بعض المدن السورية الكبرى ليقاس عليها

١ ـ الجمعيات في حلب

لم ينشأ بحلب جمعيات علمية ادبية قبل الدستور ، او لعلها لم تظهر بسبب الاستبداد والضغط على الافكار، وسوء ظن الحكومة بكل اجتماع . ومن الجمعيات التي ظهرت قبل الدستور في حلب «جمعية النشأة التهذيبية» تأسست عام ١٩٠٧ وظلت مستترة حتى اعلن الدستور في العام التالي . فظهرت وعقدت الاجتماعات في التحريض على انشاء الجمعيات لبث روح الرقي العلمي والادبي في الناشئة الحلبية . فكان لكلامها وقع ، لكنها اقفلت بعد عام آخر. فاجتمع جماعة من الادباء في العام التالي عام ١٩١٠ لانشاء ناد يمثل هذا الغرض، جعلوه تحت رئاسة فخري (باشا) والي حلب اذ ذاك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجعلوا غرضه التعاون على بث المعارف والرياضة البدنية والفنون الموسيقية ، فلقى اقبالا ، لكنه لم يطل عمره

وقس على ذلك تاريخ اندية وجمعيات أخرى انشئت لمثل هذه الاغراض، ولم يطل بقاؤها . منها « نادى الادب » انشأه القس توما ايوب عام ١٩٠٩، يتخرج فيه الشبان فى الادب والمطالعة والاستفادة بدلا من اللهو فى المقاهى. و « نادى الجهاد الادبى » ، و « جمعية تثقيف الفقير » انشئت عام ١٩١٣ ولا تزال . غير الجمعيات الاخرى لاعانة الفقراء فى غير التعليم

وآخر جمعية تشكلت للتعليم بحلب جمعية المقاصد الخيرية ، وهى من نوع جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية التى نشأت فى بيروت ، وقد تقدم ذكرها . أنشأها بعض أدباء حلب المسلمين فى هذا العام ، وشعارها « لا حياة الا بالعلم » و « الجمعية الاسلامية الشرقية » قام بها بعض الناهضين من شباب حلب المسلمين ، للسعى فى ترقية العلم ونشره بمال يجمع بالاشتراك من أفراد الامة . وجعلوا الاشتراك عاما ، وقيمته زهيدة ، فأصبح المشتركون فيها نحو الف شخص وبالجملة فان فى حلب نهضة أدبية فى سبيل انشاء الجمعيات ، فعسى ان يوفقوا الى ما يريدون

٢ ـ الجمعيات فى حمص

اكثر ما انشىء فى حمص من الجمعيات يرمى الى غرض خيرى طائفى . وبعضها خيرى فقط للقيام بالاحسان الى الفقراء ودفن الموتى . والبعض الآخر للقيام بادارة بعض المدارس الخيرية او غير الخيرية . وبعضها من قبيل الجمعيات السياسية للجمع بين العناصر العثمانية ، او دينية لسماع الوعظ والارشاد . وهذا كله يخالف ما اردنا بيانه فيما تقدم من الجمعيات العلمية والادبية الخطابية او التعليمية . على أن بعض هذه الجمعيات كثيرا ما تتخذ هذه الخطة

ومن الجمعيات التى تدخل فى هذا الباب جمعية دفن الموتى للروم الارثوذكس ، تأسست عام ١٨٩٢ كان غرضها دفن الموتى ، ثم نابت مناب جمعية المدارس الارثوذكسية عام ١٩٠٢ ، للاهتمام بما بقى من تلك المدارس بعد تسليم شطرها الآخر الى جمعية فلسطين . والجمعية الخيرية الاسلامية ، تأسست عام ١٩١٣ ، لاستدرار حسنات المسلمين لأجل تربية ايتامهم ، وجمعية نور العفاف الارثوذكسية النسائية ، تأسست عام ١٨٩٨ ، كانت مقتصرة أولا على سماع الخطب الادبية .. ثم تطرقت الى انشاء مستشفى لمعالجة المرضى مجانا . و « النهضة الحمصية » ، تأسست عام ١٩١٣ ، للجمع بين العناصر العثمانية بالخطب والارشاد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ الجمعيات فى دمشق

قد تقدم ذكر جمعية رابطة المحبة التى انشئت فى دمشق عام ١٨٧٤ فرعا لجمعية شمس البر. وانشىء غيرها من الجمعيات ، ولم نقف على خبرها

واهتم الدمشقيون فى زمن مدحت (باشا) بأمر التعليم ، فانشأوا بايعاز هذا الرجل المصلح الجمعية الخيرية عام ١٨٧٨ ، وانضم اليها علماء دمشق وادباؤها فى ذلك العهد . وعهد اليها فى انشاء المدارس وترقية المعارف ، واشتغلت بانشاء المكتبة الظاهرية الآتى ذكرها . ولم يطل بقاؤها الا ريثما نقل مدحت من سوريا

والجمعية التاريخية : انشئت عام ١٨٧٥ للبحث فى العلم والتاريخ

وجمعية الفنون الطبية : خاصة بالابحاث ، انشئت عام ١٨٨٧ ، انضم اليها الاطباء الوطنيون للبحث فى المعارف الطبية ونحوها

٤ ـ الجمعيات فى طرابلس الشام

نشأت الجمعيات فى طرابلس اقتداء ببيروت ايضا . وقد علمنا من زميلنا جرجى ينى صاحب المباحث فى طرابلس الشام ـ وهو من أعضاء الجمعية العلمية فى المدرسة الكلية ـ انه اتفق فى أواسط العقد الثامن من القرن الماضى مع بعض الادباء وانشأوا جمعية ادبية رئيسها اسكندر كاتسفليس ، وكاتبها جرجى ينى ، وانضم اليها كثيرون. وكانت تلقى فيها الخطب فى موضوعات مختلفة، فلما نشبت الحرب الروسية العثمانية عام ١٨٧٦ اقفلت

ثم انشأ الطرابلسيون جمعية تعليمية سموها «جمعية كفتين» انشأت مدرسة كفتين على مبادىء حرة ، وظلت المدرسة عاملة سبع سنين ، ثم اقفلت . وفى العزم اعادتها الآن

وفى عام ١٨٩٠ انشئت فى طرابلس جمعية النادى الادبى برئاسة جرجى ينى ، وكان من أعضائها شقيقه صموئيل ، وفرح انطون صاحب الجامعة ، وأسعد باسيلى وغيرهم . واقفلت بسبب حوادث الارمن عام ١٨٩٤ ، وكان غرضها القاء الخطب على الجمهور

وقس على ذلك نحو هذا التاثير فى المدن السورية الاخرى، ولاتكاد تخلو مدينة من مدن سوريا من مثل هذه النهضة. حتى القرى فى لبنان، فان فى كثير منها جمعيات أدبية ، والغالب أن يكون مؤسسوها من تلاميذ الامريكيين

وتشكلت فى سوريا فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن ولاسيما بعد اعلان الدستور جمعيات عدة ، فى سبيل الخطابة أو التعليم ، لاحاجة الى ذكرها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجمعيات العلميـة والادبيـة فى مصر

بدأ نشوء الجمعيات بمصر منذ الحملة الفرنسية ، فان نابليون انشأ معهدا علميا لغته الرسمية الفرنسية ، وأعيـد انشاؤه فى عهـد الدولة الخديوية . وانشئت جمعيات اجنبية اخرى ، فرأينا ان نقول كلمة فى هذه الجمعيات قبل التقدم الى الجمعيات العربية

الجمعيات العلمية الاجنبية بمصر

المعهد العلمى تاسس سنة ١٧٩٨

انشأه نابليون بونابرت وسماه بالفرنسية Institut d'Egypte وهو فرنسى اللغة . عقدت جلسته الاولى فى ٢٢ اغسطس عام ١٧٩٨ فى منزل حسن شركس بالناصرية . وقد دهش ادباء مصر فى ذلك العصر مما شاهدوه فيه من مستحدثات الاختراعات . فوصفه مؤرخ تلك الحقبة (الجبرتى) بقوله :

« فيه جملة كبيرة من كتبهم وعليها خزان ومباشرون يحفظونها ويحضرونها للطلبة ومن يريد المراجعة فيراجعون فيها مرادهم . فتجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين ، ويجلسون فى فسحة المكان المقابلة لمخازن الـكتب على كراسى منصوبة موازية لتختات عريضة مستطيلة . فيطلب من يريد المراجعة ما يشاء منها ، فيحضرها له الخـازن ، فيتصفحون ويراجعون ويكتبون حتى أسافلهم من العساكر »

وقد جاء فى قانونه انه انشىء لنشر العلم ، والتنقيب عن الآثار ودرس الاخلاق وغيرها . وكان أعضاؤه ٤٨ عضوا على أربعة أقسام حسب العلوم : الرياضيات والطبيعيات والاقتصاد السياسى والآداب لكل منهـا ١٢ عضوا . وبين أعضاء هذا المعهد نخبة من علماء فرنسا فى ذلك العهد . وقد تعين المسيو مونج رئيسا وبونابرت نائبا وفورنيه كاتبا . وله نشرة كانت تصدر كل ثلاثة أشهر . ثم نشروا خلاصة ابحاثهم فى أربعة مجلدات.

ومن ثمار درسهم نشر كتاب وصف مصر Description d'Egypte فى مجلدات كثيرة . وذهب ذلك المعهد بذهاب الفرنسيين من مصر عام ١٨٠١

مجلس المعارف المصرى تاسس سنة ١٨٥٩

فلما صارت مصر الى محمد على انقضت معظم ولايته وليس فى مصر جمعية علمية . ولـكن بعض الجاليات انشأوا فيها جمعية انجليزية سموها الجمعية المصرية The Egyptian Society غرضها درس اللغات والآثار . وسموها بالفرنسية Société d'Egypte ولا نعرف مصيرها

على ان جماعة من رجال العلم بالاسكندرية أجمعوا على احياء المعهد العلمى المصرى فاحيـوه عام ١٨٥٩ وسموه Institut Egyptien أو «مجلس المعارف المصرى» ، ثم نقل الى القاهرة عام ١٨٨٠ ولا يزال يعقد فيها ، ولغته الرسمية الفرنسية . لـكن ابحاثه شرقية واعضاؤه من نخبة علماء الافرنج والوطنيين . وتوالى على رئاسته بضعة عشر رئيسا ، معظمهم من الافرنج ، فى جملتهم مريت (باشـا) ، ودشـامبور ، وكولوتشى ، وماسبيرو ، وأرتين (باشا) وغيرهم (١)

الجمعية الجغرافية تأسست سنة ١٨٧٥

غرضها الابحاث الجغرافية العلمية ، ولغتها فرنسية. وكان رئيسها عند تأسيسها شواينفرت الالمانى. ووكيلاه محمود (باشا) الفلـكى ، والجنرال ستون (باشا) ، وسكرتيرها المركيزكومبيان . ورئيسها الآن اباتا (باشا) وسكرتيرها جليارد (بك) صاحب مجلة مصر الفرنسية. وهى تنشر أعمالها بالفرنسية فى كتب تظهر حسب اللزوم ، منها مجموعات فى دارالكتب المصرية

جمعيات اجنبية اخرى

ومن الجمعيات العلمية الافرنجية بمصر ، الجمعية الانجليزية فى القاهرة عام ١٨٩٨ ، رئيسها الدكتور فرغوسن ، والجمعية الجغرافية الزراعية انشئت عام ١٨٩٨ ، رئيسها حسين كامل (باشا) ، والجمعية الرمدية عام ١٩٠٢ ، وجمعية علم الحشرات Entomologie تأسست عام ١٩٠٧ ، والجمعية الدولية الطبية تأسست عام ١٩٠٨ تجتمع فى قاعة مجلس المعارف المصرى رئيسها كوماتوس (باشا) والجمعية الالمانية الطبية عام ١٩٠٩ ، رئيسها الدكتور مايرهوف ، والجمعية الخديوية للاقتصاد السياسى عام ١٩٠٩ لها مجلة تنشر ابحاثها وتجتمع فى قاعة الجامعة المصرية

الجمعيات العربية فى مصر

تأخر ظهور الجمعيات العربية بمصر الى النصف الثانى من القرن الماضى ، على اثر تنبه الاذهان الى الامور السياسية فى زمن (الخديو) اسماعيل بما قام من المنافسة بينه وبين حليم (باشا) . وقد تكاثر الاجانب وتزايد الاحتكاك بالمدنية الاوربية ، ولاسيما بعد قدوم جمال الدين الافغانى الى وادى النيل ، وانتشار روح السياسة الحرة فى نفوس الادباء . فمالوا الى الاجتماعات

(١) ترى تفصيل ذلك لتوفيق اسكاروس فى الهلال ص ٥٧٩ سنة ٢١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السرية لتلك الاغراض ، فاتخذوا الماسونية وسيلة للاجتماع ، ثم انشأوا الجمعيات السياسية فنقول كلمة فيها قبل التقدم الى الجمعيات العلمية والادبية

الجمعيات السياسية في مصر

كان أكثر هذه الجمعيات سرية تستتر باسم علمي ولذلك كان تحقيق شئونها صعبا . لكنا نذكر ما بلغنا من أخبارها نقلا عن الثقات الذين عاصروها أو اشتركوا فيها ، منها :

١ ــ « جمعية الآداب » أنشئت بمصر عام ١٨٧١ ، وتولى رئاستها الشيخ محمد الخشاب الفلكي وحالما علمت الحكومة بها اقفلتها

٢ ــ « الجمعية الشرقية » أنشئت بمصر عام ١٨٧٧ ، ومن أعضائها أرتين (باشا) ، وفخري (باشا) ، وسليمان أباظة ، والياس حبالين ، والدكتور مهدي خان التبريزي . وعنه أخذنا خبرها قال : « وكانت تجتمع في بيت أحمد فهمي بالسكرية » وقد تعطلت في أيام عرابي

٣ ــ «جمعية مصر الفتاة» ذكروا من أعضائها جمال الدين الافغاني ، واديب اسحق ، وسليم نقاش، وعبد الله نديم، ونقولا توما ، من أرباب الاقلام في ذلك العهد. وأصدروا جريدة «مصر الفتاة» باسم هذه الجمعية في أواخر أيام اسماعيل. وأكد لنا بعض الثقات العارفين أن أصحاب جريدة «مصر الفتاة» ارادوا ايهام أولى الامر بوجود جمعية سرية يخشى بأسها. وليست الجمعية في الحقيقة الا محرري تلك الجريدة ممن كانوا يريدون مقاومة سياسة اسماعيل. ولذلك كانوا يصدرونها بالعربية والفرنسية ليوهموا الخديوي انها لسان حال جمعية كبرى من الافرنج والوطنيين، تسعى في خلع اسماعيل أو قتله . وكان اسماعيل يخشاها ويبحث عن أعضائها فلم يهتد اليهم

٤ ــ «جمعية الشبان» أنشئت في الاسكندرية قبيل الثورة العرابية للاحتجاج على لائحة فرنسا وانجلترا التي ترتب عليها شبوب نار الثورة. وطالبت أيضا بانشاء بنك وطني فرارا من استئثار الاجانب بمرافق البلاد. وكثيرا ماكان يحضر اجتماعاتها محافظ الاسكندرية عمر (باشا) لطفي ، وضمن لها السعي لدى الحكومة في مطالبها. ومن أعضائها السيد ابراهيم أبوهيف ، وابراهيم (بك) سعود ، ومحمد (بك) شوباشي ، وعبد القادر الفرياني وكان هذا تابعا لدولة فرنسا فتنازل عن تبعيتها لهذا الغرض (١)

وهناك جمعيات سياسية أو أحزاب ، نشأت بعد الاحتلال ، لا فائدة

(١) أخبرنا بذلك الشيخ احمد ابو على الازهري وكيل المكتبة البلدية بالاسكندرية سابقا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من ذكرها فى هذا المقام أشهرها الحزب الوطنى وحزب الاصلاح وحزب الامة والحزب الدستورى

الجمعيات العلمية والادبية بمصر

أما الجمعيات التى انشئت بمصر فى سبيل العلم فهى كثيرة . وقد توخت فى خدمته طرقا تختلف فى بعض أحوالها عن الجمعيات السورية . فنقسمها الى مجاميع باختلاف اغراضها أو أساليبها ، وهى :

١ ــ جمعيات نشر الكتب
٢ ــ جمعيات الترجمة والتأليف
٣ ــ الجمعيات العلمية الخطابية
٤ ــ الجمعيات العلمية الفنية
٥ ــ الاندية الادبية
٦ ــ الجمعيات الخيرية التعليمية
٧ ــ جمعيات التمثيل

أولا ــ جمعيات نشر الكتب

هى اقدم الجمعيات العربية العلمية بمصر . ولعل المصريين عمدوا اليها اقتداء بأعمال الحكومة فى زمن محمد على ، اذ عنيت بنشر الكتب وترجمة العلوم . واليك أهمها مرتبة حسب سنى انشائها :

١ ــ جمعية المعارف

تأسست سنة ١٨٦٨

أسسها محمد عارف (باشا) أحد أعضاء مجلس الاحكام عام ١٨٦٨ بمصر لنشر الكتب النافعة . وأنشأ ابراهيم (بك) المويلحى اذ ذاك مطبعة سماها باسم الجمعية لطبع تلك الكتب ، وكانت تطبع فى سواها أيضا . وكانت جمعية المعارف شركة مساهمة قيمة سهمها خمسة جنيهات . فلقيت اقبالا كثيرا حتى بلغ عدد المساهمين أو الاعضاء بضع مئات . وللأعضاء فى مقابل ذلك أن يقتنوا مطبوعات الجمعية بثمن أقل مما يعطى لسواهم . وكانت تعلن عن عزمها على نشر الكتاب وتعين ثمنه ، فئات متفاوتة حسب التعجيل فى الدفع . وقد طبعت طائفة من الكتب المهمة فى التاريخ والفقه ، منها أسد الغابة لابن الاثير خمسة مجلدات ، وكتاب الف باء مجلدان . والفتح الوهبى مجلدان . وتاج العروس عدة مجلدات وغيرها . وفى ذيل الفتح الوهبى قائمة بأسماء الاعضاء فى ذلك الحين

وما زالت هذه الجمعية عاملة حتى حدث التنازع السياسى بين اسماعيل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(باشا) وحليم (باشا) على منصب الخديوية . وكان محمد عارف (باشا) يروج آراء حليم فبلغه ان اسماعيل عالم بأمره ففر الى الآستانة وتوفى هناك وانحلت الجمعية . وكان عارف (باشا) من اهل الادب. وله مؤلفات فى التركية منها « آثار قلم » نشر فى الديوان المعروف بمنشآت قلم . وكان يحسن اللغة العربية ويروون من نظمه فيها بيتين يفتخر بهما قال :

الم تعلم بأن سماء فكرى ... تلوح بأفقها شمس المعارف
تفرس والدى لى فى المزايا ... فيوم ولدت لقبنى بعارف

٢ ـ شركة طبع الكتب العربية
تأسست سنة ١٨٩٨

تألفت عام ١٨٩٨ لنشر الكتب المهمة فى العربية ، ومن اعضائها حسن (باشا) عاصم ، واحمد (بك) تيمور، وعلى (بك) بهجت وغيرهم . وقد طبعت طائفة من الكتب المفيدة ، منها كتاب الموجز فى فقه الامام الشافعى وسيرة السلطان صلاح الدين ، وفتوح البلدان للبلاذرى ، والاحاطة فى أخبار غرناطة ، وتاريخ دولة آل سلجوق وغيرها

ومن هذا القبيل لجنة تألفت لنشر كتاب « المخصص » لابن سيده عام ١٩٠٢ ، أهم اعضائها الشيخ محمد عبده ، وحسن (باشا) عاصم ، وعبد الخالق (باشا) ثروت ، ومحمد (بك) النجارى وغيرهم . فظهر الكتاب فى ١٧ مجلدا . وقد طبعت كتبا أخرى

ثانيا ـ جمعيات التعريب والتاليف

وهناك جمعيات تشكلت لتعريب الكتب أو تأليفها ، عرفنا منها :

١ ـ (جمعية التعريب) لترجمة الكتب الحديثة فى الاجتماع والاقتصاد انشئت عام ١٨٩٣ وهى أشبه بلجنة أعضاؤها : على (باشا) أبو الفتوح ، ومحمود (بك) كامل ، وصالح (بك) نور الدين ، ومحمد مسعود . فترجموا كتاب الاقتصاد السياسى لجيفونس وطبع . ثم انحلت الجمعية بعد عام لتفرق أعضائها

٢ ـ (جمعية تأليف الكتب) ـ تشكلت عام ١٩١١ برئاسة عبد الرحيم (بك) أحمد : وأعضاؤها نحو ثلاثين عضوا من الادباء المصريين ، غرضها تأليف الكتب المدرسية وطبعها بمال يجمعونه منهم . وقد طبعت الى الآن نحو عشرة كتب مدرسية ولاتزال قائمة

وآخر جمعية للتعريب ، اللجنة التى شكلتها نظارة المعارف لتعريب الكتب المدرسية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثا ـ الجمعيـات العلميـة الخطابيـة

نريد بها الجمعيات العلمية والادبية لترقية احساس الامة الاجتماعى ، والتمرين على الخطابة والدرس والبحث . وهى بمصر أحدث منها فى سوريا ، واليك ما عرفناه من أخبارها :

١ ـ جمعيـة رواق الشوام بالازهر

تاسست سنة ١٨٧٣

هى أول جمعية خطابية ادبية ظهرت بمصر . وقد انشأها طلبة الازهر السوريون عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣) أنبأنا بخبرها حفنى (بك) ناصف مفتش أول اللغة العربية فى نظارة المعارف ، قال : « وكانت كلما عزم طالب سورى على الرجوع الى الشام نهائيا ، تحدد ليلة للاجتماع ، تعلنها الى أهل الرواق ، فيعد الشعراء قصائد الوداع وينشدونها ليلة السفر بمصر بين علماء الازهر وأدبائه ، وكانوا يبتدئون القصيدة بالغزل ، ثم يتخلصون الى المديح والوداع . وكان الشعراء يتبارون ويتنافسون فيها أيما تنافس. ولم يكن الشعراء من السوريين فقط ، بل كل من اراد أن ينظم قصيدة مصريا كان ، أو سـوريا ، تقبل منه ويؤذن له بالقائها . وبقيت هـذه الجمعية الى عام ١٣٠٠ هـ ، ولا ادرى أباقية هى أم انتهى أمرها

٢ ـ الجمعية الخيرية الاسلامية (الاولى)

تاسست سنة ١٨٧٨

انشئت فى الاسكندرية عام ١٢٩٦ (١٨٧٨) وهى غير الجمعية الباقية بهذا الاسم الى اليوم ، وسيأتى ذكرها . أما الجمعية الخيرية الاسلامية الاولى فكانت علمية أدبية وان كان الباعث على انشائها روحا سياسيـة اجتماعية ، دبت فى نفوس المصريين فى ذلك العهد على أثر ما شاهدوه من استئثار الاجانب بمرافق البلاد الاقتصادية . فشكلت هذه الجمعية لفتح المدارس لتعليم البنين والبنات ، وتهذيب أخلاقهم ، على أن تكون المدارس حرة مطلقة ، كما يستفاد من قانونها المطبوع ، ومنه نسخة فى دار الكتب المصرية

وكانت هـذه الجمعية تتبادل الخطب ليلا فى الموضوعات العلميـة والتاريخية . وقبيل افتتاحها انضم اليها عبد الله نديم ، فكلفته بافتتاح مدرسة تحت نظارته وأعانته الحكومة بمساعدة مالية ، وبمكان للتعليم بشرط الا تكون الجمعية خاصة بالمسلمين فسموها « الجمعية الخيرية المصرية » واعتبرتها الحكومة مدرسة رسمية ، وصادقت على قانونها . وما زالت الجمعية والمدرسة تتقدمان حتى بدأت الثورة العرابية فانفصل نديم عنها وانضم الى العرابيين ، وانفرط عقد الجمعية من ذلك الحين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أخبرنا محمد (افندى) أمين باشكاتب محكمة الاسكندرية الاهلية أن من مؤسسى هذه الجمعية : حسن منصور ، والدكتور حسن سرى ، ومحمد شكرى معاون ضبطية الاسكندرية حينئذ ، والحاج أمين الكيال ، والشيخ محيى الدين النبهانى ، ومحمود واصف ، والشيخ على ضيف ، وحسن المصرى ، وعبد المجيد عمر شويطر . وذكر لنا غيره من مؤسسى هذه الجمعية ، رستم (بك) العلايلى ، وأحمد نبيه ، ومحمد (باشا) الناضورى ، ومحمد (بك) العدل ، وعبد القادر (بك) الفريانى ، وغيرهم

أما المدرسة فأخبرنا حفنى ناصف انها كانت تديرها لجنة من أعيان الاسكندرية رئيسها محافظ الاسكندرية حينئذ ، ووضعت تحت رعاية الخديوى توفيق . وفيها تخرج مصطفى (باشا) ماهر العضو الوطنى بمصلحة الدومين وحدث نزاع بين أعضاء اللجنة فاستقال المحافظ من ادارتها ، فتولاها آخر ، وتولى نظارة المدرسة عبد الله نديم ، وأنشأت فى اثناء ذلك رواية تمثيلية اسمها « مصر وطالع التوفيق » كانت لهجتها تشف عن أسف عظيم على تقهقر مصر . وهى تقاوم التيار الاجنبى . ثم أنشأ عبد الله نديم جريدة « التنكيت والتبكيت » ، وشغل عن المدرسة ، وابتدأت الثورة العرابية فاقفلت . وكان خطباء هذه الجمعية عبد الله نديم ، وأحمد سمير ، وأديب اسحق ، وابراهيم اللقانى ، وأحمد العوام وغيرهم . ويجوز أن تعد من الجمعيات التعليمية

٣ ـ جمعيـة الاعتـدال

تاسست سنة ١٨٨٦

انشئت فى القاهرة عام ١٨٨٦ ، وغرضها بث روح الفضيلة وترقية الاخلاق ، والتمرن على الخطابة فى الموضوعات الاجتماعية ، على مثال جمعية شمس البر فى بيروت ، أو الجمعية العلمية فى الكلية وأكثر مؤسسيها من متخرجى الكلية الامريكية . وانضم اليها طائفة حسنة من الادباء والكتاب فى ذلك العهد ، وفيهم طبقة أصبحوا الآن من خير أرباب الاقلام وأصحاب المناصب . يحضرنا من أسمائهم الدكتوران صروف ونمر صاحبا المقتطف . الدكتور شبلى شميل ، الدكتور أخنوخ فانوس ، أحمد زكى (باشا) سكرتير مجلس النظار ، حفنى (بك) ناصف مفتش اللغة العربية بنظارة المعارف ، جبرائيل (بك) كحيل المحامى ، جندى (بك) ابراهيم صاحب الوطن ، الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ، ابراهيم الجمالى المحامى ، يوسف (بك) دبانة ، نجيب غناجة ، اثناسيوس صيقلى ، الدكتور طحان (بك) ، صاحب الهلال ، وقد تولى رئاستها الدكتور فارس نمر ، وحفنى (بك) ناصف ، وتعطلت عام ١٨٨٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ ـ جمعية التقدم المصرى

تأسست سنة ١٨٩١

اسسها تلاميذ الحقوق المصريون فى مونبلييه فى فرنسا عام ١٨٩١ ، ومنهم ابوالفتوح (باشا) وشوقى (بك) الشاعر . وغرضها التأليف والقاء الخطب فى العربية ، وقد نبتت لها فروع فى بلاد فرنسا بين المصريين ، وانتقلت عام ١٨٩٣ الى مصر وظلت فروعها هناك . وكانت تجتمع بمصر مرة فى الاسبوع ، واصدرت مجلة باسمها هى « التقدم المصرى » ، وانحلت الجمعية عام ١٨٩٥ بسبب تفرق الاعضاء فى مناصبهم

٥ و ٦ ـ جمعية العلم المصرى وجمعية العلم الشرقى وغيرهما

تأسست الاولى عام ١٨٩٣ برئاسة السيد (بك) رفعت ، ومن أعضائها الشيخ المهدى استاذ تاريخ آداب اللغة العربيـة فى الجامعة المصرية ، واسماعيل (بك) عاصم ، والدكتور عبد الرحمن اسماعيل ، وغرضها القاء الخطب والمباحث الاجتماعية ، ولم يطل عمرها . وتأسست الثانية فى هذا العام لمثل ذلك الغرض وكان بقاؤها قصيرا

ومن هذا القبيل الجمعية الادبية السورية عام ١٨٩٥ بمصر ، والجمعية الادبية الشرقية فى دمياط عام ١٨٩٦ ، وجمعيـة الاقتصـاد الاهلى فى الاسكندرية عام ١٨٩٦ ، وغيرها من الجمعيات التى انشئت فى مصر أو غيرها من مدن القطر المصرى وكلها توقفت

رابعا ـ الجمعيات العلمية الفنية

نعنى الجمعيات الخاصة بفرع من فروع العلم اقدمها :

١ ـ « الجمعية الجغرافية » المتقدم ذكرها بالفرنسية

٢ ـ « الجمعية الزراعية » تشـكلت عام ١٨٨٠ ، وغرضها ايجـاد العلاقات المستمرة بين المشتغلين بالامور الزراعية علما وعملا ، واجراء التمرينات الزراعية الجديدة ، ونشر نتائج ابحاثها فى مجلة باسمها تصدر مرة فى الشهر بالعربية والفرنسية ولا تصدر الآن

٣ ـ « الجمعية الطبية المصرية » انشئت عام ١٨٨٨ بمصر برئاسة سالم (باشا) سالم ، ومن أعضائها : أرتين (باشا) ، وحسن (باشا) محمود ، وغيرهما من نخبة الاطباء المصريين . ثم توقفت ، فأعاد انشاءها الدكتور عيسى (باشا) حمدى ، وتولى رئاستها عام ١٨٩٨ ووضع لها قانونا

٤ ـ « المجمع اللغوى » وهو يختص بالابحاث اللغوية ، وغرضه على الخصوص وضع المصطلحات العلمية لما حدث من المسميات الجديدة فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أثناء هذه المدنية ، انشيء في القاهرة عام ١٨٩٢ برئاسة السيد توفيق أحمد البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية ولم يطل بقاؤه

خامسا ـ الاندية الادبيـة

الاندية من قبيل الجمعيات مع بعض الاختلاف ، وهى أنواع ، منها : الاندية السياسية ، أو العلمية ، أو الادبية ، أو اندية الالعاب أو غيرها. ويهمنا هنا ما يتعلق منها بالعلم والادب فى اللغة العربية ، وهاك أشهرها :

١ ـ «النادى الشرقى» وهو خاص بالسوريين ، أنشيء بمصر عام ١٨٩٨ وكان الغرض منه عند الشروع فى انشائه أن يكون جمعية أدبية على مثال جمعيات بيروت المتقدم ذكرها . ثم عدلوا عن ذلك فجعلوه ناديا يجتمع فيه أعضاؤه للمطالعة أو المسامرة ، وقد سموه النادى الشرقى ، وهو يضم طائفة من خيرة السوريين فى الوجاهة والعلم والثروة ، تعقد فيه حفلات علمية أحيانا للمحاضرة ، ولا يزال

٢ ـ « نادى رعمسيس » وهو خاص بالاقباط ، أسس فى القاهرة عام ١٩٠٥ ، غرضه ترقية الآداب وتوثيق عرى المحبة . وفيه نخبة من أدباء الاقباط ووجهائهم ، وقد تلقى فيه المحاضرات فى سبيل المصلحة العامة . وفى الاسكندرية ناد بهذا الاسم لمثل هـذا الغرض ، ولا يزال

٣ ـ نادى المدارس العليـا » هو اقرب هـذه الاندية الى الجمعيـات العلمية ، وهوخاص بخريجى المدارس العليا ، تلقى فيه الخطب والمحاضرات فى كل فن ومطلب ولاسيما التاريخ والادب . اقترح انشاءه الدكتور عبد العزيز نظمى على خريجى المدارس العليا ، فتألفت لجنة للنظر فى ذلك ، فقررت انشاءه ، واختارت عمر (بك) لطفى رئيسا له ، وافتتح رسميا عام ١٩٠٦ ، ولا يزال قائما ، وفيه نخبة الشبيبة الراقية بمصر

٤ ـ «نادى دار العلوم» انشيء عام ١٩٠٧ على اثر تأسيس نادى المدارس العليا لان هذا خاص بخريجى المدارس الحديثة (الافندية) ، فرأى أدباء دار العلوم وغيرهم من المشايخ أن ينتشوا ناديا خاصـا بهم ، فأنشأوه برئاسة حفنى (بك) ناصف كانت تلقى فيه الخطب ، واكثر ابحاثه فى اللغة ومصطلحاتها . وقد وضع أعضاؤه بضعة آلاف لفظة اصطلاحية جديدة نشر بعضها فى مجلة كانت تصدر باسم النادى وقد توقفت الآن

٥ ـ « نادى موظفى الحكومة بالاسكندرية » وهو من اقرب الاندية الى الجمعيات الادبية العلمية ، تلقى فيه الخطب والمحاضرات فى العلم والادب والتاريخ ، وتمثل فيه الروايات الادبية لترقيـة الاخـلاق والحث على الفضائل ، أنشيء عام ١٩٠٩ ، وله لجنة مؤلفة من ١٢ عضوا رئيسها الآن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عثمان (باشا) مرتضى رئيس الديوان الخديوى ، ووكيلاها محمد (بك) مالك الاسكندرى ومحمد (بك) الجمال ، وسكرتيرها محمد غالب الفريانى — وعليه عولنا فى تحقيق احوال هذا النادى. وأمين صندوقها محمد (بك) أمين مدور. وقد بلغ عدد المشتركين فيه نحو ٢٥٠ عضوا ، وتلقى فى النادى دروس البكالوريا والليسانس فى الحقوق وقد تخرج فيه كثيرون ، ومنه تنشأ المشروعات الادبية النافعة . فقد تأسست فيه جمعيـة المواسـاة الاسلامية ، ونقابة موظفى الحكومة ، وشركة المشروعات الاهلية ، وشركة التعاون المنزلى لموظفى الحكومة ، ونادى الرياضة البدنية ، ولجنة تمثيل. وكل من هذه المشروعات تديرها لجنة تتألف من مجلس ادارة النادى

٦ — «جمعية الاتحاد السورى» هى من قبيل الاندية انشئت عام ١٩١٤ غرضها جمع كلمة السوريين والنظر فى مصالحهم ، وحفظ علاقاتهم مع سائر العناصر المكونة للأمة المصرية ، وهى تعقد الاجتماعات الادبية لاغراض أدبية

وتكاثرت الاندية فى انحاء القطر المصرى فى أوائل هذا القرن ، ولا تكاد تخلو مدينة من ناد أدبى فيه غرفة للقراء يجتمع اليه ادباء تلك المدينة مما يطول بيانه

سادسـا — الجمعيات الخيرية التعليمية

الجمعيات الخيرية كثيرة فى مصر وما من طائفة أو أمة أو جماعة الا ولها جمعية خيرية ، تنظر فى شئون فقرائها لسد عوزهم أو معالجة مرضاهم . وانما يدخل فى بحثنا منها الجمعيات التى غرضها الرئيسى انشاء المدارس للتعليم. ولايدخل فى ذلك المشروعات الخيرية التعليمية للأوقاف الاسلامية أو الطوائف الاخرى . وانما نريد الجمعيات التى تشكلت من افراد الامة المصرية لنشر التعليم فى الناشئة المصرية ، وهاك أشهرها حسب سنى تأسيسها :

١ — جمعية المقاصد الخيرية

تأسست سنة ١٨٧٨

هى أقدم الجمعيات الخيرية التعليمية المصرية انشئت فى مصر فى أواخر أيام اسماعيل عام ١٢٩٦ هـ (١٨٧٨) ، وكان رئيسها سلطان (باشا) وباشر ادارتها مقبل (باشا) وانضم اليها كثيرون من أعيان مصر ، وانشأت مدارس كثيرة وأمدت عدة اسر فقيرة . وكانت تلقى فيها الخطب ، وأشهر خطبائها عبد الله نديم ، وحسن الشمسى ونوابغ التلامذة . ولم تعرف الخطابة فى مصر قبل هذه الجمعية . فهى من قبيل الجمعيات الخطابية ، لـكننا وضعناها بين الجمعيات التعليمية لانها أقدم الجمعيات المصرية من هذا النوع . وقد أبطلت فى الثورة العرابية . أنبأنا بخبرها حفنى (بك) ناصف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ جمعيـة العروة الوثقى الاسـلامية

تاسست سنة ١٨٩١

انشئت فى الاسكندرية عام ١٣٠٩هـ (١٨٩١) للقيام بالاعمال الخيرية ونشر العلوم والمعارف والآداب والصنائع ، وتعليم الفقراء مجانا والاعانة على تربيتهم . تجمع ايرادها من اشتراكات أعضائها وتبرعات المحسنين ، وقد مضى عليها بضع وعشرون عاما عملت فى أثنائها أعمالا جليلة فى التربية والتعليم ومواساة الفقراء ، واعالة العاجزين كما يظهر من تقاريرها السنوية . وتنقسم أعمالها الى أقسام : أهمها التعليم ، وقد انشأت له المدارس الابتدائية والثانوية والتحضيرية والصناعية للذكور والاناث ، وعدد تلاميذها عام ١٩١٠ نحو ٣١٠٠ تلميذ ، بينهم ٨٥٠ تلميذة ، نحو ألف منهم يتعلمون مجانا . ولها مدرسة صناعية اسمها مدرسة محمد على الصناعية يتعلم فيها الطلاب أهم الصنايع كالنجارة والحدادة والسروجية والنقش وصنع الاحذية والطباعة والتجليد ، مع مبادىء الحساب والهندسة والكيمياء والطبيعة . عدد تلاميذها ٢٧٢ تلميذا

ولها ملجأ للايتام اللقطاء اسمه الملجأ العباسى ، يجتمع اليه كل عام نحو ٢٠٠ طفل ، يعتنى بتربيتهم غاية الاعتناء ، ولها مجلة تظهر كل شهر تبحث فى الدين والاجتماع والادب والتاريخ والزراعة والتدبير المنزلى ، يوزع قسم كبير منها مجانا . وقد انضمت الى الجمعية ، جمعية أخرى اسمها « جمعية حماية الاطفال » انشئت فى الاسكندرية ، ثم صارت فى جملة جمعية العروة الوثقى

٣ ـ جمعيـة التوفيق القبطيـة

تاسست سنة ١٨٩١

للأقباط مجد قديم من زمن الفراعنة ، وكل ما يروى من أحوال مصر العلمية والادبية فى ذلك العهد فالاقباط شركاء فيه . وكان لهم شأن ايضا فى الدول الاسلامية ، ونبغ منهم علماء وادباء . ثم دخلوا فى الاجيال المظلمة فى جملة الامم الشرقية ولاسيما فى زمن أمراء المماليك . وقد وصف أحوالهم رجل منهم فى القرن السابع عشر اسمه « أبو دقن المنوفى » فى كتاب باللغة العربية ترجم الى اللاتينية عام ١٦٧٥ ، ثم نقل الى الانجليزية عام ١٦٩٣ بقلم السير سدلر ويقال ان الاصل العربى موجود فى مكتبة أكسفورد. جاء فى هذا الكتاب ذكر مدارس كانت بمصر يعلمون فيها القبطية والعربية والحساب والجغرافية والدين. لكنهم كانوا على الاجمال فى ظلمة مثل سائر المشارقة ، وما زالوا كذلك حتى نهضوا فى هذا العصر فى جملة الناهضين

الانبا كيرلس الرابع

وامام هذه النهضة عندهم البطريرك كيرلس الرابع المتوفى عام ١٨٦١ ، وقد تقدم ذكره فى كلامنا عن الطباعة بمصر . وهو أول من سعى فى نشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العلم الحديث لترقية الناشئة ولا سيما الرهبان ، فانشأ لهم مدرسة فى عزبة بوش وجمع لهم مكتبة فيها كثير من الكتب المخطوطة ، وأنشأ مدرسة كبرى بجانب كنيسة القبط فى القاهرة لاتزال باقية الى الآن . وهى أول مدرسة أهلية بمصر ، ثم أنشأ المدرسة الكبرى فى حارة السقايين لاتزال باقية الى الآن ، وقد تخرج فيها طائفة من خيرة رجال الاعمال. منهم المرحوم بطرس (باشا) غالى، والمشهور أن البطريرك كيرلس المذكور أول من نبه الى تعليم الفتاة القبطية ، وسار الاقباط على خطواته وأخذوا بأسباب الرقى

الاصلاح القبطى

وتنبهوا الى احياء جامعتهم باحياء لغة أجدادهم فأخذوا فى درسها ووضع القواعد التى تسهل فهمها بعد ان أوشكت أن تضيع — أو هى ضاعت — الا فى بعض الطقوس الكنائسية مثل اللغة السريانية فى سوريا .

فأخذوا يؤلفون الكتب لتعليمها لابناء العربية ، وأشهر المشتغلين فى ذلك برسوم الراهب فى المدارس القبطية ، الف عدة كتب مدرسية فى هـذا السبيل ، واقلاديوس لبيب (بك) انشأ مجلة عين شمس لاحياء اللغة القبطية وآدابها ، ووضع فيها معجما قبطيا عربيا فى عدة مجلدات

واهتمت الامة القبطية باصلاح ادارة أوقافها ومدارسـها الطائفية ، وكانت قد أهملت بعد موت كيرلس المذكور . فسعوا فى انشاء مجلس ملى يتولى هذه الامور فلاقوا فى ذلك تعبا ومشقة ، وانما يهمنا فى هذا المقام سعيهم فى سبيل التعليم فانه كان من أهم مطالب العقلاء منهم ، ولاسيما تعليم البنات لعلمهم أنه الوسيلة الفضلى لتغلب الحديث على القديم ، فعمدوا الى تشكيل الجمعيات لهذه الغاية

جمعيـة الاقتصاد القبطيـة

وأقدم جمعياتهم فى سبيل التعليم على ما نعلم « جمعية الاقتصاد » عرفنا من أعضـائها يعقوب (بك) نخلة ، وفرج (بك) ابراهيم . انشـأت مدرسة لتعليم البنات فى الفجالة عام ١٨٨٧ ، تخرجت فيها كثيرات من فضليات الامهات ، ثم انشئت جمعية التوفيق

جمعية التوفيق القبطيـة

تأسست فى ٢٤ اغسطس عام ١٨٩١ وانضم اليها نخبة الشبان المتعلمين الغيورين. وغرضها الاصلاح على الاجمال ، فأخذت تنظر فى حالة المدارس القبطية والتربية الصحيحة ووضعت تقريرا فى أحوال تلك المدارس وما تحتاج اليه من الاصلاح . ثم عمدت الى العمل ونشر آرائها فى اجتماعاتها بالمناقشة والمناظرة مرة فى الاسبوع ، وانشأت مجلة سمتها « المجلة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القبطية » تنشر فيها أبحاثها وقراراتها ، فحدث فى الطائفة القبطية نهضة وطنية وانحاز المتعلمون الى جانبها وقوى صوت الشعب فى طلب الاصلاح

وعملت على نشر العلم فأنشأت مدارس للبنين والبنات ومدرسة للصنائع وغير ذلك . ونبتت للجمعية فروع فى أنحاء القطر المصرى تعمل مثل عملها ولا تزال عاملة فى ذلك الى الآن . ويؤخذ من تقريرها لعام ١٩١٣ ، ان عدد التلاميذ الذكور فى مدارسها ٥١٣ تلميذا ، منهم ١٦٧ يتعلمون مجانا ؛ وعدد الاناث ٢٥١ تلميذة ، منهن ١٠١ مجانا ، وتلاميذ الصنائع ٦٨ منهم ٥٨ مجانا، غير أعمالها المختلفة واشتراكها فى المشروعات المالية

جمعيات قبطية اخرى

وكانت هذه الجمعية قدوة لسواها ، فأنشئت بعدها جمعيات قبطية كثيرة للتعليم والتربية ، منها « جمعية جامعة المحبة » بالفجالة لها مدرسة لتعليم البنات ، و « جمعية التهذيب » فى القللى لتعليم البنات ، و « جمعية زهرة الآداب » لها مدرسة فى القللى أيضا وغيرها ، غير المدارس فى الارياف مما لا محل لذكره (١)

ويدخل فى بحثنا مشروعات « الجمعية الخيرية القبطية » التى أسسها المرحوم بطرس (باشا) غالى عام ١٨٨١ لمساعدة الفقراء أدبيا وماديا ، وهى عاملة على ذلك الى الآن ، ومن مساعيها الجليلة انشاء « المشغل البطرسى» لتعليم البنات الفقيرات مايرتزقن به من المهن اليدوية ، كالتفصيل والخياطة ونحوها ، فأنشأوا المحل اللازم لذلك فى الفجالة وأتوا بالمعلمات من فرنسا وغيرها وأعدوا العدد اللازمة . وافتتحوه رسميا فى أول نوفمبر عام ١٩١١ وللجمعية مشروعات خيرية أخرى لتعليم البنات ، ومستشفى خيرى ، ومدرسة للبنات تعدهن للدخول فى « المشغل البطرسى »

٤ ـ الجمعية الخيرية الاسلامية (الثانية)

تاسست سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢)

هى غير الجمعية الخيرية الاسلامية ـ التى تقدم ذكرها ـ غرضها مساعدة فقراء المسلمين المقيمين فى القطر المصرى والاعانة على تربيتهم . وكان الاقبال على هذا المشروع عظيما واهتم به نخبة رجال الامة الغيورين ، فاجتمع فى صندوقها فى العام الاول نيف وألف جنيه فقررت أن تأخذ فى التعليم الابتدائى وترشيح الفقراء لاكتساب الصنائع والحرف . ومازالت تتقدم وتتسع أعمالها والامة تأخذ بيدها بدفع المال أو وقف العقار أو البناء حتى صارت

(١) من أراد الاطلاع على تفصيل ذلك فليطالعه فى كتاب « الانسانية والتمدن » لجرجس « بك » أنطون بمصر .

ممتلكاتها عام ١٩١٢ عظيمة ، منها ٧٥٠ فدانا من أجود الاطيان ايجارها فى العام ٧٣٠٠ جنيه ، ولها من الابنية خمس مدارس فى أسيوط ودسوق والمحلة الكبرى وبور سعيد وبنى مزار ، وأربعة مكاتب وملحقاتها وأرض للبناء فى المحلة مساحتها ٨٣٣٧ مترا ، غير ما يرد للجمعية من الاوقاف الاخرى ، وغير الاشتراكات وقيمتها سنويا ١٩٠٠ جنيه

اما سعيها فى سبيل العلم فاكثره فى التعليم وعدد مدارسها ٩ مدارس فى مصر والاسكندرية والارياف ، عدد تلاميذها ٣٥٢٢ تلميذا ، منهم ١١٣٧ مجانا ، والمتخرجون من المدارس الابتدائية ينقلون الى تعلم الحرف أو التجارة أو الزراعة أو المدارس الثانوية

جمعيات أخرى تعليمية

وتألفت بعد هذه الجمعيات الكبرى جمعيات أخرى عدة لمثل هذا الغرض يضيق المقام عن ذكرها ، منها :

«جمعية الاخلاص» تأسست فى الاسكندرية عام ١٨٩٥ برئاسة محمد طاهر ، اشتغلت مدة ثم انضمت الى جمعية العروة الوثقى المتقدم ذكرها

« جمعية المساعى المشكورة » فى شبين الكوم تأسست عام ١٨٩٧

« جمعية عاملة توراة » الاسرائيلية فى الاسكندرية عام ١٨٩٧ ، وجمعية مدارس الفنون والصنائع الاسرائيلية عام ١٨٩٨ ، وجمعية صدق الوفاء بمصر ، وغيرها كثير من الجمعيات واللجان

« جمعية الاتحاد لتعليم البنات » تألفت فى القاهرة فى أول هذا العام من أرقى طبقات السيدات بمصر تحت رعاية والدة الخديوى

سابعا ـ جمعيات التمثيل

هى من قبيل الجمعيات فى سبيل النهضة الادبية . وقد نشأت مع التمثيل العربى فى سوريا ، لأن السوريين كانوا منذ ظهور هذا الفن عندهم يؤلفون للتمثيل جماعات ويعقدون الاجتماعات لدرس الرواية وتدبير ما تحتاج اليه من النقود ونحوها ، وكذلك فعل هواة هذا الفن بمصر ، فان جمعيات عدة تألفت لاحيائه وتنشيطه أو للاشتغال به عن الملاهى الضارة ، واكثرها فى الاسكندرية

اقدمها جمعية الفها عبد الله نديم من تلاميذ المدرسة الخيرية الاسلامية التى تألفت بالاسكندرية ومن أعضاء جمعية الشبان المتقدم ذكرها ، وقد مثلت روايتين وطنيتين فى ملعب زيزينيا بحضور الخديوى السابق ، الاولى رواية « الوطن » ، والثانية رواية « العرب » كلتاهما تأليف عبد الله نديم ، وهو يرمى بهما الى غرض سياسى

أما الجمعيات التى تألفت لترويج فن التمثيل فاقدمها نشأ فى الاسكندرية :

١ ــ « جمعية الابتهاج الادبى » انشئت فى الاسكندرية عام ١٨٩٤ ، الفها مستخدمو البوسطة المصرية برئاسة سليم عطا الله وموضوعها منع أعضائها من تمضية ساعات الفراغ فى أماكن اللهو ، وأن يجمعوا نقودا يؤلفون بها فرقة تمثل روايات أدبية يحضرها عائلات الاعضاء فقط ، فلا يمضى شهر دون ان يمثلوا رواية . وقد ظلت أعواما عدة ، ورئيسها الآن صاحب فرقة للتمثيل فى الاسكندرية

٢ ــ « جمعية الترقى الادبى » انشئت بالاسكندرية نحو ذلك الزمن

٣ ــ « شركة التمثيل الادبى » انشئت بالاسكندرية

٤ ــ « جمعية المعارف الادبيه » انشئت عام ١٩٠٠

٥ ــ « جمعية انصار التمثيل » هى آخر جمعية فى سبيل التمثيل انشئت فى القاهرة فى أول هذا العام غرضها احياء هذا الفن بالقاء الخطب والمحاضرات وتأليف الروايات فى موضوعات مستنبطة تلائم حالتنا الاجتماعية ، وترجمة ما يفيد الناشئة من الروايات الأجنبية ، وتدريب الراغبين فى هذا الفن وغير ذلك (*)

احصاء الجمعيات بمصر

وهناك جمعيات أخرى لموضوعات مختلفة يضيق المقام عن ذكرها أو الاتيان على تاريخها ، لأننا نريد ذكر نشوء الجمعيات الأدبية والعلمية وما هو من هذا القبيل فى هذه النهضة ، والا فان الجمعيات كثيرة ويؤخذ من احصاء الحكومة الرسمى ان عدد الجمعيات الخيرية على اختلاف أغراضها بلغ ١٦٠ جمعية ، تقسم حسب موضوعاتها الى ما يأتى : مع الاشارة الى ما هو وطنى ، أو أجنبى ، أو مشترك

عدد		مصرية	اجنبية	مشتركة
٦٢	جمعيات خيرية	منها ٣٤	٢٧	١
١٤	جمعيات الاسعافات	« ١٠	٢	٢
١٧	جمعيات المستشفيات	« ٥	١٠	٢
١٥	ملاجىء للرجال والنساء	« ٥	٩	١
٤	جمعيات رعاية الاطفال والفتيات	« ٢	١	١
٩	ملاجىء الايتام واللقطاء	« ٣	٥	١

(*) انظر فى جمعيات التمثيل كتاب المسرحية فى الادب العربى الحديث لمحمد يوسف نجم « طبع دار بيروت ١٩٥٦ » فى مواضع متفرقة « انظر الفهرس »

١٦ جمعيات التعليم والاحسان	منها	١٢	٤	..
٨ جمعيات التعليم	«	٥	٣	..
١٠ جمعيات التعاون	«	١	٤	٥
٣ جمعيات أخرى	«	٢	١	..
١٥٨		٧٩	٦٦	١٣

وأكثر هـذه الجمعيات تشكلت بعد الاحتلال الانجليزى . وأما التى كانت قبله فقد نشأت فى الاسكندرية ، وأقدمها هناك جمعية مار منصور، تأسست عام ١٨٣٣ ، تليها جمعيـة التعاون السويسرى عام ١٨٦٣ ، فالجمعية السورية الارثوذكسية عام ١٨٧٥

ايرادات هـذه الجمعيات ونفقاتها

يؤخذ من الاحصاء الرسمى لهذا العام ان جملة ايرادات هذه الجمعيات ٢٨٩٤٧٣ جنيها ، ونفقاتها ٢٦٤٠٧٤ جنيها ، منها نحو ٤٠٠٠٠ جنيه تنفق على التعليم وحده ، ونحو هذه القيمة على الاحسان والتعليم ، غير ما تنفقه الحكومة فى سبيل التعليم

الجمعية العربية فى أمريكا

للجالية السورية

السوريون حيثما حلوا اشتغلوا باللغة العربية ونشر آدابها بالصحافة والجمعيات والتمثيل وغيرها ، وقد ذكرنا صحافتهم بأمريكا فيما تقدم . أما الجمعيات العربية فلهم فيها شأن يذكر أيضا ، وأكثرها أنشىء فى البرازيل والولايات المتحدة وبلغ عدد الجمعيات التى انشأوها هناك أكثر من ثلاثين جمعية أدبية أو خيرية أو دينية أو تهذيبية ، والغرض من انشائها المحافظة على الجامعة العربية والاحتفاظ بالآداب العربية وترقيتها . وبعض هذه الجمعيات أشد غيرة فى هذا السبيل من أهل هذا اللسان بمصر والشام ، فقد أنشأ أدباء الجالية السورية فى سانباولو بالبرازيل جمعية أدبية سموها « رواق المعرى » غرضها رفع شأن اللغة العربية واحياء ذكر رجالها ، فاذا ظهر كتاب أو أثر علمى قدرته قدره وقررت منزلته ، واذا مات رجل عالم اعترفت بفضله واحتفلت بتأبينه وذكر آثاره ورفع الستار عن رسمه كما فعلت عند وفاة الشيخ محمد عبده ، والشيخ ابراهيم اليازجى

وفى نيويورك جمعية عربية عظيمة الاهمية اسمها « جمعيـة الاتحاد السورى » غرضـها الدفاع عن حقـوق السوريين ، وكثيرا ما تعقـد الاجتماعات الادبية أو تتولى الاعمال الادبية العائدة بالنفع على السوريين. ولها مواقف مهمة فى الدفاع عنهم ، ولا سيما فى مسألة الجنسية السورية

وهناك جمعيات أخرى لم نذكرها لأن موضوع الكتاب يقتضى حصر الموضوع فى الجمعيات العلمية الادبية ، على اننا نقول كلمة عن جمعياتهم التمثيلية ، منها المنتدى الادبى فى سانباولو ، وجمعية نهضة التمثيل العربى فيها ، وقد مثلت كل منها عدة روايات عربية ، مؤلفوها عرب وممثلوها عرب ومشاهدوها عرب فى تلك القارة البعيدة

والمنتدى السورى الامريكى فى نيويورك على شاكلة ماتقدم ، وقس على ذلك جمعيات وأندية أخرى الفتها الجالية السورية فى المهجر بأمريكا والبرازيل ، والارجنتين ، وغيرها من العالم الجديد يصعب علينا احصاؤها (*)

غير الجمعيات العلمية فى سائر العالم العربى كالجزائر وتونس ، وهى هناك صبغتها فرنسية لتغلب العنصر الفرنسى فى الحكومة والطبقات العالية

(*) انظر فى الجمعيات العربية بأمريكا : المهاجرة اللبنانية لميشال شبلى « طبع بيروت ١٩٢٧ » والسوريون فى الولايات المتحدة « طبع المقتطف ١٩٢٢ » وتاريخ الولايات المتحدة والمهاجرة السورية للخورى باسيليوس ، والناطقون بالضاد فى أمريكا ليعقوب الصويدات « البدوى الملثم » طبع سنة ١٩٤٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المكتبات

تمهيد :

ليست المكتبات العربية من مستحدثات هذه المدنية ، فقد كانت كثيرة فى ابان التمدن الاسلامى وهو عصرها الذهبى ، واكثرما بين أيدينا من الكتب المهمة فى الآداب العربية شذرات من بقايا تلك المكتبات ، وقد بينا فى الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامى ما بلغت اليه من رقى خزائن الكتب العربية فى العراق والاندلس ومصر والشام ، واكثرها تعد مجلداتها بمئات الالوف ، وتجاوز بعضها مليون مجلد ، أعظمها كان للخلفاء العباسيين فى بغداد ، والامويين فى الاندلس ، والفاطميين بمصر ، والخلفاء هم السابقون الى تلك المنقبة واقتدى بهم وزراؤهم وعمالهم ورجال العلم فى ايامهم ، فلما صارت السيادة الى الامراء والسلاطين من الفرس والترك والعرب والبربر قلدوهم فى ذلك ، وتكاثرت المكتبات الخاصة لرجال العلم والادب واهل الوجاهة فى انحاء العالم الاسلامى ، وأصبحت الخزائن التى تحتوى الواحدة منها على عشرات الالوف من الكتب كثيرة تعد بالعشرات للأمراء والوزراء والعلماء من المسلمين وغير المسلمين العرب وغير العرب، وأصبح اقتناء الكتب من علامات الحضارة يتسابق اليه اصحاب الاموال وطلاب الشهرة ، وان كانوا من غير أهل العلم ، وانما يتفاخرون باقتنائها ويبالغون فى اتقان خطها وتزيين أغلفتها وزخرفتها ، ويتنافسون فى استخدام النساخ الماهرين فى ذلك

على أن هذه الخزائن كان بعضها خاصا بأصحابه أو من يأذنون لهم من أصدقائهم فى الاطلاع عليها ، وبعضها كان عاما أنشىء لخدمة طلاب الاستفادة من الأدباء وغيرهم ، وأكثر المكتبات العامة أنشأها الخلفاء أو غيرهم من الملوك ، مثل بيت الحكمة فى بغداد ، ودار الحكمة فى القاهرة ، وأمثالها فى الاندلس ، والمغرب ، ومنها ما هو لغير الملوك من الامراء ، والعلماء ، وسواهم من نصراء العلم

لكن المصائب كانت تتوالى على الكتب العربية من جهة أخرى بما كان يقوم بين الفرق الاسلامية من المنازعات، أو بمناواة رجال الفلسفة واتهامهم بالزندقة واحراق كتبهم فى أنحاء المملكة الاسلامية ، وناهيك بما فعله غير المسلمين من الفاتحين منذ تغلبهم على المسلمين ، أو النقمة عليهم ، كما فعل الصليبيون فى الشام ، والاسبان فى الاندلس ، وغير ما بلى من الكتب بطول مكثه وفناء أغلفته أو ورقه ، أو بفعل النار ، أو الغار ، أو نحو ذلك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهذه الاحن بدأت منذ صدر الدولة العباسية ، لكن أصحاب الهمم من الخلفاء والسلاطين أو غيرهم من أنصار الادب كانوا يتلافون تلك الخسائر بما ينشئونه من المكتبات الجديدة ، والامة لا تزال فى شبابها تتلافى ما يندثر من أنسجتها ، فلما شاخت الدولة وضعفت الجامعة العربية وانحطت قواها الحيوية قل التجديد وزاد الدثور ، وتمكن ذلك على الخصوص فى أثناء الاجيال الوسطى وتضعضعت الكتب وتبعثرت بقاياها ، فأصبح ما بقى منها فى المكتبات العامة لا يزيد على عشرات الالوف مشتتة فى مكتبات الآستانة والقاهرة ودمشق وحلب وغيرها من العالم العربى (١)

المكتبات العربية فى أوربا

خرجنا من ظلمات تلك الاجيال ونحن فى هذه الحال من التضعضع وقد أوشكت آداب اللغة العربية أن تذهب برمتها ، وكانت الدول الاوربية قد أخذت فى انشاء المكتبات الكبرى الاهلية لاحراز كتب العلم على اختلاف اللغات ، وبينها أقسام خاصة باللغات الشرقية ومنها اللغة العربية ، ووكلت أمر هذه الاقسام الى علماء بارعين فى اللغات الشرقية وآدابها ، فاحتفظوا بما عندهم من الكتب العربية ووضعوا لها الفهارس والتقارير وأخذوا فى نشرها وترجمتها ، فطبعوا كثيرا منها مضبوطا واضحا ، ووضعوا لها الفهارس الابجدية ونشروه بين طلاب العلم . ونحن لا نزال غارقين فى جهالتنا . وسنزيد هذا الباب بيانا فى كلامنا عن المستشرقين ، ونكتفى هنا بما تعلق بالمكتبات من هذا الموضوع

فالمكتبات الاوربية التى احتفظت بالآداب العربية كثيرة اليك أهمها ، وما تحويه كل منها من المجلدات على اختلاف اللغات وفى جملتها الكتب العربية ، مع عناوين تلك المكتبات بالافرنجية لتسهل مخابرتها على من شاء الاطلاع على شىء يتعلق بالكتب التى ذكرنا فى هذا الكتاب انها موجودة هناك :

١ ــ مكتبة برلين : عدد مجلداتها ١٫٤٥٠٫٠٠٠ مجلد فيها ٣٠٠٠٠ من المخطوطات ، بينها مخطوطات عربية كثيرة جاء ذكر كثير منها فى هذا الكتاب ، وهذا عنوانها الافرنجى Der Konigl. Bibliothek, Berlin

٢ ــ مكتبة جامعة بون : عدد مجلداتها ٣٦١٦٢٣ مطبوعا و ١٩٥١ مخطوطا

٣ ــ مكتبة جامعة كمبريدج : وهى أقسام : منها مكتبة القديس يوحنا فيها ٤٠٠٠٠ مجلد مطبوع و ١٠٥٠ مخطوطا ، ومكتبة الثالوث فيها ٨٠٠٠٠ مجلد ، ونحو ٢٠٠٠ مخطوط ، وهذا عنوانها :

The Library of Trinity College, Cambridge :

(١) تفصيل ذلك فى تاريخ التمدن الاسلامى ٢١٣ ج ٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ ــ مكتبة الاسكوريال : فى اسبانيا ٣٥٠٠٠ مجلد ، منها ٤٦٢٧ مخطوطا ، بينها ١٨٨٦ فى اللغة العربية ، و ٥٨٢ فى اليونانية ، و ٢٠٨٦ فى اللاتينية ، وهذا عنوانها :

Biblioteca Arabico-Hispana Escurialensis, Madrid

٥ ــ مكتبة غوطا : تأسست عام ١٦٤٦ فيها ١٩٦٠٠٠ مجلد و٣٥٠٠ مخطوط فى الموضوعات الشرقية ، ومنها العربى ، وعنوانها :

Der Herzogl. Bibl. Gotha

٦ ــ مكتبة جامعة غوتنجن فيها : ٥٨٢٢٠٠ مجلد ، و ٧٣٧١ مخطوطا بينها كثير من الكتب العربية النادرة وعنوانها :

The Library of the University of Gottingen

٧ ــ مكتبة جامعة ليدن : عدد مجلداتها ٢٠٠٫٠٠٠ مجلد ، منها ٣٦٠٠ فى اللغات الشرقية ، بينها كثير فى اللغة العربية ، وعنوانها :

Library of the University of Leyden

٨ ــ مكتبة لندن : نريد خصوصا مكتبة المتحف البريطانى فيها ٨٠٠٠٠ مجلد ، بينها كثير من المخطوطات العربية وعنوانها :

British Museum, London

٩ ــ مكتبة جامعة منشن : فيها ٦٥٠٫٠٠٠ مجلد منها ٢٥٠٠ مخطوط ، بينها كثير من الكتب العربية ، وعنوانها :

Hof-und Statsbibliothek, Munchen

١٠ ــ مكتبة اكسفورد : وتسمى مكتبة بودليان تأسست عام ١٥٩٨ فيها ٧٠٠٫٠٠٠ مجلد مطبوع ، و ٣٣٠٠٠ مخطوط وهى غنية بالمخطوطات العربية وعنوانها : Bodleian Library, Oxford

١١ ــ المكتبة الاهلية فى باريس : فيها ٣٥٠٠٫٠٠٠ مجلد مطبوع ، و ١٠٠٫٠٠٠ مجلد مخطوط فى لغات شتى ، منها ١٣١٣ فى اللغة العبرانية واضعاف ذلك فى اللغة العربية وعنوانها : Bibliothèque Nationale, Paris

١٢ــ مكتبة بطرسبورج: فيها ١٩٦٢٠٠٠ مجلد و١٢٣٠٠٠ مخطوط منها كثير من الكتب الشرقية ولاسيما العربية وعنوانها : Bibliothèque St. Petersbourg

١٣ ــ مكتبة الفاتيكان فى رومية : فيها ٤٠٠٠٠٠ مجلد مطبوع و٤٥٠٠٠ مخطوط فيها جانب كبير من الكتب الشرقية حملوها من الشرق وعنوانها : Bibliothèque Apostolicae Vaticanae, Rome

١٤ ــ المكتبة الاهلية فى رومية أيضا : فيها ٤٥٠٫٠٠٠ مجلد مطبوع و ٦٢٠٠ مجلد مخطوط وعنوانها Bibliothèque Nationale, Rome وفى رومية مكاتب أخرى عديدة تعد بالعشرات ، لا يهمنا ذكرها

١٥ ــ مكتبة فينا : فيها نحو ١٠٠٠٫٠٠٠ مجلد مطبوع ، و ٢٧٠٠٠ مجلد مخطوط ، غير الخرائط والرسوم ، بينها كثير من المخطوطات العربية المهمة وعنوانها : Konigl. & Hofbibl. Wien

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقس على ذلك مكتبات أخرى فى مدن أخرى ، مثل مكتبة لايبسك ودرسدن ومدريد وغيرها (*)

المكتبات العربية فى الشرق

أما العالم العربى فلم يفق من غفلته ويتنبه للاحتفاظ بآداب اللغة العربية الا فى أواسط القرن التاسع عشر ، على أثر نهوض اللغة العربية وما أنشىء من معاهد التعليم فى القطر المصرى وسوريا وغيرها ، فأخذت الحكومات أو الجمعيات فى جمع الكتب وتقييدها وحفظها واستنساخ ما تعلم بوجوده منها فى البلاد الاخرى ، واقتدى الافراد بها فأخذوا فى اقتناء الكتب على اختلاف موضوعاتها بين قديم وحديث فى اللغة العربية ، واللغات الافرنجية ، وهاك أهم ما نعرفه من المكتبات العربية فى الشرق ، ونبدأ بالآستانة لأن مكتباتها قديمة ، ولأنها عاصمة العالم الاسلامى ، ثم نتكلم عن مكتبات مصر ، فالشام ، فالعراق ، فالحجاز ، فالمغرب ، وغيرها

مكتبات الآستانة

مكتبات الآستانة قديمة انشئت فى أوقات مختلفة أكثرها ينسب الى رجال من الخاصة وقفوا مكتباتهم لمنفعة العامة ، وبعضها وقفها السلاطين وأبناؤهم ونساؤهم

ويؤخذ مما نشره فلوغل فى ذيل طبعة كشف الظنون الاوربية ، انه كان فى الآستانة ٢٢ مكتبة ، مجموع كتبها نحو ثلاثة آلاف مجلد

وفى الآستانة الآن ٦٥ مكتبة ، يختلف عدد كتبها من بضع عشرات الى بضعة آلاف نذكر منها ما يزيد عدد كتبها على خمسمائة كتاب ، نقلا عن احصاء نظارة المعارف العثمانية الرسمى الاخير ، مع اسم مؤسس المكتبة وتاريخ تأسيسها وعدد كتبها :

اسم المكتبة	اسم مؤسسها	سنة تأسيسها	عدد كتبها
مكتبة سليم أغا	الحاج سليم أمين المطبخ العامر	٩٥٥	١٣٨٢
« رستم (باشا)	شيخ (باشا) الصدر الاسبق	٩٥٨	٥٦٠
« كوبرلى	محمد (باشا) كوبرلى الصدرالاسبق	١٠٧٢	٣١١٨
« أمير خواجة	نور بانو سلطان	٩٩١	٨٢٦
« عاطف (أفندى)	مصطفى عاطف الدفتر دار	١١٠٤	٢٨٥٧
المكتبة الفيضية	السيد فيض الله شيخ الاسلام	١١١٢	٢١٩٠

(*) راجع فى المكتبات العربية بأوربا وما بها من مخطوطات فهارس المكتبة العربية فى الخافقين ليوسف اسعد داغر « طبع بيروت ١٩٤٧ » ص ٨٤ ـ ١١٢ « مع مصادر ومراجع »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسم المكتبة	اسم مؤسسها	سنة تأسيسها	عدد كتبها
مكتبة شاه زاده	ابن السلطان محمد	١١٢٧	١٠٧٧
« أندردن همايون	السلطان أحمد الثالث	١١٣١	٣٥١٥
« ابراهيم (باشا)	داماد ابراهيم (باشا)	١١٣٢	١١٧٥
« يكى جامع	السلطان أحمد الثالث	١١٣٧	١٥٤٤
« حكيم أوغلى	حكيم أوغلو على (باشا) الصدر	١١٤٥	٩٤٦
« جار الله	ولى الدين (افندى)	١١٤٧	٢١٣٤
« أيا صوفية	السلطان محمود الاول	١١٥٢	٥٣٠٠
« عاشر (افندى)	مصطفى عاشر (افندى) رئيس الكتاب	١١٥٤	٢٢٦٤
« الفاتح	السلطان محمد الاول	١١٥٥	٦٦١٤
« بشير أغا	الحاج بشير أغا	١١٥٨	٦٩٠
المكتبة السليمانية	مصطفى (باشا) الصدر	١١٦٥	١١٦٠
مكتبة عموجه زاده	حسين (باشا) صدر أسبق	١١٦٨	٥٣٥
« نور عثمانية	السلطان عثمان الثالث	١١٦٩	٥٠٥٣
« راغب (باشا)	محمد راغب (باشا) الصدر الاسبق	١١٧٦	١٦٤١
« ولى الدين	شيخ الاسلام ولى الدين (افندى)	١١٨٢	٣٤٨٤
« مراد منلا	داماد زاده محمد مراد	١١٨٩	٢٢٧٦
المكتبة الحميدية	السلطان عبد الحميد الاول	١١٩٤	٢٢٥٢
مكتبة على (باشا)	الشهيد على (باشا) الصدر الاسبق	١٢٠٠٠	٢٨٢٠
« مهرشاه	مهرشاه والدة السلطان	١٢١٥	٧٢٧
« لاله لى	السلطان سليم الثالث	١٢١٧	٣٨٦٤
« قلنج على (باشا)	دباغ زاده الحاج ابراهيم	١٢١٩	١٦٠٧
المكتبة السليمية	برتو (باشا)	١٢٢١	٦٥٥
مكتبة حالت (افندى)	محمد سعيد حالت (افندى)	١٢٤٤	١٠٩٠
« دار المثنوى	الشيخ محمد مراد	١٢٦٠	٥٩٥
« أسعد (افندى)	أسعد (افندى) نقيب الاشراف	١٢٦٢	٣٩٤٣
« يكى قبو	عبد الرحمن نافذ (باشا) ناظر المالية	١٢٦٧	٨٨٩٤
« فوزية	محمد راشد (افندى)	١٢٦٨	٩٦٩
« حسن (باشا)	خسرو (باشا) الصدر	١٢٧٠	٩٣٤
« مدرسة السلطان أحمد	بعض المحسنين	١٢٨٥	٥٩٠

اسم المكتبة	اسم مؤسسها	سنة تاسيسها	عدد كتبها
مكتبة أقسراى	برتونيال والدة السلطان	١٢٨٨	٨٢٩
المكتبة العمومية	الحكومة العثمانية	١٢٩٩	٣٤٥٠٠
مكتبة يلدز	السلطان عبد الحميد الثانى	١٢٩٩	٢٦٧٦٦
« دو كوملى بابا كمال (باشا)	بن وجيهى (باشا)	١٣٠٣	٦١٩
« المتحف	الحكومة العثمانية	١٣٠٦	١٥٢٦٠
« حسن (باشا)	حسن حسنى (باشا) ناظر البحرية	١٣١٢	١١٦٩
« تربة يحيى (افندى)	حاج محمود (افندى)	١٣١٩	٦٩٤٩
« دار الفنون	الحكومة العثمانية	١٣٢٥	٣٦٠٠
	(الجملة)		١٦٢٨٨١

غير مكتبة طوبقبو سراى وهى من أفخر المكتبات ولا نعرف عدد كتبها ، وقد جاء ذكر شىء منها فى أثناء هذا الكتاب ، وغير المكتبات التى لا يقل ما فى الواحدة منها عن ٥٠٠ مجلد

فمجموع ما فى خزائن الآستانة من الكتب نحو ٢٠٠٫٠٠٠ مجلد فى اللغات العربية ، والفارسية ، والتركية ، أكثرها فى العلوم الشرعية الاسلامية ، والتاريخ ، والادب ، واللغة وعلومها . واليك نسبة ما هو منها فى العربية الى ما هو فى اللغات الاخرى بوجه التقريب :

١ ــ المصاحف كلها عربية
٢ ــ كتب الشرع الاسلامى كلها عربية ، الا نحو ١٠ فى المائة فى التركية أو الفارسية
٣ ــ التاريخ والتصوف : تقسم كتب كل منهما مثالثة بين العربى ، والفارسى ، والتركى
٤ ــ الجغرافية الطبيعية : أكثرها فى التركية وبعضها عربى وفارسى
٥ ــ كتب الادب : أكثرها عربى وقليل منها فى الفارسية أو التركية
٦ ــ علوم اللغة العربية : كلها عربى الا نادرا
٧ ــ المعاجم فى اللغات الثلاث

وفى مكتبات الآستانة كثير من المخطوطات النادرة ، ولا سيما فى طوبقبو وكوبرلى وأيا صوفيا ونور عثمانية ، وقد ذكرنا ذلك فى مكانه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المكتبات فى القطر المصرى

المكتبات فى مصر كثيرة اهمها فى القاهرة وبعضها فى سائر القطر ، منها ما هو عام انشىء لخدمة الجمهور ، وأكثره تابع لمصالح الحكومة أو لبعض الجماعات ، ومنها ما هو خاص بأصحابه ، آشتغل بجمعه هواة الكتب لانفسهم ، وفيهم من وقفها على منفعة العموم . فلنتكلم أولا عن المكتبات العامة فى القاهرة ، ثم فى الاسكندرية وسائر القطر المصرى ، ثم نعود الى المكتبات الخاصة فى مصر وغيرها

المكتبات العامة فى القاهرة

١ ـ دار الكتب المصرية

تأسست سنة ١٨٧٠ وفيها ٧٠ الف مجلد الان

هى أكبر مكتبة فى الشرق الاوسط ، أنشأتها الحكومة فى أثناء هذه النهضة ، فى تاريخ طويل يبدأ بزمن محمد على ، وقد تمت فى زمن اسماعيل عام ١٨٧٠ ، وبيان ذلك :

لما اخذت مصر فى احياء الآداب العربية وعملت على نشر الكتب فى المطبعة الاهلية تكاثرت الكتب المطبوعة ، فأنشأت لها مستودعا فى بيت المال القديم بجوار المحكمة الشرعية خلف المسجد الحسينى ، تباع فيه مطبوعات الحكومة من كتب وغيرها ، وظل هذا المستودع الى أيام اسماعيل وأضيف اليه نحو ٢٠٠٠ مجلد من الكتب المخطوطة بالعربية والتركية والفارسية ، كانت الحكومة قد ابتاعتها من تركة حسن (باشا) المناسترلى عليها ختم « كتبخانة مصرية » تاريخه ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥)

وكان فى مصر خزائن للكتب فى المساجد ، وبينها موقوفات كثيرة من المخطوطات الجميلة ولاسيما القرآن ، غير الكتب الفقهية والحديث والتاريخ والادب من بقايا العصور الماضية ، فهذه الخزائن كانت تتولى شئونها المساجد ، وهى تابعة لديوان الاوقاف ، وظلت تلك الخزائن على هذه الحال الى زمن اسماعيل ، فحدث فى الآداب العربية نهضة جديدة أصاب دار الكتب حظ منها ، ويقال ان السلطان عبد العزيز لما زار مصر عام ١٢٨٢ (١٨٦٥) وشاهد مساجدها وآثارها أشار على اسماعيل (باشا) بانشاء مكتبة عامة تجمع شتات الكتب المتفرقة فى المساجد والتكايا ليستفيد الناس بمطالعتها فوقعت هذه الاشارة موقعا جميلا لدى اسماعيل ، وهى فى الحق من عمل على (باشا) مبارك (ناظر المعارف) حينئذ فقد رأى ان ينشىء مكتبة كبيرة لحفظ الكتب والمطالعة ، وخصص لها محملا فى درب الجماميز بجانب ديوان المدارس ، ونقل اليها ماكان فى مستودع الكتب المتقدم ذكره ، وكتب

المناسترلى ، وأهم كتب المساجد مما وقفه السلاطين وغيرهم من الكتب النفيسة وكان الافرنج والاتراك قد نقلوا كثيرا منها الى أوربا ومكاتب الآستانة مع ان الواقفين لما وقفوها اشترطوا الا تخرج من المسجد الموقوفة فيه

على ان الوطنيين كانوا أشد بلاء على الكتب لان الافرنج أو غيرهم اذا اخذوا كتابا الى بلادهم حفظوه فى مكاتبهم ، أو نشروه فى مطابعهم . أما فى مصر فان الجهلة من خدمة المساجد كانوا يحملون سلالا مملوءة من الكتب المفكوكة (دشت) ، يبيعونها للبقالين وباعة الفاكهة يلفون فيها ما يبيعونه ، فاشتغال على (باشا) مبارك فى نقل ما بقى من هذه الكتب الى دار الكتب المصرية قد صانها من الضياع ، واضاف اليها ما كان فى خزانة الاوقاف الخيرية ، وكثيرا من الآلات الهندسية والرسوم ونحوها

صدر الامر بانشاء دار الكتب المصرية رسميا عام ١٨٧٠ ، واخذ على (باشا) مبارك فى تنظيمها ، ووضع لها قانونا ألفته لجنة تحت رئاسته ، وكان فى الدار المذكورة عند انشائها مكان للتدريس ، أو تلقين العلوم النافعة ، أو المراجعة فى أوقات معينة ، وكانت أولا تابعة لنظارة الاوقاف ثم ألحقت بنظارة المعارف ولا تزال

وبعد انشاء المكتبة ببضع سنين (١٨٧٦) توفى مصطفى فاضل (باشا) شقيق الخديو اسماعيل ونصير الاحرار العثمانيين ، وكان كلفا بالكتب حريصا على اقتنائها وعنده منها خزانة نفيسة من الكتب العربية وغيرها ، فابتاعت الحكومة نخبة منها بنحو ١٣٠٠٠ جنيه ، وأهدتها للمكتبة ، وفيها طائفة من أفخر الكتب من كل فن عددها ٣٣٠٥ مجلدات ، منها ٢٣٣٢ فى اللغة العربية ، و ٦٤٧ فى اللغة التركية ، و ٣٢٦ فى اللغة الفارسية

ولا تزال المكتبة تجد فى اقتناء الكتب العربية وغيرها ، اما بالابتياع أو الاستنساخ ، أو الهدايا ، وهى تتكاثر وتتزايد ، ومن أهم ما أضيف اليها مجموعة من الكتب العربية كانت للشيخ الشنقيطى عددها ٧٤١ كتابا ، منها ٣٠٦ مخطوطات ، بينها نخبة من أجود الكتب ، فأصبح عدد ما فى دار الكتب المصرية الآن (١٩١٤) نحو ٧٠٠٠٠ مجلد ، نحو نصفها من الكتب العربية وأكثر الباقى فى اللغات الاوربية ، ونحو ٢٥٠٠ فى التركية ، و ٦٥٠ فى الفارسية ، ومن الكتب العربية نحو ٣٢٠٠ كتاب فى التاريخ ، ونحو هذا العدد فى التاريخ ايضا فى اللغات الافرنجية ، ونحو ٢٧٠٠ كتاب فى الادب العربى ، ونحو ١٢٠٠٠ كتاب فى الموضوعات الشرعية الاسلامية ، وفى دار الكتب المصرية كثير من الكتب النفيسة جاء ذكرها فى تضاعيف هذا الكتاب

والدار المذكورة مفتوحة الابواب للجمهور لاجل المطالعة او المراجعة أو النسخ ، ولها قانون تعدل مرارا جاء فى صدره ان الغرض الاساسى منها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« حفظ وصيانة الكتب العربية وتسهيل الاستفادة منها » وهى تشتمل فضلا عن كتب المطالعة على معرض للذخائر الثمينة والآثار النفيسة ، والخطوط العربية المختلفة على البردى والجلد وغيرهما ، وفيها مجموعة نقود عربية ، وقد أخذت فى طبع بعض مخطوطاتها المهمة فى سبيل احياء آداب اللغة العربية

٢ ـ المكتبة الازهرية

تاسست سنة ١٨٧٩ وفيها ٣٦٦٤٢ مجلدا الان

كان فى الازهر خزانة كتب كما كان فى غيره من المساجد ، وقد جاء فى ذيل طبعة كشف الظنون لفلوغل ان مكتبة الازهر فى أول القرن الماضى كان فيها ١٠٩٩ كتابا متفرقة فى الاروقة ، ثم زادت فى أواسط القرن المذكور على غير نظام الى عام ١٢٩٧ (١٨٧٩) فأمرت الحكومة بجمع ما كان من الكتب فى أروقة الازهر المختلفة مما يستغنى عنه الطلبة ، وأن يجرى عليها مال ينفق فى شراء الكتب اللازمة للعلماء والطلبة ، وأجور العمال اللازمين للقيام بهذا العمل ، فجمعوا بعض تلك الكتب ووضعوها فى رواق الاتبغاوية وهو مقرها الى الآن ، ورتبوها فى الخزائن حسب موضوعاتها ووضعت لها قوائم الجرد ، فانقسمت الى ٣٠ فنا

وكان عدد المجلدات عند انشائها ٧٧٠٠ مجلد ، وأخذت فى الزيادة حتى بلغ عدد مجلداتها لآخر العام الماضى ٣٦٦٤٢ مجلدا ، منها ١٠٩٣٢ من المخطوطات ، وبلغ عدد الفنون فيها ٤٨ فنا ، ومن كتب هذه المكتبة نحو ٢٠٠٠٠ مجلد فى العلوم الاسلامية ، والباقى فى سائر الفنون ، منها نحو ٣٠٠٠ كلها أدب ومديح وفضائل ، ونحو ٤٠٠٠ كلها علوم لغوية ، و ٩٨٠ فى التاريخ والسير ، و ١٣٠ فى الجغرافيا ، والباقى فى العلوم الاخرى ، وزيد عدد العمال حتى اصبحوا عشرة ، وامينها الشيخ محمد طه سليم ، وعليه كان معولنا فى تحقيق احوال هذه المكتبة ، وهى تفتح أبوابها لمن أراد المطالعة ، وفيها طائفة من الكتب النادرة جاء ذكر بعضها فيما مر من هذا الكتاب ، ومنها فى التاريخ والادب والموسيقى :

١ ـ اقتطاف شقائق النعمان من رياض الوافى لوفيات الاعيان : لابراهيم بن أحمد بن محمد الشافعى العباسى القادرى ، من علماء القرن العاشر ، كتبه بخطه عام ٩٩٠ هـ

٢ ـ أنباء نجباء الابناء لشمس الدين محمد بن محمد بن ظفر الصقلى المتوفى عام ٥٦٥ هـ

٣ ـ أنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلانى المتوفى عام ٨٥٢ هـ

٤ ــ كتاب البوارح والسوانح : لشهاب الدين الخفاجى ، وهو معدوم النظير

٥ ــ تحفة العجائب وطرفة الغرائب : لابن الاثير الجزرى

٦ ــ تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم : لابن حمويه وهو بخط قديم

٧ ــ الجموع فى علم الموسيقى : لعبد الرحمن بو ذنب الفاسى

٨ ــ كشف الهموم والكرب وشرح آلات الطرب للمشهدى

٣ ــ مكتبات الاروقة فى الازهر

فيها نحو ٣٠ الف مجلد الآن « ١٩١٤ »

وفى الازهر مكتبات اخرى غير المكتبة الازهرية المتقدم ذكرها ، يقال لها « مكتبات الاروقة » لكل رواق مكتبة يطالع فيها تلاميذ ذلك الرواق يبلغ مجموعها كلها نحو ٢٠٠٠٠ مجلد منها نحو ٤٠٠٠ مجلد فى رواق الشام ونحو ٩٠٠٠ مجلد فى رواق الاتراك بينها مخطوطات نادرة و ٨٠٠٠ فى رواق المغاربة ، والباقى فى الاروقة الاخرى والمكتبات المذكورة تحت مراقبة المكتبة الازهرية لكنها غير منظمة ، ومشيخة الازهر تريد ضمها الى المكتبة المذكورة فى ترتيبها والاستفادة منها ، لكن المعلمين والطلبة يأبون ذلك ، ولو اذعنوا لتضاعفت الفائدة المرجوة منها

٤ ــ مكتبات المساجد ودار الآثار

فيها كلها ٣٠٥٦٧ مجلدا الآن « ١٩١٤ »

قد تقدم أن دار الكتب المصرية استنفدت أهم ماكان فى المساجد ونحوها من الكتب ، لكن تلك المساجد لايزال فيها كتب كثيرة ، وقد رأيت ما ذكرناه عن المكتبة الازهرية وهى أهمها ، أما ما بقى من الكتب العربية فى المساجد وغيرها التابعة لنظارة الاوقاف فعددها ٢٩٢٢٥ كتابا فى موضوعات مختلفة أهمها فى الفقه وغيره من العلوم الاسلامية وفى العلوم اللغوية

ومن توابع الاوقاف ايضا «دار الآثار العربية» أو المتحف العربى وسيأتى ذكره عند الكلام على المتاحف وانما نقتصر هنا على ذكر مكتبته ، فقد علمنا من على (بك) بهجت وكيل المتحف المذكور ان فى مكتبته ١٣٤٢ مجلدا و ١٢٠٥ لوحات فوتوغرافية عن الآثار ، ولوحات لمشاهير قدماء الرسامين ، غير منشورات لجنة حفظ الآثار فى مصر وغيرها مما يرد عليها من الهدايا من المعاهد الاثرية فى فرنسا والجزائر وامريكا والبرازيل وغيرها

ومن المكتبات فى المساجد مكتبة الشعرانى لم نقف عليها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ ـ المكتبة البكرية
فيها ١٨٦٠ مجلدا

نريد مكتبة السادة البكرية ، وكبيرهم الآن السيد عبد الحميد البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية وشيخ السجادة الوفائية ، ومقر هذه المكتبة فى سراى الخرنفش بمصر ، وتشتمل على ١٨٦٠ مجلدا (أو ١٤٤٧) أكثرها مطبوع ، منها نحو ٦٥٠ مجلدا فى العلوم الاسلامية ، و ٣٧٤ مجلدا فى الادب ، و ٢٤٠ مجلدا فى التاريخ ، والباقى فى فنون مختلفة

وفى سراى الخرنفش مكتبة اخرى خاصة بالسيد عبد الحميد المشار اليه ، تشتمل على نحو ١٠٠٠ مجلد ، فيها طائفة حسنة من أهم كتب المراجعة فى الفنون العصرية باللغة الفرنسية ونخبة كتب الآداب الفرنسية ، غير كتب فى موضوعات أخرى فى العربية وغيرها ، وفى جملة ذلك نسخة من كتاب وصف مصر Description d'Egypte الذى الفته البعثة العلمية من الحملة الفرنسية فى مجلدات كثيرة مع الخرائط والاطالس والصور ، وهى نسخة ثمينة لأنها من الطبعة الاولى لهذا الكتاب

٦ ـ مكتبة السادات الوفائية
فيها نحو ١٠٠٠ مجلد

هى تابعة للسجادة الوفائية بمصر لم يتيسر لنا درسها لعدم انتظامها ، لكنا تصفحنا فهرسها الموضوع عام ١٢٦٨ هـ ، فوجدنا فيها نحو الف مجلد أكثرها مخطوط ، بينها نحو ٤٠٠ مجلد فى التاريخ واللغة والاصول ، ومن الكتب النادرة فيها : النور السافر فى أخبار القرن العاشر للعيدروس ، والضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع للسخاوى ، وفوائد الارتحال وغرائب السفر فى اعيان القرن الحادى عشر ، والثناء الباهر لتكميل النور السافر ، والاعلام بوفيات الاعلام ، وشرح طبقات الادباء

٧ ـ مكتبة الدردير
فيها ١٠٧٨ كتابا

سميت بذلك نسبة الى الشيخ الدردير العدوى المالكى المتوفى عام ١٢٠١ وضريحه بالكحكيين بالدرب الاحمر ، فوضع فيها ماكان عنده ثم انضم اليها ما أهداه محبوه بعده ، ومقرها فى مسجد صاحب الضريح ، وهى مباحة لطلاب الافادة من تلامذة الازهر يستعيرون الكتب بشروط مبينة ، وقد بلغ عدد ما فيها من الكتب ١٠٧٨ كتابا ، أكثرها فى العلوم الاسلامية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مكتبات المدارس الكبرى :

١ ـ مكتبة كلية الحقوق

فيها ١٩٩٥٠ مجلدا الآن « ١٩١٤ »

هى من المكتبات العامة المعدة لفائدة الجمهور من تلامذة الكلية وغيرهم بتصريح من ادارتها ، وفيها قاعات للمطالعة والمراجعة ، وقد تأسست هذه المكتبة بالتدريج بطريق المشترى أو الهدايا ومما يؤلفه التلاميذ من أبحاث لأجل نيل الشهادة ، وبلغ عدد المجلدات فى هذه المكتبة الى هذا العام ١٩٩٥٠ مجلدا ، تقسم على هذه الصورة :

عدد	
٢٦١٣	فى القسم العربى
٩٨٧٥	فى القسم الافرنجى
٧٤٦٢	رسائل التلاميذ
١٩٩٥٠	

أى نحو ٢٠٠٠٠ مجلد ، بينها أهم كتب الحقوق فى العربية والفرنسية والانجليزية ، كالمعاجم القضائية والادارية والاقتصاديه ، وغيرها من العلوم المتعلقة بالحقوق ، وقد انبأنا امينها محمد عفيفى أن عدد الكتب التى أعيرت خارج المكتبة للعام الماضى بلغ ٢٠٦٣ مجلدا ، وعدد ما أعير للمطالعة فى المكتبة ١٣٠٠٠ مجلد ، غير ما فيها من المجلات والجرائد المهمة فى اللغة العربية والافرنجية ، وللمكتبة فهرس مطبوع يشتمل على أسماء الكتب والعناية مبذولة فى تحسينها

٢ ـ مكتبة كلية الطب الآن

فيها نحو عشرة آلاف مجلد ، أكثرها فى الطب والطبيعيات ، باللغات الفرنسية ، والانجليزية ، والعربية ، وليس فيها مخطوطات مهمة ، وهى خاصة بطلبة الطب للمطالعة

٣ ـ مكتبة الجامعة المصرية

فيها ١١٩٣٠ مجلدا الآن « ١٩١٤ »

هى حديثة العهد لا يتجاوز تاريخ انشائها بضع سنين ، أكثرها جمع من هدايا أهل الادب والمؤلفين فى أوربا ومصر وغيرهما ، وفى جملة ذلك مكتبتان أهداهما صاحباهما الى الجامعة فى سبيل الخدمة العامة ، الاولى مكتبة شفيق (بك) منصور ، والثانية مكتبة يحيى (باشا) منصور يكن ، فبلغ عدد ما فيها من الكتب نحو اثنى عشر الف مجلد ، فعهدت بترتيبها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى سكرتيرها العام عبد العزيز فهمى ، فرتبها على أحدث طرق المكتبات الكبرى فى أوربا ، وهى مباحة لمن أراد الاستفادة منها ، واليك احصاءها الاخير :

عدد المجلدات	
٨٦٦٠	جملة ما جمع من الكتب الافرنجية على سبيل الهدايا
١٢٧٠	جملة ما جمع من الكتب العربية على سبيل الهدايا
١٥٠٠	كتب شفيق (بك) منصور الافرنجية
٢٥٠	كتب شفيق (بك) منصور العربية
٢٥٠	مكتبة يحيى (باشا) منصور
١١٩٣٠	الجملة

مكتبات الجمعيات العلمية

وللجمعيات العلمية الكبرى بمصر مكاتب أهمها :

١ ــ مكتبة المجمع العلمى المصرى Institut فيها نحو ٢٣٫٠٠٠ مجلد فى الفرنسية فالانجليزية فالايطالية وقليل فى الالمانية والعربية واليونانية ، وأكثرها فى التاريخ والجغرافيا والرياضيات وعلم الآثار والزراعة والصناعة والفنون وغيرها ، ومجلات فى هذه الموضوعات وفيها طائفة حسنة من الكتب النادرة عن مصر ، وعلاقتها بفرنسا

٢ ــ مكتبة الجمعية الجغرافية فيها نحو ٥٫٠٠٠ مجلد أكثرها فى الفرنسية ، فى الجغرافيا وما يتبعها ، ولا سيما جغرافية افريقيا ، وبينها مجموعات من أعمال الجمعيات الجغرافية فى العالم شرقا وغربا ، وهى مجموعة ثمينة

مكتبات نظارات الحكومة

لا تخلو نظارة من نظارات الحكومة من مكتبة ، لكن أكثر محتوياتها من الكتب الرسمية والمنشورات ونحوها ، على ان بعض النظارات تشتمل على كتب فنية وعلمية ونحوها أهمها :

١ ــ مكتبة الاشغال العمومية

مقرها فى ديوان الاشغال فيها نحو ٣٫٠٠٠ مجلد فى اللغات الفرنسية والانجليزية والعربية ، أكثرها فى الفنون المتعلقة بهذه النظارة ، منها نحو ٨٥٠ مجلدا فى المعاجم والمجموعات الرسمية والآثار العربية والهندية ونحوها ، و ٣٢٠ فى الموضوعات الجيولوجية والميكانيكية والجوية ، و ١٥٠

عن الرى و ٣١٠ سياحات فى أفريقيا والاسفار ونحوها ، و ٣٦٠ تقارير واحصاءات رسمية ، والباقى فى البناء والهندسة وسائر المهن

٢ ـ مكتبة المخابرات فى نظارة الحربية

فيها نحو خمسة آلاف مجلد ، تبحث فى التاريخ والجغرافيا والاقتصاد السياسى والادارى عن مصر والسودان والبلاد المحيطة بها والمجاورة لها ، باللغات الانجليزية ، والفرنسية والعربية والايطالية والالمانية

مكتبات الاسكندرية

الاسكندرية مشهورة منذ القدم بمكتبتها ايام البطالسة ، لكنها احترقت غير مرة ولم يبق لها أثر ، ولم نعد نسمع بمكتبة مهمة انشئت فيها أثناء التمدن الاسلامى ، لأن الخلفاء والسلاطين كانوا ينشئون خزائن الكتب غالبا فى القاهرة قصبة دولتهم

ولما حدثت النهضة الاخيرة لانشاء المكتبات العامة ، بدأت فى القاهرة كالعادة ، وظلت الاسكندرية خلوا منها الى عام ١٨٩٢ ، اذ أسست المكتبة البلدية ولم يكن قبلها الا مكتبات خاصة لبعض الادباء مثل مكتبة المرحوم جبرائيل (بك) مخلع ، كان فيها طائفة حسنة من الكتب العربية والافرنجية ، ومكتبة راتب (باشا) ، ومكتبة حسن حمزة من علماء الاسكندرية ، ثم انتقلت الى ملك الشيخ أحمد حمزة ، فأضاف اليها كثيرا من نوادر المخطوطات ، واشهر مكتبات الاسكندرية الآن المكتبة البلدية ، والمكتبة العباسية

١ ـ المكتبة البلدية

تاسست سنة ١٨٩٢ وفيها ١٦١٩٣ مجلدا الآن (١٩١٤)

انشأها المجلس البلدى فى ١٤ يوليو عام ١٨٩٢ ، وعين لها أمينا من سويسرا اسمه فيكتور نوريس لايزال مديرا للقسم الافرنجى فيها ـ وتعين لها فى ذلك العام الشيخ أحمد أبو على الازهرى أمينا للقسم العربى ولا يزال ، وعليه عولنا فى تحقيق تاريخ هذه المكتبة ومحتوياتها

كانت فى أول نشأتها مع المتحف الاسكندرى فى بناء واحد ، ثم نقلت الى دائرة البلدية ولم يكن فيها الا بضع عشرات من الكتب الافرنجية ، فسعى أمينها العربى فى الاستكثار من الكتب العربية ووافقه رئيس المجلس البلدى يومئذ يوسف شكور (باشا) وخابر الحكومة ، فأهدتها ٤١٣ كتابا عربيا من مطبوعات بولاق ـ تلك فاتحة القسم العربى فيها ، وما زالت العناية مبذولة فى الاستكثار من الكتب العربية والافرنجية حتى بلغ عدد كتبها ١٦ر١٩٣ كتابا ، منها ٧٧٥٣ كتابا عربيا ، و ٨٤٤٠ كتابا افرنجيا ،

وهى مفتوحة الابواب لمن شاء المطالعة أو المراجعة كدار الكتب المصرية ، ومن الكتب النادرة فى هذه المكتبة :

١ ــ نسخة من المدونة مكتوبة بقلم اندلسى على رق غزال فى أوائل القرن السادس للهجرة ، وعليها خط الامام عبد الوهاب الشعرانى ، انه قابلها وصحح عليها

٢ ــ ديوان عمر بن مسعود سراج الدين المجان الكنانى المتوفى عام ٧٠٠ هـ بخط نسخ جميل عام ٧٤٧ هـ وفيه باب للموشحات والازجال وغيرها من الاشعار العامية ، وهو جزيل الفائدة لقلة الكتب القديمة فى هذه الفنون

٣ ــ جزء من صحيح مسلم ، بخط جميل وفى آخره ، أنه كتب عام ٣٦٨ هـ

٤ ــ الكاشف فى أسماء الرجال ، لشمس الدين الذهبى بخط جميل

٥ ــ التدوين فى أخبار قزوين ، لعبد الكريم الرافعى المتوفى عام ٦٢٣ هـ

٦ ــ طبقات الحفاظ ، للسيوطى وعليه خط المؤلف

٧ ــ مجمل اللغة لابن فارس ، بخط جميل مضبوط بالحركات ، كتب عام ٦٠١ هـ

٨ ــ لب اللباب فى تحرير الانساب للسيوطى ، ومعه ذيل للعجمى ، نادر الوجود

٩ ــ المغرب فى اللغة للمطرزى

١٠ ــ نظام الغريب فى اللغة لعيسى الربعى ، مصحح بقلم أبى نصر الهورينى ، ويظن أن هذه النسخة وحيدة من هذا الكتاب فى مصر

١١ ــ الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد للأدفوى المتوفى عام ٧٤٨ هـ

١٢ ــ تهذيب الاسماء واللغات للنووى مكتوبة بخط أبى بكر السلمى عام ٧٤٥ هـ

١٣ ــ الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل للعليمى ، وعلى هامشها مطالعات وتعليقات

١٤ ــ المجلد ١٢ من مسالك الابصار لابن فضل الله العمرى ، ويشتمل على الحيوانات والنباتات ، وجميع ما فيه من النباتات مصور بصورة الطبيعة باتقان ومكتوب بخط جميل فهو من التحف النادرة فى العربية

١٥ ــ الجزء الثانى من مختارات الاغانى لابن منظور صاحب لسان العرب ، وبخطه وهو جميل جدا

١٦ ــ كتاب الفروق للترمذى ، فى مجلد مكتوب بخط ابن ابى جرادة عام ٥٩١ هـ

١٧ ــ تاريخ المظفرى لشهاب الدين ابراهيم بن عبد الله الحموى المتوفى عام ٦٤٢ هـ ، وصل فيه الى عام ٦٢٨ هـ

١٨ ــ تاريخ عدن لأبى حمد بن عبد الله مخرمة من علماء اواخر القرن العاشر للهجرة

١٩ ــ روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح ، تأليف نور الدين عيسى لطف الله أحد مؤرخى القرن الحادى عشر الهجرى

٢٠ ــ طبقات فقهاء اليمن وعيون من أخبار سادات رؤساء الزمن ، لأبى حفص عمر اليمنى المتوفى عام ٥٨٦ هـ

٢١ ــ در الحبب فى تاريخ أعيان حلب لرياض الدين بن الحنبلى المتوفى عام ٩٧١ هـ

٢٢ ــ السيرة العمرية (سيرة عمر بن الخطاب) تأليف أبى الفرج بن الجوزى

٢٣ ــ كتاب الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى

٢٤ ــ تاريخ صنعاء لاسحق بن جرير الصنعانى مكتوب عام ٩٩٢ هـ

٢٥ ــ الجواهر المضية فى طبقات الحنفية لأبى محمد القرشى المتوفى عام ٧٧٥ هـ

٢٦ ــ الدر الثمين فى سيرة نور الدين (زنكى) لبدر الدين محمد بن أبى بكر بن شهبه

٢٧ ــ اصلاح المنطق فى اللغة ليعقوب بن السكيت

٢٨ ــ خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة لنشوان ابن سعيد الحميرى المتوفى عام ٥٧٣ هـ

٢٩ ــ البديع فى نقدالشعر لاسامة بن منقذ الكنانى المتوفى عام ٥٨٤ هـ

٣٠ ــ التقريب فى أسماء الرجال لشهاب الدين بن حجر العسقلانى

٢ ــ المكتبة العباسية

تاسست سنة ١٩٠٣ وفيها ٦٥٥٠ مجلدا

أسسها الشيخ عبد الفتاح البنا بالاسكندرية عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٣) ، وبيان ذلك أن الحاج على شتا من اعيان الاسكندرية كان عنده كتب عرضها للبيع ، فاشار عليه الشيخ عبد الفتاح أن يقفها على مكتبة تكون برسم سيدى أبى العباس المرسى

فوافقه ، فاضاف اليها كتبا كانت عنده ، وكتبا اهداها محمد (افندى) توفيق من أبناء الاسر القديمة ، ووضعت فى مسجد أبى العباس المرسى ، ولما تنظمت مشيخة علماء الاسكندرية وضعت يدها عليها ووسعت نطاقها وعينت الشيخ عبد الفتاح أمينا لها ، وهى الآن بمركز ادارة المشيخة بسراى حافظ (باشا) بالاسكندرية ، وعدد مجلداتها ٦٥٥٠ مجلدا فى علوم اللغة والطبيعة والتاريخ والادب ، وقد أعانتها تبرعات المتبرعين ، أهمهم ورثة محسن (باشا) ومصطفى (بك) المنزلاوى ومصطفى (باشا) خليل

وفيها من الكتب النادرة خمسة مجلدات من كتاب نهاية الارب للنويرى من ٦ — ١٠ يمكن الاستفادة منها عند الشروع فى طبع هذا الكتاب لاحياء آداب اللغة (*)

المكتبات فى الارياف

لا تخلو المساجد فى مدن الارياف من مكاتب خاصة ، ولا نظن فيها ما يستحق الدرس والنشر الا مكتبة الجامع الاحمدى فى طنطا

١ — المكتبة الاحمدية فى طنطا

فيها ٦٠٠٠ مجلد

انشأها الشيخ ابراهيم الظواهرى شيخ الجامع الاحمدى الاسبق عام ١٨٩٨ وعين لها أمينا ومعاونا له . وهى تحتوى على ستة آلاف مجلد ، منها ١٣٠٠ بخط اليد ، وتشتمل على أهم الموضوعات العربية فى العلوم الاسلامية واللغوية والتاريخ والادب وغيرها من الفنون

ومن نوادر الكتب فيها كتاب كشف الاسرار للخوخى فى علم المنطق ، وكتاب منتهى السول فى علم الاصول للأمدى ، وجزء من كتاب شمس العلوم فى اللغة العربية لأبى سعيد نشوان الحميرى ، وقد استنسخت دار الكتب المصرية هذه الكتب منها ، وفيها من خطوط المشاهير خط ابن قاسم العبادى والشرنبلاوى والعطار والدردير

٢ — مكتبة خليل آغا اللاله

فيها ٣٠٠ مجلد

هى تابعة للمكتبة الاحمدية وقفها خليل آغا المذكور ، وفيها ٣٠٠ مجلد، أكثرها مخطوط ، وبينها قاموس عربى كان ملكا لسعيد (باشا) ولها مغير خاص

(*) انظر فى المكتبات العمومية فى القاهرة والاسكندرية الدليل لاهم المكتبات العامة بالقاهرة والاسكندرية لجاك تاجر ومونبيه ، وراجع فهارس المكتبة العربية ليوسف اسعد داغر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المكتبات الخاصة بمصر :

المكتبات الخاصة كثيرة فى التمدن الاسلامى ، اذ لم يكن يخلو مؤلف او كاتب من خزانة كتب يستعين بها فى الموضوع الذى يكتب فيه ، ويغلب ان يكتب على تلك الكتب بخطه انها دخلت فى ملكه مع تاريخ ذلك ، او ان يعلق عليها تعليقات أو ملاحظات ، والغالب متى مات صاحب الخزانة ان تتشتت كتبه بالانتقال أو البيع او غير ذلك . فبعد أن تكون ملك رجل واحد تتفرق على عشرة أو عشرين ، وامثال هذه الكتب اذا كان عليها خطوط اصحابها من المشاهير تكون ثمينة بنسبة شهرة صاحبها وقدم عهده ، وسترى أمثلة من هذه التحف فى بعض المكتبات الخاصة الآتى ذكرها

لم يبق لدينا من المكتبات الخاصة القديمة مكتبة لاتزال باسم صاحبها ، الا ما وقف منها فى الآستانة بأسماء اصحابه ، واكثر المكتبات الخاصة الآن حديثة العهد ، وان كان بعض كتبها قديما ، وقد رافقت النهضة العلمية بمصر رغبة فى اقتناء الكتب ، ولاسيما فى النصف الثانى من القرن الماضى بعد انشاء وانتشار الطباعة ، فكثر الراغبون فى انشاء المكتبات على اختلاف اللغات ، ويهمنا منها المكتبات العربية أو التى ترمى الى غرض عربى ولا نذكر الا ما يهم القراء معرفته منها لوجود الكتب النادرة فيها ، أو لكثرة ما فيها من الكتب النافعة مما يتيسر لنا الوقوف عليه منها ، اذ لا يبعد ان يكون هناك مكتبات خاصة لم يصل الينا خبرها

١ ـ الخزانة التيمورية

فيها ٨٠٠٠ مجلد الآن

سميت بذلك نسبة الى صاحبها أحمد (بك) تيمور الاديب المعروف ، اصله كردى جاء جده محمد بن أسماعيل بن على كرد مع الجند العثمانى بعد خروج الفرنسيين من مصر ، ثم أصبح من خاصة محمد على (باشا) واعانه فى الفتك بالمماليك وترقى فى المناصب من كاشف الى محافظ وتوفى عام ١٢٦٤ هـ (١٨٤٧) ونبغ ابنه اسماعيل بن محمد ، وتولى ادارة عدة مديريات ومناصب اخرى فى زمن عباس ، وسعيد ، واسماعيل ، وصار رئيسا لديوان الخديو ، وتوفى عام ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢)

وصاحب الخزانة التيمورية هو أحمد بن اسماعيل بن محمد ، وكان ابوه قد جمع مكتبة نفيسة تشتتت ، فشب صاحب هذه الخزانة على حب الكتب واشتغل بجمعها لايدخر فى ذلك وسعا ، بين ابتياع واستنساخ ورحلة للتنقيب عن نوادر الكتب ، يبذل المال والوقت فى هذا السبيل ، فاجتمع عنده الى أواخر العام الماضى (١٩١٣) نحو ٨٠٠٠ مجلد و ٧٠٦٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتابا أعد لها قاعة كبيرة فى ضيعته فى قويسنا ، ووضع لها الفهارس مرتبة حسب الموضوعات . ورتب كل موضوع حسب سنى الوفاة ، فيذكر الكتاب واسم مؤلفه واذا كان مطبوعا ذكر عام طبعه بحيث يسهل تناول الكتب والاستفادة منها

وتمتاز الخزانة التيمورية بطائفة حسنة من المخطوطات العربية النادرة ، جاء ذكر كثير منها فى الجزء الثالث من هذا الكتاب ، وفيها ٥٢٧ كتابا كتبت قبل ختام القرن العاشر للهجرة ، اقدمها الجزء الاول من شرح أبى الحسن الفارسى كتب عام ٤١٣ هـ ، وبينها طائفة من الكتب عليها خطوط المشاهير من أهل العلم ، هذه أمثلة منها :

خطوط المشاهير على بعض الكتب

١ ــ مجموعة طبية مصورة بخط عبد الرحمن الانصارى كتبها عام ٥٩٢ هـ

٢ ــ الجزء الاول من الغرر والدرر ، عليه خط ابن العفيف عام ٦٢٤ هـ ، يفيد انه سمعها مع جماعة ذكرهم

٣ ــ مجموعة فى الحديث ، فى أولها خط عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ انه تملكها ، وفيها أربعون حديثا لابن جماعة عليها خط السيد مرتضى الزبيدى صاحب تاج العروس ــ وخط الجبرتى موجود على عدة مخطوطات فى الخزانة المذكورة ، وكذلك خط العطار والهورينى

٤ ــ كتاب فى رجال الحديث من الشيعة ، للحسن بن على المولود عام ٦٤٧ هـ ، على الورقة الاولى منها خط عبد القادر البغدادى ، مؤلف خزانة الادب أنه تملكها

٥ ــ أنوار الربيع فى البلاغة لابن معصوم ، وعليه خط الشيخ حسن الطويل

٦ ــ دمية القصر عليها خط الشيخ الشنقيطى اللغوى

٧ ــ بغية الطالبين فى التاريخ ، عليها خط السيد مرتضى الزبيدى ، صاحب تاج العروس ، يجيز بها الشيخ على بن سعد البيوسى

٨ ــ رحلة الامام الشافعى ، عليها خط ابن حمويه الجوينى

وقس على ذلك كتبا أخرى عليها خطوط بهذا المعنى لشهاب الدين الحجازى ، وأبى المكارم المطرزى شارح الحريرى ، وبرهان الدين البقاعى المتوفى عام ٨٨٥ هـ ، وابن فضل الله العمرى صاحب مسالك الابصار ، والشيخ محمد الدسوقى (١٢٣٠ هـ) ، والخطيب ابن نباتة ، وجلال الدين المحلى ، والشيخ حسن قويدر ، وغيرهم

مؤلفات بخطوط مؤلفيها

وهناك طائفة من المخطوطات بخطوط مؤلفيها أنفسهم ، وهذا من اندر النوادر ، هاك أهمها :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ ــ مسند عمر بن الخطاب ، تأليف ابن كثير وبخطه

٢ ــ المنتقى للزرعى الزبيدى بخطه

٣ ــ تقريب التهذيب لابن حجر العسقلانى بخطه عام ٨١٧ هـ

٤ ــ رجال البخارى ومسلم ، لابن عيسى الهكارى المتوفى عام ٧٥٠ هـ بخطه

٥ ــ رمز الحقائق للعينى عام ٨٥٥ هـ ، بخطه

٦ ــ نوادر الزمان فى وقائع جبل لبنان لاسكندر ابكاريوس بخطه ، وقد أهدى هذا الكتاب لمحمد صادق (باشا) التونسى ويظهر أن هذه النسخة هى المهداة .

٧ ــ مختصر مفردات ابن البيطار لابن مكرم صاحب لسان العرب عام ٧١١ هـ ، بخطه

٨ ــ ديوان شهاب الدين الخفاجى المتوفى عام ١٠٦٩ هـ ، بخطه

٩ ــ ذيل الدرر الكامنة للعسقلانى ، بخطه

وهناك عشرات من أمثال هذه الكتب النفيسة ، أغضينا عنها حبا فى الاختصار (*)

٢ ــ الخزانة الزكية

فيها نحو ٥٠٠٠ مجلد الآن (١٩١٤)

هى مكتبة أحمد زكى (باشا) سكرتير مجلس النظار ، وقد جاء ذكرها مرارا فى أثناء هذا الكتاب ، جمعها صاحبها فى أثناء ثلاثين عاما ، بذل فى ذلك جهدا كبيرا ومخابرات طويلة واسفارا بعيدة ، بين ابتياع واستنساخ وتصوير ، فأصبحت حافلة . وقد بلغ عدد ما فيها من المجلدات نحو خمسة آلاف مجلد ، منها نحو ٣٠٠٠ مجلد ، أو ١٨٣٥ كتابا فى اللغة العربية ، بينها ٤١٥ كتابا فى التاريخ ، و ٢٨٧ فى الادب ، و ٢٢٢ فى اللغة ، وتمتاز المكتبة الزكية عن سائر المكتبات الخاصة بمجموعة حسنة من الكتب الافرنجية التى ألفها المستشرقون فى اللغات الفرنسية والانجليزية والالمانية والايطالية والاسبانية والبرتغالية واللاتينية عن الشرق ، وفى جملتها مجموعة من المجلة الآسيوية الفرنسية منذ نشأتها عام ١٨٢٢

وفى المكتبة الزكية جانب كبير من الكتب العربية المطبوعة فى أوربا والهند ، فضلا عن مطبوعات مصر والشام ، بينها مجموعة من مطبوعات

(*) ضمت هذه الخزانة الى دار الكتب المصرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بولاق ومطبعة أركان حرب الجهادية الطبية ، والمطبعة الرياضية ، وأما المخطوطات ، فاليك أهمها مما يندر وجوده :

١ ــ أربعة أجزاء من تاريخ ابن عساكر

٢ ــ أربعة أجزاء من مرآة الزمان لابن الجوزى

٣ ــ نسخة من تاريخ ابن خلدون بخط الشيخ حسن العطار

٤ ــ الفتوة فى الاسلام

٥ ــ صبح الاعشى نسخة كاملة فى سبعة مجلدات ، كتبت عام ٨١٧ هـ أى بعد أن فرغ المؤلف منها ببضع سنين وهى من التحف النادرة (*)

٣ ــ المكتبة الاصفية

فيها نحو ٦٠٠٠ مجلد

هى لمحمد (بك) آصف بن على (باشا) آصف وابن أخت أحمد (بك) تيمور ، تحتوى على ٦٠٠٠ مجلد منها نحو ٤٠٠٠ باللغة العربية ما بين مخطوط ومطبوع ، ونحو ٢٠٠٠ باللغتين الفرنسية والتركية ، وتمتاز هذه المكتبة باشتمالها على أكثر ما طبعه المستشرقون الاوربيون من العربية من القرن السادس عشر الى الآن ، وفيها تاريخ الثورة العرابية تأليف أحمد عرابى (باشا) الموسوم بسر الاسرار فى تاريخ الحركة العرابية فى عامى ١٨٨١ و ١٨٨٢ ، وهو كتاب كبير فى ثلاثة أجزاء حوى حوادث الثورة المذكورة من أولها الى آخرها ، وهذه النسخة هى الوحيدة من هذا التاريخ

وأما الكتب التى باللغتين الفرنسية والتركية فما كان منها بالفرنسية أكثره مما ألف عن مصر ، والدولة العثمانية ، والشرق الادنى قديما وحديثا فى التاريخ والسياحات وحوادث الاحتلال الفرنسى لمصر وما أدخله محمد على (باشا) من الاصلاحات والتنظيمات وحروبه هو وابنه ابراهيم (باشا) فى الحجاز ونجد مع الوهابية والشام والسودان والمورة ، وكتب أثرية لمصر فى عهد الفراعنة والمدنية الاسلامية ، وغير ذلك

وقد أخبرنا صاحبها انه عازم على وقفها على أحد المعاهد العلمية بمصر ، لجعلها عامة للانتفاع بها

٤ ــ مكتبة جليـاردو (بك)

فيها نحو ٩٠٠٠ مجلد

هو ابن جلياردو (بك) رئيس مدرسة الطب ، ومكتبته من خيرة المكتبات عن مصر وتاريخها ، عدد مجلداتها نحو ٩٠٠٠ مجلد أكثرها باللغة الفرنسية

(*) ضمت هذه الخزانة الى دار الكتب المصرية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعضها بالعربية والانجليزية والايطالية وأكثر لغات أوربا ، فى الموضوعات الشرقية ، ولاسيما تاريخ مصر وجغرافيتها ، والسياحات فيها من أقدم الازمنة الى الآن واحصائها ، ونحو ذلك عن سوريا وفلسطين ، وفيها مجموعة كبيرة عن الحملة الفرنسية وأعمالها ومطبوعاتها ، ومجموعة عن الديانات الشرقية ، ولصاحبها عناية فى جمع أقوال الصحف وغيرها فيما يطرأ من الحوادث ، فيجعل لكل حادث محفظة خاصة (دوسيه)

٥ ـ مكتبة احمد (بك) الحسينى
فيها ٤٧٨٠ مجلدا

هى من المكتبات الخاصة النفيسة ، موضعها فى منزل صاحبها قرب المحكمة الشرعية ، وهى مرتبة ومقسمة حسب موضوعاتها ولها فهارس وعليها مشرفون أو مفيرون ، ويؤذن لمحبى المطالعة أن يطالعوا فيها أو ينقلوا ما شاءوا فى أوقات معينة من الاسبوع ، وبلغ عدد ما فيها من المجلدات ٤٧٨٠ مجلدا ، أهمها فى الفقه والقانون والادب والتاريخ (*)

٦ ـ مكتبة على (باشا) رفاعة
فيها نحو ١٠٠٠ مجلد

هو نجل رفاعة (بك) الطهطاوى الشهير ، تشتمل على كتب أبيه وكتبه وكان رفاعة (باشا) شاعرا أديبا توفى منذ بضع سنين ، ومكتبته تشتمل على نحو الف مجلد أكثرها مخطوطات ، أخبرنا السيد محمد البيلاوى وكيل دار الكتب المصرية (سابقا) ان فى مكتبة رفاعة (باشا) من النوادر شرح ابن الجنابى على فصيح ثعلب كتب نحو القرن الرابع للهجرة ، والجزء الثانى من المثل السائر بخط المؤلف ، والجزء الاول من هذه النسخة فى دار الكتب المصرية (**)

وهناك مكتبات خاصة اخرى لم يتيسر لنا الاطلاع عليها ، اشهرها مكتبة عبد الله فكرى (باشا) ، ومكتبات ابراهيم حليم (باشا) ولطيف (باشا) وراتب (باشا) والشيخ الامبابى ومكتبة خليل أغا بجوار الازهر ، ولعل هناك مكتبات خاصة لم يصلنا خبرها

المكتبات القبطية وغيرها

كان للأقباط مكتبات شهيرة فى الاديرة المنتشرة فى انحاء القطر ، أكثر كتبها فى الطقوس الدينية أو الصلوات أو تواريخ الكنيسة باللغات القبطية والسريانية واليونانية ، ثم أضيف اليها كتب عربية بعد أن تعرب القبط .

(*) ضمت هذه المكتبة الى دار الكتب المصرية
(**) ضم أكثر هذه المكتبة الى مكتبة بلدية سوهاج

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعقب ذلك استغرق الشرق فى سبات الاجيال المظلمة فأهملت الاديرة ، فلما نهض الافرنج فى فجر التمدن الحديث كان من جملة مساعيهم البحث عن آثار الشرق وآدابه ، فبعثوا البعوث الى الاديرة وهى مستودع الحكمة والعلم عن آثار العهد ، فأخذوا ما وصلت اليه أيديهم من التحف المخطوطة باللغات الشرقية ، كما فعل السمعانى فى سوريا

وكذلك فعل آخرون بمصر ممن جاءوا للبحث عن الكتب ، ولا سيما البعثات الدينية الكاثوليكية التى جاءت مصر لتوحيد الكنيسة ، فنقلوا منها كتبا حفظت فى متحف بورجيا بالفاتيكان ، وهكذا فعل المبشرون الانجليز فى أوائل القرن الماضى ، وأكثر ما أخذوه كتب قبطية وسريانية وفعل غيرهم مثل فعلهم ، على أنهم لم يبددوا ما أخذوه ، بل حفظوه فى متاحفهم ، ووضعوا له الفهارس ، ولم ينتبه الاقباط لهذه الخسائر الا بعد أن صارت أهم كتبهم فى مكتبات أوربا ، فأخذوا فى جمع ما بقى ، فاجتمع عندهم الى الآن نحو ٢٠٠٠ مجلد محفوظة فى دار البطريركية بالقاهرة ، فيها مخطوطات كثيرة أكثرها دينى باللغة القبطية والعربية ، وفيها عدة كتب تاريخية فى أخبار الكنيسة والآباء البطاركة وغيرهم ، بينها الجزء الاول من خطط المقريزى عليه ختم الجبرتى المؤرخ لأنه دخل فى ملكه ، وهناك معاجم فى اللغات القبطية والحبشية واليونانية ، ولا يزال فى الاديرة القبطية ، ولا سيما دير المحرق كتب ثمينة أغلبها دينى

ويقال نحو ذلك فى مثل هذه المكتبة للقبط الكاثوليك فان فيها كثيرا من الكتب الدينية باللاتينية واليونانية والقبطية ، بين مخطوط ومطبوع ، وبينها نسخة من طبعة التوراة المعروفة بالبوليغلوط فى عدة لغات أوشك ورقها أن يتهرأ لطول عهدها

مكتبة دير طور سينا

ومن مكتبات الاديرة فى جوار مصر مكتبة دير طورسينا ، وهى قديمة العهد لكن كتبها دينية نصرانية باللغات اليونانية والسريانية والحبشية والعربية والارمنية والعبرانية ، عدد مجلداتها نحو ٣٥٠٠ مجلد ، بينها نحو ٧٠٠ فى اللغة العربية ، أكثرها مخطوطات قديمة على الرقوق ونحوها ، فيها قطع من الانجيل بالسريانية مكتوبة فى أوائل النصرانية ، وليس بين المخطوطات العربية فيها ما يستحق الذكر ، لكن السيدة لويس الانجليزية اكتشفت بالامس نصوصا قرآنية مكتوبة على رقوق قديمة كتب فوقها بالسريانية بعد محو العربى من تحتها — على عادتهم فى ذلك يومئذ ، وهى تظن تلك النصوص كتبت قبل جمع الخليفة عثمان للقرآن ولا نظنها تستطيع اثبات ذلك (*)

(*) أنظر فى محتويات هذه المكتبة فهرست مكتبة دير سانت كترين بطور سيناء لمراد كامل « طبع المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٥١ »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المكتبات فى سوريا

كانت سوريا حافلة بخزائن الكتب قبل الاسلام وبعده ، وكانت مدنها فى زمن الروم لا تخلو من المدارس وفيها المكتبات ، ولا سيما فى انطاكية ودمشق وحلب وغيرها من مدن العلم أو مركز البطريركية ، ولما اقبلت الاجيال الوسطى كانت الاديار مقر المكتبات والمدارس ، وأكثر ما فيها من الكتب دينى باللغات اليونانية والسريانية والعبرانية ، فى اللاهوت والفلسفة والتاريخ والادب

ولما ظهر الاسلام وأثمر التمدن الاسلامى تكاثرت المكتبات العربية فى قصور الملوك والسلاطين والامراء والوزراء ورجال الدولة ، كما تقدم فى الكلام عن مصر ، ثم أصاب سوريا ما أصاب مصر من التأخر والاهمال فلم يبق من تلك التحف ما يستحق الذكر ، الا نتفا مبعثرة فى الاديار أو المساجد أو المدارس أو غيرها ، واهتم رجال الفضل بأمرها بعض الاهتمام على أثر هذه النهضة ، وهاك ما وصلنا من أخبارها حسب المدن ، فلنتكلم عن مكتبات دمشق ، فحلب ، فبيروت ، فالقدس ، فحمص ، وغيرها

مكتبات دمشق وضواحيها

مكتبات دمشق قبل هذه النهضة

كانت دمشق فى ابان التمدن الاسلامى كثيرة المدارس والمساجد ، ولا تخلو مدرسة أو مسجد من خزانة كتب للدرس أوالمطالعة ، وقد اشتهرت دمشق بذلك ، ثم سطت عليها الاجيال المظلمة فلم تبق الا على القليل منها ، ولم يتصل بنا منها لهذا العهد الا مكتبة الجامع الاموى ، وكان بعضها مودعا عند ضريح النبى يحيى وفى قبة المال فى صحن الجامع ، فلما أصيب الجامع بالحريق عام ١٨٩٣ تلفت تلك البقايا ولم يسلم منها الا ما كان فى قبة المال التى يشاهدها الزائر فى صحن الجامع ، وهى مقفلة موصدة والناس يظنون فيها صكوكا أو أوراقا رسمية تتعلق بالجامع لا يؤذن بفتحها الا لبعض الخاصة ، ويقال ان روجرس الرحالة الانجليزى أذن له فى رؤيتها فى أواسط القرن الماضى ، ويظن انه نقل منها بعض الكتب . وآخر من أتيح له الاطلاع عليها البارون فون سودن أستاذ اللاهوت فى كلية برلين ، وكان مشتغلا بالبحث عن نسخة قديمة من الاناجيل فى اللغة اليونانية لم تصل اليها يد التلاعب ، فمر بدمشق فى أواخر القرن الماضى وخيل له انه يظفر بضالته بين ما فى تلك القبة من بقايا دولة الروم يوم كان ذلك الجامع كنيسة ، فاستحث دولته على الاستئذان له فى الاطلاع على تلك المخبآت ، فلم يوفق الى ذلك الا فى ختام ذلك القرن اذ أذنت له الدولة العثمانية أن يفتح تلك القبة بحضور ناظم (باشا) والى سوريا يومئذ مع جماعة من الاعيان ، فأوفد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البارون فون سودن مستشرقا ينوب عنه ، فأسفر التنقيب عن رقوق كثيرة أكثرها دبنى بينها قطع من التوراة السريانية حرفها اسطرنجيلى ، ورقوق فى اللغات اليونانية واللاتينية والعبرانية والارامية والسامرية اقدمها كتب فى القرن الخامس للميلاد ، ورقوق عربية أكثرها بالحرف الكوفى ، ويقدرون ما فى تلك القبة ببضعة آلاف كتاب مبعثرة . ثم اقفلت القبة ولم يتم درسها ، والناس مختلفون فيما وقفوا عليه فيها

وقس على ذلك ما كان فى سائر المساجد او المدارس أو الكنائس او لبعض الخاصة من رجال العلم أو الوجاهة أو السلطة من خزائن الكتب ، ما عبثت به يد الحدثان فى اثناء القرون الاخيرة قبل هذه النهضة ، فدخل القرن الماضى وليس فى دمشق الا مكتبات قليلة سلمت من الضياع ، فاهتم بعض العقلاء من رجال الحكومة فى أواسط القرن المذكور بأمر هذه المكتبات لجمع ما كان باقيا منها فى المساجد فى مكتبة واحدة لتحفظ ويستفيد منها الناس ، ولم يتيسر جمعها كلها الا فى ولاية مدحت (باشا) أبى الاصلاح عام ١٨٧٨ ولم يكن باقيا منها يومئذ الا عشر مكتبات هذه أسماؤها :

١ ــ المكتبة العمرية نسبة الى الشيخ عمر القدسى المتوفى عام ٦٠٧ هـ

٢ ــ مكتبة عبد الله (باشا) العظم وقفت عام ١٢١١ هـ

٣ ــ مكتبة سليمان (باشا) العظم وقفت عام ١١٩٦ هـ

٤ ــ مكتبة ملا عثمان الكردى

٥ ــ مكتبة الخياطين وقفها الحاج أسعد (باشا) بعد عام ١١٦٥ هـ

٦ ــ المكتبة المرادية نسبة الى الشيخ مراد النقشبندى المتوفى عام ١١٣٢ هـ جد صاحب سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر

٧ ــ مكتبة الشميساطية وهى حديثة العهد

٨ ــ مكتبة الياغوشية

٩ ــ مكتبة الاوقاف وقد جمعت من مكتبات متفرقة

١٠ ــ مكتبة بيت الخطابة كانت فى هذا المكان من الجامع الاموى

المكتبة الظاهرية

فيها ٣٥٦٦ مجلدا الآن

قد تقدم أن مدحت (باشا) لما جاء الى سوريا عام ١٨٧٨ الف جمعية من علماء دمشق سماها الجمعية الخيرية لانشاء المدارس وترقية المعارف ، وكلفها فى جملة ذلك بالبحث عن المكتبات المهملة وجمع ما تيسر جمعه منها فى مكان واحد، عينه لها قرب التربة العادلية فى مكان يعرف بالظاهرية نسبة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى ضريح الملك الظاهر، وخصصوا لها قاعة كبيرة شاهدناها فى رحلتنا الى دمشق فى العام الماضى ، وهى مبنية بالرخام والفسيفساء بنيت عام ٦٧٦ هـ فجمعوا هناك ماكان فى المكتبات العشر المذكورة ، فتألف من مجموعها المكتبة الظاهرية ووضعوا لها فهرسا مختصرا لايشفى غليل الباحث ، فألف حبيب الزيات كتاب «خزائن الكتب فى دمشق وضواحيها » استوفى فيه درسها طبع بمصر منذ بضع عشرة سنة وقد عولنا عليه فى هذا البحث

وفى المكتبة الظاهرية الآن ٣٥٦٦ مجلدا بين مطبوع ومخطوط ، أكثرها فى الفقه والحديث وسائر العلوم الاسلامية ، وفيها ٣٦٠ كتابا فى العلوم اللغوية ، و ٣٢٠ فى التاريخ والجغرافية ، و ٣٥٠ فى الادب ، وأهم ما فيها من نوادر الكتب المخطوطة ما يأتى :

١ ــ تاريخ دمشق لابن عساكر ، منه نسختان احداهما كاملة والثانية ينقصها الجزء الاول

٢ ــ الضوء اللامع فى تراجم أهل القرن التاسع ، للسخاوى عليه اجازة بخط المؤلف

٣ ــ الكواكب السائرة فى مناقب اعيان المائة العاشرة ، لنجم الدين الغزى

٤ ــ الجزء العاشر من ذيل تاريخ بغداد

٥ ــ طبقات الفقهاء الحنابلة لابن الفراء

٦ ــ شرح مقامات الحريرى للمطرزى

٧ ــ سفر السعادة للسخاوى ، وغير ذلك من كتب الادب والشعر

المكتبات المسيحية فى دمشق

وفى دمشق أديرة وكنائس ومدارس لغير المسلمين ، لا تخلو من خزائن كتب لكنها ليست مما يهم الجمهور ، لان حوادث عام ١٨٦٠ ذهبت بأكثرها ، وفى كنيسة الكلدان مكتبة للمطران يوسف داود السريانى ــ قال صاحب « كتاب خزائن الكتب فى دمشق وضواحيها » انه قلب أكثر اسفارها فوجد أكثر المحفوظ منها من المؤلفات المطبوعة فى اللغات المختلفة بعضها مهم فى بابه ، وانها كانت فى حياة صاحبها أوفر عددا لانه أهدى منها فى أواخر أيامه جانبا مهما الى مدرسة الايمان فى رومية ، ودير الشرفة فى لبنان ولبعض أصدقائه

مكتبات ضواحى دمشق

أهم تلك الضواحى من حيث خزائن الكتب صيدنايا ومعلولا وبرود ، ففى صيدنايا دير قديم العهد توالت عليه نوائب كثيرة ، وكان فيه خزانة كتب تعرف بخزانة دير الشاغورية نسبة الى دير هناك بناه يوستنيان فى القرن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السادس للميلاد ، هو الآن للروم الارثوذكس ، وقد وصف صاحب كتاب خزائن الكتب رحلته الى ذلك الدير، وما لاقاه من موجبات الاسف لضياع الكتب بالحريق والانتهاب والاهمال ، وذ كرمابقى منها ، وكلها كتب دينية

وهكذا يقال فى معلولا فقد كان فى مكتبتها كثير من المخطوطات النفيسة فى العربية والسريانية لم يبق منها الا القليل ، اكثرها دينى وبعضها قديم جدا ، وكذلك يبرود كان فيها مكتبة للمطران غريغوريوس عطا لكن ما بقى فيها من الكتب لا يعتد به واكثره أو كله دينى ، أهمها مجموعة مؤلفات المطران غريغوريوس المذكور ، وفيها كثير من أخبار طائفة الروم الكاثوليك وتاريخها وتراجم رجالها وسائر أحوالها (*)

مكتبات حلب

مكتباتها قبل هـذه النهضة

حلب من أرسخ مدن سوريا فى الحضارة والعمران ، وقد رأيت انها سبقتها كلها الى الطباعة العربية ، ونبغ منها العلماء والادباء قبيل هذه النهضة ، وناهيك بما كان من ازدهارها ورقيها فى ابان التمدن الاسلامى فى زمن سيف الدولة وغيره ، ولا ريب ان خزائن الكتب كانت يومئذ كثيرة فيها مما انشأه السلطان ، أو احتفظت به البيوتات العلمية ، وتوارثته اجيالا وهى تجمع فيه التحف ، فان علماء حلب وادباءها لم يكن يخلو منزل أحدهم من مكتبة نفيسة تتوارثها اعقابه بضعة اجيال الى ان تصل الى من يعرف قيمة العلم ، أو تحدث حرب فتضيع

على ان أكثر خزائن الكتب ضاعت بتوالى الغزو فى ايام التتر ، أشهرها مكتبة الجامع الاموى بحلب ، ذكروا انه كان فيها نحو ٥٠٠٠ مجلد من المخطوطات ، سلب منها أحد المتغلبين من الاتراك ملء جوالق ، وجاء تيمورلنك فأجهز عليها ، ولم يبق لها أثر ، ثم جددها محمود السياف أحد بنى السياف عام ١٣٠٠ هـ فجمع فيها كتبا نفيسة اكثرها مطبوع

وقد نقل الينا الشيخ كامل الغزى الحلبى عن كتاب له مخطوط فى تاريخ حلب سماه « نهر الذهب فى تاريخ حلب » عولنا عليه فى كثير مما ذكرناه عن المكتبات الاسلامية فى حلب ـ قال « انه كان فى شرقى هذا الجامع اداة ضخمة تسمى « شجرة الافادة » مصنوعة من حجر ونحاس وحديد ذات خطوط وجداول فى أصول العلوم الرياضية ، تشبه شجرة ذات جذع واغصان وأوراق فى كل ورقة منها أصل علم من تلك العلوم ، صنعها خليل بن أحمد

(*) راجع فى مكتبات دمشق ونواحيها خزائن دمشق لحبيب الزيات الذى ذكره المؤلف (طبع مطبعة المعارف بالقاهرة) وانظر فهارس المكتبة العربية لداغر ص ٥١ حيث ذكر المراجع المختلفة التى كتبت منها .

الشيخ غرس الدين الحلبى المتوفى عام ٩٧١ هـ وكان الطلبة يقدمون اليها من البلاد القاصية للاشتغال بالعلوم الرياضية كالحساب والفلك وغيره »

ومن خزائن الكتب التى بادت مكتبة بنى الشحنة ، ومكتبة بنى العديم ، ومكتبة بنى الخشاب من مكتبات بيوتات العلم ، وناهيك بمكتبات المدارس الكبرى السلطانية والعصرونية والحلوية والشرفية والرواحية وغيرها ، ذهبت تلك المدارس ومكتباتها على يد تيمورلنك وبيعت كتبها بابخس الاثمان ، غير ما التقطه طلاب الكتب المخطوطة من الافرنج وغيرهم قبل أن ينتبه الحلبيون الى قيمتها . أما المكتبات الباقية فى حلب الى الآن فتقسم الى قسمين : (١) المكتبات الاسلامية (٢) المكتبات النصرانية

المكتبات الاسلامية فى حلب

١ ـ مكتبة المدرسة الاحمدية

فيها ٣٠٠٠ مجلد الآن

جاء ذكرها فى هذا الكتاب غير مرة وذكرها فلوغل فى ذيل طبعة كشف الظنون الاوربية ، وكان فيها ٣٦٩ كتابا ، أما الآن فقد اصبحت كتبها ٣٠٠٠ مجلد فى اللغة والتاريخ والادب والفقه والطب والرياضيات ، ومن الكتب النادرة فيها :

١ ـ التفسير المهمل للفيض الهندى
٢ ـ بدائع الزهور فى مجلد ضخم
٣ ـ در الحبب فى تاريخ حلب
٤ ـ تاريخ ابن كثير فى ثلاثة مجلدات
٥ ـ تاريخ الذهبى فى ٧ مجلدات
٦ ـ مرآة الزمان ، منه مجلد واحد
٧ ـ مختصر تاريخ الذهبى المسمى بالعبار
٨ ـ مثير الغرام لزيارة القدس والشام

وهى عامة تفتح ابوابها يومين فى الاسبوع (الاثنين والخميس) لمن يريد المطالعة (*)

٢ ـ مكتبة المدرسة الرضائية

فيها ١٥٠٠ مجلد الآن

ومنها المكتبة الرضائية وتعرف بالعثمانية ، فيها ١٥٠٠ مجلد الآن فى فنون شتى ، أندر ما فيها كتاب عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الالفاظ

(*) انظر فى هذه المكتبة ووصف مخطوطاتها : المقتبس ، مجلده : ٨١٥

للحلبي السمين ، والمقدمة السنية للصفدى ، والدر الثمين فى أسماء البنات والبنين ، والحدائق الانسية فى كشف الحقائق الاندلسية ، والدخول فيها مباح يوم الخميس من كل أسبوع

مكتبات أخرى

ومكتبة ابن الهبراوى ، ومكتبة التكية المولوية ، ومكتبة بنى بيازيد ، ومكتبة بنى الجابرى جمعها وحفظها الحاج عبد القادر الجابرى مفتى حلب الاسبق ، ومكتبة آل المدرس جمعها الحاج حسين بن المدرس وغيرها

المكتبات السيحية فى حلب

١ ـ المكتبة المارونية

انشأها المطران جرمانوس فرحات لما تولى تلك الابرشية عام ١٧٢٥ ، فجمع فيها ما كان مبعثرا من الكتب التى كان أسلافه الاساقفة قد اقتنوها واكثرها دينى طقسى ، واضاف اليها مقدارا من كتبه الخاصة واهتم بزيادتها ، وخلفه المطران جبرائيل حوشب فاقتدى به وعمل مثل عمله وأضاف اليها كثيرا من المخطوطات ونفائس المطبوعات ، واقتدى بهما من خلفهما على ذلك الكرسى حتى صارت الى ماهى عليه الآن ، وعدد مافيها من الكتب الخطية ٧٣٥ كتابا غير المطبوعات ، وأكثرها دينية طقسية فى السريانية والعربية ، لكن فيها طائفة من كتب التاريخ واللغة والادب أهمها :

١ ـ دمية القصر للباخرزى
٢ ـ مباهج الفكر لجمال الدين الوطواط
٣ ـ دمن القصر لابن طالو
٤ ـ المفصل للزمخشرى
٥ ـ ديوان بهاء الدين المهلبى وغيرها (*)

٢ ـ المكتبة الملكية للروم الكاثوليك

هى قديمة لكنها أصيبت بحريق عام ١٨٥٠ ذهب بها كلها تقريبا ، ثم أعيد انشاؤها وأضيفت اليها كتب للمطران غريغوريوس شاهيات الحلبى ، كان قد وقفها للخير ، وكتب القس بولس المنير والخورى يوسف جبجى وغيرهم ، وعنى بتنظيمها على حالتها الحاضرة المطران بولس حاتم عام ١٨٦٣ ، واضاف اليها كثيرا من الكتب المطبوعة باللغات المختلفة ، فيها ٢١٢ كتابا مخطوطا ، منها ٦٣ فى التاريخ والسير

(*) انظر فى هذه المكتبة وتاريخها ومحتوياتها مجلة المشرق ، مجلد ١٧ : ٢١ ، ٨٦ ، ٢٥٤ ، ٥٩٦ ، ٧٦٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ المكتبة السريانية

هى لطائفة السريان الكاثوليك ، كانت من اجل المكتبات فاصابها الحريق عام ١٨٥٠ فذهب بكثير من مخطوطاتها السريانية والعربية واللاتينية واليونانية ، ثم أعيدت بعناية الخورى جبرائيل رباط وغيره ، واضاف اليها جرجس شلحت المتوفى عام ١٨٩١ عددا كبيرا من الكتب المطبوعة باللغات المختلفة ، وفيها الآن ٢٧٠ كتابا مخطوطا ٥ منها ٣٤ فى التاريخ والرحلة غير المطبوعات واكثرها دينى طائفى ، ومن مخطوطاتها :

١ ـ كتاب خواص الحيوان لابن أبى حوافر الطبيب
٢ ـ كتاب الدر المنتخب لابن الشحنة وغيرها (١)

٤ ـ مكتبة بنى الدلال

نبغ من آل الدلال غير واحد من الادباء ، وهذه المكتبة لجبرائيل دلال ، كان فيها ٥٠٠ مجلد ، بينها تحفة نادرة هى : مصحف لايزيد حجمه على نصف الكف كتب بقلم دقيق وخط جميل بالحركات والنقط ، محاط بحاشية دقيقة من الذهب تدهش الناظر ، وقد فقد هذا المصحف بعد وفاة صاحب المكتبة ولا ندرى أين هو الآن (*)

مكتبات بيروت

بيروت قليلة المكتبات العربية العامة المشتملة على المخطوطات القديمة رغم سبقها فى اكثر أسباب هذه المدنية من حيث المدارس والصحافة والطباعة والادب والشعر وغيرها ، وهى الآن ليس فيها مكتبة عامة بالمعنى المراد هنا ، لكن كلياتها لا تخلو من المكتبات النفيسة أهمها المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين ومكتبة المدرسة الكلية الامريكية

١ ـ المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين

فيها نحو ٤٠٠٠٠ مجلد الآن

هى مكتبة نفيسة وتعد من المكتبات الكبرى فى الشرق العربى ، تحتوى على نحو ٤٠٠٠٠ مجلد الآن فى الآداب الدينية والعلمية ، ونخبة من الكتب الشرقية ولاسيما العربية ، فيها ٣٠٠٠ مخطوط ، بينها كتب نادرة جاء ذكر بعضها فى اثناء هذا الكتاب ، غير المطبوعات الشرقية التى ظهرت فى أوربا عن الشرق والاسلام والعرب ، وقد أصدر الاب لويس شيخو منشىء مجلة الشرق كراسا بالفرنسية فى وصف مخطوطاتها التاريخية المسيحية والاسلامية فى العربية والفارسية والتركية والسريانية ، بينها

(١) لخصنا ذلك من كتاب بعث به الينا القس جرجس منسى الماروني الحلبى
(*) انظر فى مكتبات حلب فهارس المكتبة العربية فى الخافقين للدافر ص ٥٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من التواريخ النصرانية بضعة وستون كتابا ، ومن التواريخ الاسلامية نحو ثمانين مخطوطا فيها طائفة من أحسن الكتب ، هاك أهمها :

١ ـ أخبار الدول للكرماني
٢ ـ الاستيعاب للنمرى
٣ ـ الاعلاق الخطيرة فى تاريخ الجزيرة لابن شداد
٤ ـ الخلاصة الوافية فى تاريخ بطاركة انطاكية
٥ ـ تاريخ ابراهيم الصباغ
٦ ـ الدر المرصوف فى تاريخ الشوف للأب منير
٧ ـ تاريخ سليمان (باشا) لابراهيم العورا
٨ ـ قصة أحمد (باشا) الجزار لنقولا الترك
٩ ـ روضة الناظرين لابن الشحنة
١٠ ـ العيلم الزاخر فى أحوال الاوائل والاواخر للجنابى
١١ ـ تاريخ أئمة صنعاء

٢ ـ مكتبة الكلية الامريكية

فيها نحو ١٧٠٠٠ مجلد الآن

نشأت هذه المكتبة منذ انشاء المدرسة المذكورة بما اجتمع اليها من الكتب المبتاعة أو المهداة من أهل الفضل ، أو ما تخلف عن أصحابه من المبعوثين لسفر أو وفاة ، وعدد مجلداتها الآن نحو ١٧٠٠٠ مجلد أكثرها فى اللغة الانجليزية وغيرها من اللغات الاوربية فى العلوم الحديثة ، بينها ١٦٠٠ مجلد فى العربية ، وفيها نحو ٥٠٠ مجلد تبحث فى سوريا وفلسطين فقط ، وفى المكتبة غرفة خاصة للمطالعة ، فيها المعاجم ودوائر المعارف وسائر كتب المراجعة بالانجليزية والعربية ، غير المجلات والجرائد المهمة فى أهم اللغات الحية

وقس على ذلك مكتبات الكليات الاخرى فى بيروت ، كالمدرسة البطريركية ، ومدرسة الحكمة ، ومدرسة الثلاثة الاقمار ، وغيرها . وقد تقدم ذكرها فى باب المدارس

مكتبات القدس

فى القدس كثير من المكتبات الطائفية بالاديار وغيرها ، ولا يخلو دير من مكتبة خاصة به ، فيها من الكتب الدينية ما يتعلق به أو بتعاليمه ، وهناك مكتبات للأرثوذكس واللاتين والارمن واليهود وغيرهم ، منها :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ ــ مكتبة دير الروم فيها ٢٧٣٣ مجلدا باليونانيــة وغيرها ، بينها مخطوطات يونانية مؤرخة من القرن العاشر للميلاد .
٢ ــ مكتبة اللاتين
٣ ــ مكتبة المدرسة الامريكية ، وهذه دخولها مباح لمن يشاء

المكتبة الخالدية
فيها نحو ٤٠٠٠ مجلد

أما المكتبات العربية العامة فليس منها فى القدس الآن الا المكتبة الخالدية وقد شاهدناها فى رحلتنا الى هناك فى العام الماضى ، أسسها راغب الخالدى وهى لاتزال فى أول نشأتها ، وكانت فى أصل وضعها كتبا لبيت الخالدى ، ثم أضيفت اليها كتب ضيا (باشا) الخالدى ، وفى العام الماضى أضيفت اليها كتب روحى (بك) الخالدى ، ومنها طائفة حسنة من الكتب العربية والافرنجية وفى المكتبة نحو ٤٠٠٠ مجلد فى موضوعات مختلفة ، وهى مفتوحة الابواب لفائدة الجمهور (*) . وبلغنا ان فى القدس مكتبة أخرى اسمها الحنبلية

مكتبات حمص

حمص عريقة فى آداب العرب ، وقد نبغ فيها غير واحد من الادباء والشعراء ، وأصابها ما أصاب غيرها من الاحن حتى تضعضعت كتبها ، وخربت مكتباتها ، ثم نهض الحمصيون فى هذا العصر الى استرجاع مافات فأخذوا فى الاحتفاظ بما بقى من الكتب القديمة والاضافة اليه من المؤلفات العصرية ، ويؤخذ من مقالة فى هذا الموضوع نشرت فى جريدة حمص (١١ ابريل عام ١٩١٤) ان فى حمص الآن ٩ مكتبات عامة تشتمل على نحو ٥٠٠٠ مجلد ، وبضع عشرة مكتبة خاصة فيها نحو ٨٠٠٠ مجلد

ويراد بالمكتبات العامة ما أنشىء لخدمة الجمهور بالمطالعة أو النسخ ، وهذه فى حمص أكثرها للكنائس أو المدارس أو غيرها من الجماعات النصرانية ، أقدمها مكتبة الاربعين شهيدا ، كان فيها طائفة حسنة من المخطوطات تضعضعت ، واستؤنفت الهمة لاحيائها وأكثرها دينى طائفى ، وهكذا يقال فى « مكتبة المطرانية الارثوذكسية » فيها نحو ٦٠٠ مجلد فى اللغات العربية واليونانية والروسيــة وبعض المخطوطات ، ومكتبة الآباء اليسوعيين فيها نحو ٢٠٠٠ مجلد من نفائس الاسفار الدينية والعلمية ، وليس فى مكتبة من المكتبات العامة ما يتجاوز عدد كتبها ٥٠٠ مجلد

أما المكتبات الخاصة فأكثرها للبيوتات القديمة فى حمص ، كالمكتبة الاتاسية لآل الاتاسى ، فيها نحو الف مجلد فى اللغــة والدين والتــاريخ

(*) أنظر فى وصف نفائس هذه المكتبة مجلة المجمع العلمى العربى مجلد ٤ : ٣٦٦ ، ٤٠٩ ومجلد ٩ : ٢٣٦ وخطط الشام لكردعلى مجلد ٦ : ٦٠١ وراجع فى مكتبات القدس داغر ص ٥١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والادب ، والمكتبة الجمالية للشيخ جمال الدين الجمالى الفقيه ، فيها نحو ١٥٠٠ مجلد من الكتب النفيسة ، والمكتبة الدمعوية فيها ٧٥٤ مجلدا بينها بعض المخطوطات ، والمكتبة السباعية فيها ٥٠٠ مجلد ، وليس بين ما بقى من المكتبات ما يربو عدد كتبه على بضع مئات ، لكن المكتبة العبودية فيها ٤٠٠ مجلد اكثرها فى التاريخ ، والمكتبة الجندية فيها مخطوطات قديمة

مكتبات سائر سوريا

لا نعرف خزائن للكتب العامة فيما بقى من مدن سوريا تستحق الذكر ، وربما كان فى الخزائن الخاصة الاديرة كتب مهمة لم يبلغنا خبرها

مكتبات لبنان

لكن فى لبنان خزائن للكتب فى المداوس الطائفية الكبرى وفى الاديرة الشهيرة لكل الطوائف مثل مكتبة دير التلميذ للروم الارثوذكس ، ومكتبة دير المخلص للكاثوليك ، ومثلها المكتبات المارونية ، وغيرها فى عين ورقة ومار عبدا وقزحيا وقرنة شهوان والشوير ومار شعيا وسوق الغرب وعين تزار وعين طورا وغزير وغيرها ، على ان هذه المكتبات ونحوها مما كان فى الاديار قد حمل معظم كتبها وأهمها الى رومية على يد السمعانى صاحب المكتبة الشرقية وبينها كتب مهمة فى العربية والسريانية واليونانية وغيرها (*)

غرف القراءة فى سوريا

على أن المتيقظين من ابناء سوريا نهضوا فى العهد الاخير يطلبون انشاء المكتبات العامة فى المدن بتحريض الحكومة على احياء المكتبات القديمة التى كانت فى المساجد أو غيرها ، أو انشاء أمثال هذه المكتبات بمساعدة اهل البر للخدمة العامة

ومن هذا القبيل اهتمام الناشئة السورية بانشاء غرف للقراءة تفتح ابوابها لمن يشاء المطالعة فى الكتب والجرائد والمجلات ، اهمها «غرفة القراءة» فى بيروت قام بأمرها لجنة من ادباء بيروت اكثرهم من اساتذة الكلية وخريجيها جمعوا اليها خيرة الكتب التى ترقى العقول وتنير الاذهان ، ونخبة الجرائد والمجلات العربية وغيرها فأصبحت مجتمعا لطبقة من محبى المطالعة من كل الطوائف

وقد انتشرت هذه الروح فى لبنان ، فانشئت غرف للقراءة فى كثير من قراه ، وقد ترى القرية لا يتجاوز عدد سكانها بضعة آلاف ، وقد انشأوا غرفة للقراءة عينوا لها لجنة تدير شئونها وتستجلب لها الكتب والمجلات

(*) انظر فى مكتبات لبنان وسوريا ومخطوطاتها فهارس المكتبة العربية لداغر من ٤٩ — ٥٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتجعلها ناديا للمطالعة أو القاء الخطب ونحو ذلك ، والغالب أن يكون الساعون فى هذا السبيل من خريجى المدرسة الكلية الامريكية

مكتبات العراق

لايخفى ماكان للعراق من القدح المعلى فى العلم والادب ، وهى أسبق سائر البلاد الاسلامية الى انشاء المكتبات منذ صدر الدولة العباسية فى بغداد والبصرة وغيرهما من مدن العراق مما جاء ذكره فى تضاعيف هذا الكتاب ، على انها أصيبت بما أصيب به سواها من العالم العربى فى أثناء الاجيال المظلمة على اثر فتوح التتر وتخريبهم ، ومايتبع ذلك من احراق الكتب أو اغراقها ، غير ماكان يذهب منها فى المنازعات المذهبية بين الفرق الاسلامية ، فأقبل القرن التاسع عشر والعراق فى ظلمة ، وقد ظنها الناس خالية من المكتبات

على أننا نتوسم فيها خلاف مايظنون ، لان تلك المدنية الضخمة مهما بلغ من انحلالها لابد من آثار تدل عليها ، ولا سبيل لنا الى تفقد تلك الآثار بنفسنا لبعد الشقة ، فكتبنا الى رصيفنا الاب انساس الكرملى صاحب مجلة لغة العرب أو يؤازرنا بخلاصة أحوال مكتبات العراق ، فأدهشنا ماذكره فى جوابه من التحف النادرة المخبوءة فى مكتبات العراق ، فى جملتها كتب نفيسة يعتقد المستشرقون وغيرهم من أهل البحث عن الآداب العربية انها ضاعت ولا وجود لها ، وهى موجودة فى بعض مكتبات العراق الخاصة تحت الاقفال ، لايأذن أصحابها لأحد فى الاطلاع عليها أو نسخها — وقد ينكرون وجودها

من تلك التحف « كتاب العين » للخليل بن أحمد ، فالمشهور انه غير موجود كاملا ، لكن فى العراق منه اربع نسخ كاملة : واحدة فى الكاظمية ، وواحدة فى كربلاء ، والثالثة فى النجف ، والرابعة فى ادارة مجلة لغة العرب أخذ الاب الكرملى فى نشرها خدمة لآداب اللغة ، وقد أخبرنا انه احتاج الى مقابلتها بنسخة من النسخ الاخرى عند أصحابها فلم يؤذن له فى ذلك

وكذلك كتاب «الموعب» للتيانى ، وقد ذكرنا فى غير هذا المكان انه فقد ، ولكن منه نسخة كاملة عند الاب المذكور ، وقد عزم على نشرها ، ويذكر القراء « معجم الادباء » الذى أخذ الاستاذ مرجليوث فى نشره فقد قلنا عند تقريظه انه لم يعثر الا على أربعة مجلدات منه ، وانه قطع الامل من وجود باقيه ، لكن الاب الكرملى يقول ان منه نسخة كاملة عند رجل شيعى فى بغداد ، وانه بذل ما فى وسعه ليأذن له فى استنساخ ما لم يطبع منها ليبعث به الى الاستاذ المذكور ، فأبى

فاعتبرنا البحث فى مكتبات العراق على يد زميلنا المشار اليه فتحا جليلا فى آداب اللغة العربية ، ولذلك فنحن ننشر ما كتب به الينا عن تلك المكتبات مرتبة حسب البلاد ، قال :